

دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى

تاريخ أوروبا في العصور الوسطى



د. صلاح محمد ضبيغ



رفع
مكتبة تاريخ وأثار دولة المماليك

دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى

دكتور / صلاح محمد ضبيح

كلية الآداب - سوهاج

جامعة جنوب الوادي

الناشر

المكتب العربي للمعارف

عنوان الكتاب: دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى
اسم المؤلف: دكتور/ صلاح محمد ضبيح
تصميم الغلاف: شريف الغالي

جميع حقوق الطبع والنشر
محفوظة للناشر

الناشر

المكتب العربي للمعارف

٢٦ شارع حسين خضر من شارع عبد العزيز فهمي

ميدان هليوبوليس - مصر الجديدة - القاهرة

تليفون/ فاكس: ٠١٢٨٣٣٧٢٢٧٣-٢٦٤٢٣١١٠

بريد إلكتروني: Malghaly@yahoo.com

الطبعة الأولى يناير ٢٠١٤

رقم الإيداع: ٢٠١٤/٢٥٤٧

الترقيم الدولي: I.S.B.N.978-977-276-723-6

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
للناشر ويحظر النقل أو الترجمة أو
الاقتباس من هذا الكتاب في أي شكل كان
جزئياً كان أو كلياً بدون إذن خطي من
الناشر، وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة إلى
كل الدول العربية. وقد اتخذت كافة
إجراءات التسجيل، والعملية لدى المعالم
العربية بموجب الاتفاقيات لدولية لحماية
الحقوق للفتية والأدبية.

دراسات في تاريخ أوروبا في العصور
الوسطى

العلاقات السياسية
بين الروم والفرس
منذ سنة ٢٢٦ وحتى ٣٠٥ م

كانت بلاد فارس تنقسم إلى ثماني عشرة ولاية، وكانت كل ولاية تسمى مملكة، وكان حكام هذه الممالك يدعون ملوكاً، ومن هذا المنطلق لم يكن لقب ملك قاصراً على حكام البيت المالكي في فارس. ومن أهم تلك الإمارات إمارة مدينة أصطخر - عاصمة ملوك فارس قديماً - التي كانت آنذاك في يد جوتجهر Gotchihr. وقد عين جوتجهر ساسان سادناً لبيت نار أناهيد في أصطخر. ولقد خلفه ابنه بابك في هذه الوظيفة^(١)؛ أما بابك فمن ناحيته فقد قام بتصويب ابنه أردشير، أو أرتاخرزيس Artaxerxes حاكماً عسكرياً على مدينة دارا بجرد. وابتداءً من عام ٢١٢م أصبح أردشير ميدياً على الكثير من مدن هذا الإقليم، وذلك بغلبته أو قتله لحكامه، هذا في الوقت الذي تمكن فيه بابك من قتل الملك جوتجهر بمدينة البيضاء^(٢)، وتولى مكانه^(٣).

ويبدو أن أردشير قد تطلع، آنذاك، لارتقاء عرش فارس. أما بابك فمن ناحيته فقد كتب إلى الملك أردوان الخامس (٢١٣ - ٢٢٤م)، ملك بارتيا الأشكاني يتضرع إليه ويستأذنه في تتويج ابنه سابور بنجاح جوتجهر، ولكن إجابة للملك جاءت مخيبة للأمل، حيث اعتبر بابك وابنه أردشير ثائران. وعلى كل مات بابك بعد ذلك بقليل، فارتقى ابنه الأكبر سابور عرش مدينة أصطخر. فاشتعلت الحرب بينه وبين أخيه أردشير، والتي انتهت بارتقاء الأخير عرش المدينة. وراح أردشير بعد ذلك يستولي على المدن الفارسية الواحدة تلو الأخرى^(٤) وفي النهاية شبت الحرب بينه وبين أردوان، الذي أمر أبرسام ملك

(١) أرشر كريستنن: إيران في عهد الساسانيين، ترجمة عن الفرنسية يحيى للخشاب، مراجعة عبد الوهاب عزام (بيروت، د.ت). ص ٨، ٧٣، ٧٤.

(٢) البيضاء: إحدى مدن إقليم أصطخر. وسميت البيضاء لأن بها قلعة بيضاء ترى من بعيد، واسمها بالفارسية نشانك، وبينها وبين شيراز ثمانية فراسخ. أنظر: القلقشندي: صبيح الأعراس في صناعة الإنشاء، ج ٤، الخزائن، العدد ١٣٣، (القاهرة: ٢٠٠٥)، ص ٣٤٦.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، (القاهرة: ١٩٣٩م)، ص ٤٧٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (القاهرة: ١٣٤٨هـ)، ص ٢٢١؛ سعيد ابن بطريق: كتاب التاريخ للمجموع على التحقيق والتصديق، (بيروت، ١٩٠٥م)، ص ١٠٦.

(٤) الطبري: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٧٧؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٢٢ - ٢٢١.

الأهواز بقتاله. ولكن جهود أبرصام الحربية ضد أردشير باءت بالفشل، وانتهت بهزيمة والاستيلاء على ولايته، وبعض الولايات الفارسية الأخرى. وفي النهاية اشتبك أردشير مع الملك أردوان الخامس في معركة شرمسة، في صحراء هرمزجان، انتهت بقتل أردوان بيد أردشير. وكانت النتيجة دخول أردشير طيسفون^(٥) معتبراً نفسه وريثاً للأسرة الأشكانية الحاكمة في بارثيا.

ثم ما لبث أن أخضع العديد من الولايات الفارسية لطاعته^(٦). وفي سنة ٢٢٦م تم تتويج أردشير الأول شاهنشاه - ملك الملوك - وهكذا قامت الدولة الساسانية في بلاد فارس^(٧). والتي كانت على قدم المساواة مع الإمبراطورية الرومانية.

وقبل المضي قدماً في سرد وقائع الأحداث بين الفرس والرومان، فإنه لا بد من الإشارة إلى أنه طالما كانت فارس محكومة بواسطة عائلة أرشاكيس Arsacids البارثية لم تكن هناك خطورة كبيرة على روما في الشرق. وذلك

(٥) طيسفون: مدينة كبيرة تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة، على سفرة من بغداد، وهي عاصمة الإمبراطورية الفارسية. أنظر:

Matthew Bunson: A dictionary of The Roman Empire, (New-York, 1991), p. 376, 386.

وطيسفون هي الاسم الفارسي للمدان، أنظر: للقائشندي: للمصدر السابق، ج٤، ص ٩٢٣.

(٦) للطبري: المصدر السابق، ص ٤٧٨ - ٤٧٩؛ الكامل: للمصدر السابق، ج١، ص ١٢٢٢

Aelius Lampadius: The life of Severus Alexander, Tr. By David Magie, (Harvard University Press, 1924), Section of the Historia Augusta, Net., p. 1; Cassius Dio: Roman History, Tr. By Earnest Cary, (Har. Uni., Press, 1914), Book Lxxx, Net., p. I. Cf also, Richard N. Frye: The Heritage of Persia, (New York, 1970) pp. 235- 236.

ويذكر ريتشارد فرى أن انتصار أردشير على أردوان الخامس ربما حدث في أبريل سنة ٢٢٤م. أنظر:

The Heritage of Persia, p. 236.

Gibbon: Decline and Fall of the Roman Empire, Vol. I, Chapter (٧) VIII, Part I, Net, p. I; Warren Treadgold: A History of The Byzantine State and Society, (U.S.A., 1997), p. 7.

أسد رستم: الروم، ج١، (القاهرة، ١٩٥٥م)، ص ٤٤؛ حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، (القاهرة، ١٩٨٣م)، ص ١٦.

لأن هذه العائلة كانت ضعيفة ومشغولة دائماً في الحروب الأهلية الدائرة بين المطالبين بالعرش الفارسي، أو بين الملوك والمتمردين من القادة العسكريين التابعين لهم^(٨).

صحيح أن المملكة البارثية كانت قادرة على شن الغارات على أراضي الإمبراطورية الرومانية في الشرق ولكن هذه الغارات لم تكن تمثل أدنى خطورة على الإمبراطورية^(٩).

ولكن مع تغير الأميرة الحاكمة في فارس تغيرت العلاقات السياسية بين الفرس والرومان. لقد كانت الأميرة الساسانية أسرة قوية وتمتاز بالعنف، وكانت في وضع أقوى من روماء وأصبحت فارس، في عهدها، في موقف الهجوم بعد ما كانت في موقف الدفاع^(١٠). ولعل ذلك يعود إلى أن الدولة الساسانية قد توحدت سياسياً، حيث أرغمت الأمراء والأشراف على الاعتراف بسيادتها والإخلاص لها، هذا من ناحية، كما أن الديانة المازدية التي تم اعتمادها ديناً رسمياً للدولة وفرت للروح الوطنية قوتها وكيانها ولذلك غدت المملكة قوية ومتماسكة، بل وسيطرت عليها للروح القومية، من ناحية أخرى^(١١).

ومما هو جدير بالذكر أن الروح القومية التي سادت للدولة الساسانية انعكست على سياستها للخارجية. وهذا ما رأيناه في تطلع الملك أردشير إلى استرجاع جميع الأراضي التي كانت من قبل جزءاً من الإمبراطورية الفارسية القديمة، بما في ذلك مصر وآسيا الصغرى وموريا، تلك الإمبراطورية التي

(٨) Jones A.JJ: The Decline of the Ancient world, (London, 1966), p. 12.

(٩) موريس كروزية: تاريخ الحضارات العام، م ٢، (بيروت، ٢٠٠٣)، ص ٥٣٠.

(١٠) حسين الشيخ: الرومان، (الإسكندرية، ٢٠٠٠)، ص ٩٦.

(١١) William G. Sinnigen and Arthur E. R. Boak: A History of Rome to A.D. 565, (U.S.A., 1977), p. 330; Robert S. Hoyt, Stanley Chodorow: Europe in the Middle Ages, (U.S.A., 1976), p. 22;

آرثر كريستمن: المرجع السابق، ص ٨٤؛ موريس كروزية: المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٣٠-٥٣١. وللمزيد من التفاصيل عن الديانة المازدية. أنظر: أسد رستم: المرجع السابق، ص ٤٤-٤٥.

قضي عليها الإسكندر المقدوني سنة ٣٣٠م^(١٢). ويجمع المؤرخون على أن الملك أردشير كان يرى أن ينحدر من فرع ملوك الفرس القدامى، ومن ثم فإنه ينسب عنهم، ولذلك فإنه من واجبه أن يعمل جاهداً لاستعادة إمبراطورية الملك داريوس الأول، وكذلك إنقاذ الفرس من ظلم الرومان، الذين كانوا يمثلون للعدو الأساسي لأردشير^(١٣).

ويبدو أن طموحات الملك أردشير قد وصلت إلى روما ومن ثم كان هناك تأثير كبير على القوات الرومانية نفسها التي انخفضت روحها المعنوية. وهذا ما عبر عنه أحد للمؤرخين المعاصرين بقوله: "إن بعض القوات رفضت خوض القتال ضد الفرس"^(١٤).

ولأن الملك الفارسي أردشير الأول كان يستشعر في نفسه القوة لاسترداد أراضي أجداده، إن لم يكن عن طريق السلم فعن طريق الحرب، فبادر على الفور بإرسال سفارة إلى الإمبراطور ألكسندر سيفيروس (٢٢٢-٢٣٥م) Alexander Severus، والتي ربما تعد أكبر سفارة في التاريخ، وذلك لأن تعدادها بلغ حوالي أربعمئة فارس من أقوى وأعظم الفرسان الفرس، الذين عن طريق خيولهم العظيمة وأسلحتهم اللامعة ولباسهم الفاخر، أظهروا كبرياء وعظمة ملكهم وقوة بأسه وجبروته. ولقد ظهر كبرياء أردشير في الرسالة التي

(١٢) الكامل: المصدر السابق، ج١، ص ٢٢١؛

Gassius Dio: Roman History Book I xxx, Net, p. 1; Roger Collins: Early Medieval Europe 300-1000, (U.S.A, 1999), p.1; Herbert W. Benario: Alexander Severus, (222-235), (Emory Uni., 15 June 2001) Net, p.6; Marcel le Glay et Other: A History of Rome, Tr. By Antonia Nevill and other, (United Kingdom, 2005), p. 415.

Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter VIII, Part2, pp. 1-4 Net; Previte (١٣) Orton C.W.: The Shorter Cambridge Medieval History, Vol. I, (Cam., 1953), p. 34; Jones: op.cit., p. 12;

آرثر كريستنسن: المرجع السابق، ص ١٩٦؛ موريس كروزيه: المرجع السابق، ج٢، ص ٥٣٠؛ أسد رستم: الروم، ج١، ص ٤٦.

Cassius Dio: op.cit., Book

(١٤) I xxx, Net, p. I.

سلمتها السفارة إلى الإمبراطور. والتي كانت عبارة عن أمر للإمبراطور بالانسحاب فوراً من جميع أقاليم أجداده، وأن يسلم للرومان للفرس إمبراطورية أميا حتى البسفور، وأن يكتفوا بأملكهم في أوروبا، حيث أنها لا يوجد عليها نزاع⁽¹⁵⁾.

وتعليقاً على هذه السفارة يذكر إدوارد جيون⁽¹⁶⁾، أنها لم تكن تعرض للتفاوض بقدر ما كانت إعلاناً للحرب. أما بخصوص إجابة ألكسندر سيفيروس على سفارة أردشير فلم تذكر المصادر التاريخية المعاصرة أو غير المعاصرة أو حتى المؤلفات الحديثة التي اعتمد عليها الباحث شيئاً عنها. ويسددهي أن الإمبراطور كان سيرفض هذا المر.

وعن استعدادات أردشير لقتال الفرس ذكر المؤرخ أليوس لامبارديوس⁽¹⁷⁾ Aelius lampardius، في كتابه عن حياة الإمبراطور الإسكندر سيفيروس، أن الإسكندر نفسه في خطابه الذي ألقاه على مجلس المناتو

Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter VIII, (15)
Part 2, p. 4 Net.

بغفره جلائفل بالإشارة إلى أن الإمبراطور ألكسندر سيفيروس أرسل في سنة ٢٣١م عندما كان في أنطاكية سفارة إلى الملك أردشير لبحث إمكانية السلام ولكن الملك رفض وطلب الإمبراطور بالرحيل عن موريا وأميا الصغرى. انظر:

Glanville Downew: A History of Antioch in Syria from Seleucus to Arab Conquest. (Princeton University, 1961) p. 251.

Decline and Fall of the Roman (16)
Empire, vol. I, p. 4.

بطرس البستاني: كتاب دفترة المعارف، م٣، (بيروت، لبنان، د.ت)، ص ٣٠.

The life of Alexander (17)
Severus, l VI, Net.

في حين يذكر بعض أحد المؤرخين المحدثين أن تعداد الفيلة كان حوالي ستمائة فيل، كما أشار إلى أن عربات اللؤلؤ كانت مسلحة بالمناجل الكبيرة، وأن تعداد الفرسان بلغ حوالي مائة وعشرون ألفاً. انظر،

Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter VIII., Part 2, p. 4 Net.

في مدينة روما بعد عودته من قتال الفرس ذكر أن تعداد القبيلة كان حوالي سبعائة فيل، مزودة بالأبراج الصغيرة ورماة السهام، وكميات كبيرة من النبال.¹⁸ كما كان هناك ألف وثمانمائة عربة نقل، ومائة واثنى عشرة ألفاً من الفرسان.

وعلى أية حال، فشلت آنذاك قوات أردشير في الاستيلاء على قلعة هاترا Hatra⁽¹⁸⁾، حيث كان يتوي اتخاذها قاعدة لمهاجمة الأراضي الرومانية، كما أن محاولته غزو أرمينيا⁽¹⁹⁾ باءت أيضاً بالفشل، بسبب استماتة أهلها في الدفاع عنها⁽²⁰⁾. وفي سنة ٢٣٠-٢٣١م عبرت القوات الفارسية نهر دجلة واجتاحت بقيادة أردشير بلاد ما بين النهرين ولكنها لم تحقق تقدماً كبيراً ضد الرومان، الذين بدأوا يدركون خطورة الموقف. وفشلت جميع محاولات التفاوض للوصول إلى حل سلمي بين الجانبين، ولذلك كان ألكسندر سيفيروس مجبراً على خوض القتال ضد الفرس⁽²¹⁾، علماً أن الإمبراطورية الرومانية لم تغامر أبداً، خلال القرنين الأولين من تاريخها، بالدخول في عدة حروب كبرى في آن واحد، لا سيما وأنها كانت على علم بعدم قدرتها على القيام بهذا العمل. ولكنها الآن

(18) هاترا: قلعة حصينة تقع في صحراء بلاد ما بين النهرين غرب الفرات وتوجد اليوم في شمال العراق، تقرياً على مسافة خمسة وخمسين ميلاً جنوب مدينة الموصل. أنظر:

Matthew Bunson: op.cit., p. 189; Michael L. Meckler: (Gordian III, (238-344 A.D.), (Ohio State Uni., 2001), (New-York) p. 3.

(19) أرمينيا: كانت أرمينيا مقسمة جغرافياً بواسطة نهر الفرات إلى قسمين، أرمينيا الصغرى وأرمينيا الكبرى. تقع أرمينيا الصغرى على الضفة الغربية لنهر الفرات بين بونتوس وكيادوكيا، أما أرمينيا الكبرى فتقع شرق هذا النهر بطول مساحة كبيرة من الحدود الفارسية. أنظر:

Matthew Bunson: op.cit., p. 29.

Cassius Dio: op.cit., Book LXXX, p. I Net. Cf also, William (20)

Simigen: op.cit., p. 330; Matthew Bunson: op.cit., p. 189.

Aelius lampardius: op.cit., LV. Net. Cf also, William (21)

G.Simigen.cit., p. 330;

موريس كروزيه: تاريخ الحضارات العام، ج-٢، ص ٥٣١، سيد أحمد على القناصري:
تاريخ الإمبراطورية الرومانية الميامي والحضاري، (القاهرة ١٩٧٨م)، ص ٣٣٨.

أصبحت مرغمة على ذلك^(٢٢). وخصوصًا أن الوضع في بلاد ما بين النهرين أصبح يندثر بالخطر، وبدأ الشعب الروماني يشعر بالخوف^(٢٣). وفي سنة ٢٣١م تقدم الإمبراطور ألكسندر سيفيروس إلى مدينة أنطاكية على رأس قوات ضخمة وفي صحبة والدته وقادته. ومما لاشك فيه أن وجوده بين قواته رفع من روحها المعنوية بدرجة كبيرة^(٢٤).

والجدير بالذكر، أنه عندما ارتكب بعض الجنود الرومان في مدينة أنطاكية بعض الأعمال الفاضحة كقضاء وقت فراغهم في حمامات النساء وغير ذلك من الأعمال التي لا تليق بالأخلاق العسكرية، أمر الإمبراطور باعتقال كل الذي فعلوا ذلك وتقييدهم بالسلاسل، الأمر الذي أدى إلى حدوث تمرد في المعسكر الروماني. وعند ذلك خاطبهم ألكسندر موضحًا أن الأعمال الغير أخلاقية التي ارتكبها بعض الجنود لا تسئ لهم فقط بل للجميع، "إن نظام أجدادنا ما يزال يحكم الدولة، وإذا ضعف هذا النظام فإننا سنفقد كلاهما اسم الإمبراطور والإمبراطورية". ولكن هتافات الجنود تعالت ضده، فتحدث مرة ثانية موضحًا لهم أن تلك الهتافات يجب أن تكون ضد الفرس في ساحات القتال" ولكن ليست ضد إمبراطوركم.... الذي يعطيكم رواتبكم" وعندما وجد الرجل أن الهتافات ضده ما تزال عالية، بل وتم رفع السلاح في وجهه، طالبهم بإنزال هذه الأسلحة، التي يجب أن ترفع فقط ضد الفرس، العدو الأساسي للرومان. وعندما لم تتخف الهتافات صاح قهقهة بأعلى صوته: "أيها المواطنون ضعوا أمتحتهم، وغادروا فورًا". ففعلوا ما أريد، ولكنهم لم يضعوا الأسلحة فقط بل والملابس العسكرية، ولم يعودوا إلى المعسكر بل إلى البلاد التي جاؤوا منها، إلا أن الإمبراطور تمكن من إعادتهم مرة ثانية إلى الصفوف قواته^(٢٥). وبطبيعة الحال،

(٢٢) موريس كروزيه: المرجع السابق، ج-٢، ص ٥٣٠.

Cassius Dio: Roman History: Book

Lxxx, p. Net.

Aelius Lampardius: op.cit., p.2 Net. Cf also, Hebert W. Benario (٢٤)

op.cit., p. 6 Net; Glanville Downey: op.cit., p. 251.

وينكر جلافيل أن الإمبراطور ألكسندر سيفيروس جمع قواته أثناء تقدمه لأنطاكية.

(٢٥) للمزيد من التفاصيل عن التمرد الذي حدث في المعسكر الروماني وموقف الإمبراطور ألكسندر سيفيروس منه. انظر،

كما يرى الباحث، أن هذا التمرد قد أعاق الإمبراطور ألكسندر عن التوجه لقتال
الفرس في عام ٢٣١م. ويوضح في الوقت ذاته مدى قوة الإمبراطور وصلابته.
وعلى كل تجمع بعض المصادر المعاصرة والمراجع الحديثة أن
الرومان سعوا إلى غزو الأراضي الفارسية بثلاثة جيوش منفصلة من ثلاثة
جهات. ولكن الجيش الأول الذي تقدم صوب مصب نهري دجلة والفرات تمت
محاصرته من قبل الفرس وأبيد عن آخره، أما الثاني الذي تقدم من جهة الشمال
عبر الصحاري الأرمينية فقد أحرز بعض الانتصارات على للقوات الفارسية
التي كان يقودها أردشير نفسه، الملك الفارسي، أما الجيش الثالث الذي كان
يقوده الإمبراطور ألكسندر سيفيروس والذي كان مقدراً له أن يقوم بالهجوم على
وسط المملكة الفارسية لم يقم بالمطلوب منه؛ وذلك لأن الإمبراطور قتل به عائداً
لأنطاكية، وربما كان ذلك بنصيحة من والدته أو الخوف لذي سيطر عليه. المهم
هو أنه أثناء عودة فرقة الإمبراطور اشتبك معها أردشير في قتال طاحن مات
فيه الآلاف من قواته^(٢٦).

ولكن المؤرخ أليوس لامبارديوس^(٢٧) وصف القتال بين الفرس
والرومان برواية أخرى، حيث ذكر أن الإمبراطور نفسه تسولى قيادة أجنحة
قواته، مشجعاً لها على القتال، ومعرضاً نفسه للكثير من المسهام، بل وقتل
العديد من الجنود الفرس بسيفه حتى أجبر في النهاية "الملك العظيم على الهروب
إلى بلاده"، ثم عاد ألكسندر إلى مدينة أنطاكية. والباحث من جانبه لا يميل لهذه
الرواية، لأن لامبارديوس يكتب سيرة ذاتية للإمبراطور ألكسندر ومن ثم كان
لابد أن يظهره بمظهر البطل أمام الفرس هذا من ناحية، كما أن إدوارد جيبسون
لا يميل لهذه الرواية، بل ويعتبر أن الهدف منها هو إخفاء الفضيحة الحقيقية

Aelius Lampardius: op.cit., p.2. Cf also, Glancille D.: op.cit., p. 22.

Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter VIII, Part2, p.5 Net; William G. ⁽²⁶⁾

Sinnigen: op.cit., pp. 330-331;

سيد أحمد على الناصري: المرجع السابق، ص ٣٢٨. ويذكر بعض المؤرخين أن السبب في
عودة ألكسندر سيفيروس لأنطاكية له كان قد مرض عام ٢٣٢/٢٣٣. أنظر:

Glanville D.: op.cit., p. 252.

The Life of

Alexander, p.2 Net. ⁽²⁷⁾

للإمبراطور وقواته من ناحية ثانية⁽²⁸⁾، ومن ناحية ثالثة لم تشر إليها المراجع الحديثة.

ومهما يكن من أمر فإن نتيجة هذه المواجهة بين الفرس والرومان نتج عنها عودة بلاد ما بين النهرين ولاية رومانية مرة أخرى⁽²⁹⁾. وبدلاً من طرد الرومان من قارة آسيا، وجد الملك الفارسي أردشير نفسه عاجزاً عن الاستيلاء منهم على إقليم بلاد ما بين النهرين الصغير⁽³⁰⁾.

وفي مدينة أنطاكية سمح الإمبراطور الإسكندر سيفيروس لقواته وقواده بالاحتفاظ بالنهب الذي استولوا عليه من الفرس⁽³¹⁾. وهذا طبيعي كمكافأة لهم على قتالهم ضد الفرس.

وهنا لابد من الإشارة إلى حدوث مفاوضات بين الملك أردشير والإمبراطور ألكسندر سيفيروس حول إطلاق سراح الأميري الفرس، ولقد تم ذلك بعد دفع الفدية، وهذه الفدية إما أن يكون الإمبراطور قد أعطاها إلى أولئك الذين كانوا يمتلكون الأميري، أو أودعها الخزانة العامة⁽³²⁾.

هذا ويذكر بعض المؤرخين أن الإمبراطور ألكسندر سيفيروس راح، في مدينة أنطاكية، يستعد لحملة ثانية، ولكنه علم أن الفرس لن يخوضوا حرباً أخرى بسبب الخسائر الفادحة التي منوا بها في الأرواح، وهذا بطبيعة الحال لم يكن متوقعاً. وفي ذلك الوقت، تلقى الإمبراطور تقارير تفيد أن الجرمان عبروا نهر الراين والدانوب وهددوا ألبانيكوم Illyricum والأراضي الإيطالية

Decline and Fall of The Roman Empire, Vol. I Chapter (28)
VIII, Part2, p. 4.

Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter VIII, Part2, p.4; William G. (29)
Sinnigen: op.cit., p. 331.

سيد أحمد على الناصري: للمرجع السابق، ص ٣٣٨.

Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter (30)
VIII, Part2, p. 5.

بطرس البستاني: للمرجع السابق، م ٣، ص ٢٠.

Aelius (31)

Lampardius: op.cit., p.2. (32)

Loc.cit.

المجاورة لها. وعند سماع هذه الأخبار غادر الإمبراطور أنطاكية إلى مدينة روما في صيف ٢٣٢م، وهناك راح يحتفل بنصره على الفرس^(٣٣).
 ففي السابع من أكتوبر عام ٢٣٣م اجتمع ألكسندر مع مجلس السناتو، فأوضح له أن الرومان قد حققوا نصراً منوياً على الفرس. وتحدث أيضاً عن استعدادات الملك أردشير وعن الأضرار التي لحقت به في هذه المعركة. ومن جملة ما قاله: "... لقد أسرنا العديد من الفرس وبعناهم ليكونوا أقدانا، وتمكنا من إعادة فتح الأراضي الواقعة بين الأنهار، أعني - بلاد ما بين النهرين - التي استولى عليها الوحش القذر أرتاكزرخيس Artaxerxes (يعني أردشير)..."
 وطرده من ساحة المعركة... لقد عاد جنودنا أغنياء بسبب نصرهم... ثم طالب أعضاء المجلس بتقديم الشكر رسمياً للآلهة على هذا النصر، الذي ربما لن يتكرر مرة أخرى، ومن لم يفعل سيكون ناكراً للجميل. وعند ذلك تعالت هتافات المجلس لتحية الإمبراطور ألكسندر سيفيروس والجنود الرومان، الذين رفعوا اسم روما عالياً^(٣٤).

ولم يقتصر لقاء الإمبراطور ألكسندر على مجلس السناتو فقط، بل ذهب إلى الكابيتول Capitolium وبعد تقديم الأضاحي خاطب الحاضرون من الشعب موضحاً لهم أن القوات الرومانية قد قهرت الفرس، "لقد عدنا بالقوات محملة بالغنائم. إننا نعدكم بالمزيد، وغداً سنقدم الألعاب في المبرك في الاحتفال بنصرنا على الفرس"^(٣٥).

وعلى كل، في سنة ٢٣٤م غادر الإمبراطور ألكسندر سيفيروس ووالدته مدينة روما إلى حد نهر الراين. ولكن عندما فكر في شراء السلام من

Glanville D.: op.cit., p. 252; Herbert ⁽³³⁾

W: op.cit., p. 6.

يقال بعض المؤرخين من قيمة الانتصار الذي حققه الإمبراطور ألكسندر على الفرس. أنظر: Jacob Burckhardt: The Age of Constantine The Great, (New York, 1949) p. 26.

⁽³⁴⁾ للمزيد من التفاصيل عن الخطاب الذي ألقاه الإمبراطور ألكسندر سيفيروس في مجلس لشيوخ. أنظر،

Aelius Lampardius: op.cit., p3.

⁽³⁵⁾

Loc-cit

الجرمان حدث تمرد في معسكره بقيادة جايوس جوليمه فيروس ماكسيميانوس Gaius Jullies Verus Maximianus، أحد قلائده، في بداية مارس سنة ٢٣٥م، انتهى بقتله ووالدته وتولية ماكسيميانوس إمبراطوراً (٢٣٥-٢٣٨م) (٣٦).

وفي غضون ذلك، وبالتحديد في سنة ٢٣٧م، وأصل الملك أردشير سياسته العدوانية ضد الإمبراطورية الرومانية فعبر نهر دجلة واستولى على نصيبين Nisibis، وكاري Carrhac^(٣٧). ولكنه فشل في الامتلاء على مدينتي بالميرا ودورا أوروبوس^(٣٨). ويبدو أن هذه الأعمال العسكرية كانت آخر ما قام به ضد الرومان. وهنا لابد من القول إن الملك أردشير الأول سل يستطع أن يحقق طموحاته العسكرية المتمثلة في استرداد أراضي أجداده وهو السبب الذي من أجله أعلن الحرب على الرومان.

Michael L. Meckler: Maximianus Thrax (235- 238 AD.), (Ohio State Uni., 26 August, 1997), Net p. 1; Herbert Benario: op.cit., p. 7

Glanville: op.cit., p. 252.

Glanville: op.cit., p. 253; Michael Meckler: Gordian III (2380 244 A.D.) (ohio-St- Unit., 2001), Net, p. 3; William G.: op.cit., p. 392.

حسين الشيخ: الرومان، ص ٩٦- ونصيبين: مدينة استراتيجية هامة تقع في بلاد ما بين النهرين بين أعالي نهر دجلة والفرات. أنظر: Matthew Bunson: op.cit., p. 296.

أما كاري: فهي مدينة حوران وتقع في بلاد ما بين النهرين جنوب مدينة الرها. أنظر: Matthew Bunson: op.cit., 74.

حسين الشيخ: الرومان، ص ٩٦- وبالميرا Palmyra: "مدينة أشجار النخيل" City of palma trees، تقع بين بلاد ما بين النهر وبلاد الشام في ولجة الصحراء المورية. وطبقاً للأسطورة أن سليمان كان أول من بنى هذه للمدينة، وأطلق عليها تادمر Tadmor، وترجمها اليونانيون عن الآرامية إلى بالميرا. لعبت دوراً كبيراً في مجال التجارة بين الشرق والغرب. أنظر:

Mathew Bunson: op.cit., p. 310; Saunders: History of Medieval Islam, (London, 1965), p. 8.

أما دورا أوروبوس فهي مدينة تقع على نهر الفرات، وهناك احتمال أن المقدونيين هم الذين أسسوها. أنظر:

Mathew Bunson; op.cit., p. 140.

أما على الجانب الروماني فتشير المصادر التاريخية القديمة والمراجع الحديثة إلى أن الثورة التي شبت في أفريقيا في بداية عام ٢٣٨م انتهت بالإطاحة بالإمبراطور ماكسيميانوس والمناذاة بجورديان الثالث (٢٣٨ - ٢٤٤م) Gordian III إمبراطوراً رومانياً في نهاية أبريل من للعام نفسه^(٣٩).

وخلال عامي ٢٣٨ و ٢٣٩م لم تسجل لنا كتب التاريخ أي هجمات للفرس على الأراضي الرومانية، ويبدو أن ذلك يعود إلى المرض الذي ألم بالملك أردشير الأول. ولكن عجلة الحرب ما لبثت أن دارت مرة ثانية، وذلك لأن أردشير المريض قام بتصيب ابنه سابور شريكاً معه في الحكم سنة ٢٤٠م. وعلى الفور تقدم سابور على رأس القوات واستولى على مدينة هاترا^(٤٠). وعندما توفي الملك أردشير الأول سنة ٢٤١م، اعتلى ابنه سابور الأول (٢٤١ - ٢٧٢م) Sapor I العرش الفارسي^(٤١).

ولم تؤد وفاة أردشير إلى زوال الخطر الفارسي عن الجبهة الشرقية للرومان، وذلك لأن ابنه سابور الأول ورث خطته وطموحاته القائمة على استرداد سوريا وآسيا الصغرى منهم. ومن ثم فقد بدأ سياسة والده الامستعمارية فوراً، حيث تقدم على رأس قواته سنة ٢٤١م وأخضع أرمينيا، حليفة الرومان، لسيادته^(٤٢).

^(٣٩) وللمزيد من التفاصيل. انظر:

Eutropius: Abridgment of Roman History, Book IX, II, p.28. Cf also, Michael Meckler: Gordian III, pp. 1-2.

Michael Meckler: ^(٤٠)

Gordian III, p. 3.

^(٤١) الطبري: المصدر السابق، ج١، ص ٤٤٨٦ آرثر كريستس: المرجع السابق، ص ١٦٩. يذكر وليم ج أن سابور الأول اعتلى العرش الفارسي سنة ٢٤٠م. انظر:

History of Rome to A.D. 565, p. 392; Richard V. Froy: The History of Persia, p. 237.

Rebe Grousset: Histoire De l' Armenie, (Paris, 1997), p. 114; 5 Net; ^(٤٢)

Michael vol. I, Chapter VIII, Part 2, p.1, op.cit., Gibbon: Meckler: Gordian III, p.3

وينكر جييون^(٤٣) هنا أن إخضاع أرمينيا بدون مقابح تذكر أعطى سابور الأول دفعة قوية وشعور بالعظمة فامتولى على مدينتي كاري ونصيبين. وتقدم لنا المصادر العربية رواية الاستيلاء على مدينة نصيبين فتقول: "إنه (أي سابور) حاصر للروم بنصيبين وفيها جمع من الروم مدة ثم أتاه من ناحية خراسان ما احتاج إلى مشاهدته فصار إليها وأحكم أمرها، ثم عاد إلى نصيبين فزعموا أن سورها تصدع وانفجرت منه فرجه دخل منها وقتل وسبي وغنم"^(٤٤). ولو كان ذلك قد حدث بالفعل فلا بد من القول إن الرومان تمكثوا من استرداد هاتين المدينتين بعدما استولى عليهما أردشير سنة ٢٣٧م. وسبب هذا الارتباك بين المراجع الحديثة أن المصادر المعاصرة لم تشر إلى ذلك. وعلى أية حال، اجتاحت القوات الفارسية سوريا قري ربيع ٢٤٢م، وتعرضت مدينة أنطاكية آنذاك لتهديدات خطيرة^(٤٥).

وبدأت روما تشعر بالخطر على أملاكها في الشرق، وبدأ التخطيط لهجوم روماني مضاد. وعلى وجه السرعة لتنقلت القوات الرومانية من الغرب إلى الشرق تحت قيادة الإمبراطور جورديان وقائد حرسه البريتوري جايوس فوريوس تيميسيثوس Gaius Furius Timesitheus. وفي المعركة التي نشبت في Resaina اكتسحت القوات الرومانية الجيش الفارسي، وتم طرد الفرس من سوريا، واسترداد مدينتي كاري ونصيبين وإنقاذ مدينة أنطاكية منهم^(٤٦).

Decline and Fall of The Roman

(٤٣)

Empire, vol. I, p. 1.

(٤٤) للطبري: المصدر السابق، جـ ١، ص ٤٨٣ ابن الأثير: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٢٤ سعيد ابن البطريق: المصدر السابق، ص ١٠٨ - ١١٠.

Glanville: op.cit., p. 253; William G:

(٤٥)

op.cit., p. 392.

Eutropius: Abridgment of Roman History, Book IX, II p. 28. Cf also, (٤٦)

Meckler: Gordian III, p.4; William G.: op.cit., p. 392; Genl. G.:

op.cit., p. 312.

وينكر بعض المؤرخين أن معركة رسيانة Resiana وقعت سنة ٢٤٣م. أنظر:

Marcel le Glay: History of Rome, p. 418.

وفي سنة ٢٤٣م لحق الإمبراطور جورديان الثالث بقواته في أعالي بلاد ما بين النهرين^(٤٧). ولكن من سوء حظه، أنه في الوقت الذي كان فيه تيممسيثوس على وشك الاستيلاء على مدينة طيسفون لقي حتفه، بسبب مرض ألم به، ولم يجد جورديان يداً من تعيين ماركوس يوليوس فيليبوس Marcos Julius Philipus بدلاً منه وشريكاً له في الحكم تحت اسم فيليب العربي^(٤٨). ولم تتوقف الحملة الرومانية ضد الفرس، حتى وصلت أسقل الفرات نهاية عام ٢٤٣م.

وفي مطلع ٢٤٤م تقابلت الجيوش الرومانية والفارسية قرب مدينة ميسينته Misiche {القالوكة الحديثة في العراق، ٤٠ ميلاً غرب بغداد}. ويومها حقق سابور نصرًا كبيرًا على الرومان، لدرجة أن الرجل أعاد تسمية مدينة ميسينته باسم بيروز - سابور Shapur -- Peroz، والتي تعني سابور المنتصر^(٤٩). ولقد خلد سابور نصره هذا على نقش وجد بصخرة عند روستان Rustan بالقرب من بوسبوليس بوسط فارس بقوله: "إنه في البداية سار الإمبراطور جورديان الثالث في اتجاه بابيلونيا^(٥٠) على إيران وعلينا وعلى

Michael

(٤٧)

Meckler: op.cit., p. 4.

ويذكر جبال ج أن الإمبراطور جورديان رافق صوره تيممسيثوس أثناء مقدمة إلى الشرق، ولكنه لم يذكر العام الذي توجه فيه. أنظر: East and West Through Fifteen Centuries, p. 312.

Michael

(٤٨)

Meckler: op.cit., p. 4.

سيد أحمد الناصري: المرجع السابق، ص ٣٦١. وللمزيد من التفاصيل عن فيليب العربي أنظر:

Sextus Aurelius Victor: Abbreviated from His Books, Tr. By Thomas M. Banchich, (N.Y.2002), p. 28. Cf also, Michael Meckler: Philip The Arab (244- 249 A.D.), (Ohio State Uni., 2001), p.1-2; Jacob Birckhardt: op.cit., p. 29; Genl G.: op.cit., p. 313.

Michael Meckler:

(٤٩)

Grodian III, p. 4.

(٥٠) بابيلونيا: هي مدينة بابل القديمة بالنعروك، وكان اسمها بالعبراني بابل، وبال يونانية بابليون، وتقع مكانها اليوم بالعراق قرية الحلة. أنظر:

للحدود البابلية، وعند مسيطته دارت موقعة كبرى قتل فيها القيصر جورديان نفسه ودمرت القوة الرومانية^(٥١).

والجدير بالذكر، أن المصادر الرومانية لم تذكر هذه المعركة ولو بإشارة^(٥٢). وهذا طبيعي لأن المؤرخين الرومان عز عليهم الهزيمة القاسية لإمبراطورهم وقواته.

أما بخصوص وفاة الإمبراطور جورديان الثالث فتجمع المصادر والمرجع الموجودة تحت يد الباحث أنه قتل من جراء التمرد الذي قاده فيليب العربي، أثناء ارتداد القوات الرومانية في أعالي الفرات، سنة ٢٤٤م، على مقربة من المكان الذي يسمى ذيثا Zaitha^(٥٣). والباحث من ناحيته يميل إلى الآراء القائلة بصلوع فيليب للعربي في اغتيال الإمبراطور جورديان الثالث، لا سيما عندما نعم لأنه هو الذي خلفه على العرش الروماني.

ج.ر. جونز: الحصار العثماني للقسطنطينية، دراسة وترجمة وتعليق حاتم الطحاوي، (القاهرة، ٢٠٠٣)، ص ٢٢٩ (هامش ١).

(٣١) حسين الشيخ: الرومان، ص ٩٧.

Michael Meckler: op.cit., p.4.

Michael Meckler: op.cit., p.4. (٣٢)

Eutropius: op.cit., Book IX, II p. 28; Sextus Aurelius victor: op.cit., (٣٣)

p. 27; Michael Meckler: Philip The Arab, p. 2; Jacob Burckhardt:

op.cit., p. 29; William G.: op.cit., p. 392; Richard Frey: op.cit., p.

241.

حسين الشيخ: الرومان، ص ٨٦. يذكر البعض من المؤرخين أن جورديان اغتيل في دورا-

Marcel يوروبوس. أنظر:

le Glay: op.cit., p. 418.

كما يذكر أحد المؤرخين أنه قتل في فبراير سنة ٢٤٤م. أنظر: Glanville: op. cit., p.

253.

ويذكر آخر أن ذلك كان ما بين ٢٧ فبراير أو ١٣ مارس من نفس العام. أنظر: حسن أحمد

حسن الأبياري: دراسات في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، (القاهرة، ٢٠٠٤)، ص

٢٧٢.

وذيثا Zaitha: مدينة قديمة تقع على نهر الفرات بين نهر أبو رأس (الخابور) ودورا، وتعنى

Stark: Rome on The Euphrates. "شجرة الزيتون". أنظر:

(London, 1966), p. 348.

اعتلى فيليب العربي (٢٤٤ - ٢٤٩م) Philip The Arabian عرش الإمبراطورية الرومانية بعد اغتيال الإمبراطور جورديان الثالث^(٥٤). وكان أول شيء قام به هو عقد السلام مع الملك سابور الأول سنة ٢٤٤م، والذي نص على الآتي:
أولاً: تخلي الملك سابور الأول عن أطماعه في ولاية ما بين النهرين الرومانية وأرمينيا الصغرى.

ثانياً: تنازل الرومان عن مصالحهم في أرمينيا الكبرى.
ثالثاً: دفع الرومان للملك سابور الأول غرامة حربية مقدارها ٥٠٠,٠٠٠ ألف دينار مقابل إطلاق سراح الأسرى الذي وقعوا في يد الفرس في المعارك التي دلت بين الجانبين^(٥٥).

وإجابة على سؤال حول إذا ما كانت المعاهدة سالفة الذكر قد حققت بعض النتائج. يقول بعض المؤرخين إن هذه المعاهدة أوقفت التهديد الفارسي على الأراضي الرومانية في الشرق والذي كان قد بدأه الملك أردشير الأول، حتى ولو كان إلى حين^(٥٦). كما أنها لعبت دوراً كبيراً في إيقاف الضغط العسكري الفارسي على الجيوش الرومانية في الشرق^(٥٧).

بل ومكنت الإمبراطور فيليب العربي نفسه من التقدم إلى مدينة روما^(٥٨)، في سنة ٢٤٨م^(٥٩) وهكذا نجد، كما يقول بعض المؤرخين، أن

Eutropius: op.cit., Book IX, III, p. 28. Cf also, Richard Frye: ^(٥٤)
op.cit., p. 241.

Mickael Meckler: Philip The Arab, p.3; William G., :op.cit., p. 392; ^(٥٥)
Glanville: op.cit., p. 253.

آرثر كريستنس: إيران في عهد الساسانيين، ص ٢٠٩؛ مبد أحمد الناصري: المرجع السابق.
ص ٣٦٣، حسين الشيخ: المرجع السابق، ص ٨٦.

ويذكر ميخائيل مكلر أن الفدية ربما تكون جزية سنوية. أنظر: Philip The Arab, p. 3.

Roger Collins: Early Medieval Europe 300-1000, ^(٥٦)
(U.S.A., 1999), p. 3.

Eutropius: ^(٥٧)
op. cit., p. 28.

Michael Meckler: ^(٥٨)
op.cit., p. 3.

الحملة العسكرية الفارسية التي قادها الملك سابور الأول ضد الرومان كانت ناجحة فقط نجاحًا اسميًا، وذلك لأنه خلاف ضياع هاترا من الرومان، لم يتمكن الفرس من الاستيلاء على أية منطقة أخرى كنتيجة لحروبهم. ولم يقم سابور الأول بمضايقة الرومان في أعالي بلاد ما بين النهرين، تقريبًا، لحوالي ثماني سنوات قلائمة^(٦٠). وهذا يعني أن معاهدة ٢٤٤م قد ضمنت السلام بين الجانب الفارسي والروماني حتى سنة ٢٥٢م، وأنهت الحملة الأولى التي قام بها الملك سابور الأول ضد الرومان.

وعلى أية حال، شرب الإمبراطور فيليب العربي من نفس الكأس الذي سقى منه قبل ذلك الإمبراطور جورديان الثالث. وذلك عندما هزم سنة ٢٤٩م، بالقرب من فيرونا، على يد جايوس نكيوس، أحد قادته، أثناء صراعهما على عرش الإمبراطورية، ويومها ذبح فيليب ونددت الجيوش بدكيوس إمبراطورًا، (٢٤٩ - ٢٥١م) Decius^(٦١) ولم يطل الأجل بدكيوس، حيث قتل في يونيو عام ٢٥١م أثناء صراعه مع القوط في منطقة الدانوب الأدنى. فنادت الجيوش على وجه السرعة بتريبيونيانوس جالوس (٢٥١ - ٢٥٣م) Trebonianus Gallus إمبراطورًا^(٦٢).

وبدأت نذر الحرب تلوح في سماء الشرق، بين الفرس والرومان. والحقيقة أن المصادر والمراجع الموجودة تحت يد الباحث لم تذكر شيئًا عن الأسباب التي أدت إلى فتح باب الحرب من جديد. وكانت أرمينيا الصغرى بؤرة النزاع. فقد اجتاحتها القوات الفارسية في سنة ٢٥٠م، وتم قتل حاكمها تيريونات

Genl G.: ⁽⁵⁹⁾

op.cit., p. 313.

Michael Meckler:

Gordian III, p. 5.

Sextus Aurelius Victor: op.cit., p. 28; Eutropius: op.cit., Book IX. ⁽⁶¹⁾

III, p. 28. Cf also, Genl. G. F. young: East and West through Fifteen Centuries, p. 314.

Scott Moore R.: Trebonianus Gallus (251-253 A.D.) and Gaius Vibus ⁽⁶²⁾

Volusianus (251-253 A.D.), (Indiana Uni., of Pennsylvania, update: 1 July 2002), p. 1.

Tiridat، التابع للرومان، وأجلس الملك سابور مكانه حاكمًا فارسياً هو Artavazd، سنة ٢٥٢م، وبذلك أصبح الطريق مفتوحاً لطرده للرومان من آسيا الصغرى وسوريا^(٦٣).

وفي نفس العام، ٢٥٢م، تمكنت القوات الفارسية من الاستيلاء على بلاد ما بين النهرين^(٦٤). وفي عام ٢٥٣م حققت القوات الفارسية بقيادة الملك سابور الأول نصراً مدوياً على الرومان في موقعه بارباليسوس Barbalissos. وترتب على ذلك تدمير الخطوط الدفاعية الرومانية عند مدينة دورا-يوريموس، فافتتح الطريق أمام القوات الفارسية، ودخل سابور الأول إلى سوريا وولاية كبادوكيا، في شمال سوريا، ثم استولى على مدينة أنطاكية دون مقاومة تذكر، وقتل الكثير من سكانها، وأسر أعداداً ضخمة، وأباد مباني المدينة^(٦٥). كما استولى، يومها، على حوالي ست وثلاثين مدينة أخرى في سوريا وآسيا الصغرى^(٦٦). ويفرد المؤرخ زوسيموس^(٦٧) بالإشارة إلى أن الملك سابور عاد إلى بلاد فارس، بعد هذه الحملة الناجحة، محملاً بالذهب والسلب.

والحقيقة أن الهجمات الفارسية على المدن الرومانية لم تتوقف، فقد استولوا سنة ٢٥٤م على مدينة كاري^(٦٨). كما استولوا في سنة ٢٥٦-٢٥٧م

Grousset: op.cit., p. 115; William G.: op.cit., p. 392; pat southern
and Karen R. Dixon: The Late Roman Army, (Cam., 1996), p. 22;
Matthew Bunson: op.cit., p. 386,30.

سيد أحمد الناصري: المرجع السابق، ص ٣٦٦.

Zosimus: New History, Tr., by Green W. And Chaplin T., (London,
1814), Book I, p. 6.

Loc-cit. Cf also, Scotte Moore: Trebonianus Gallus, p. 3; Richard
Frye: op.cit., p. 241.

سيد أحمد الناصري: المرجع السابق، ص ٣٦٥-٣٦٦.

سيد أحمد الناصري: المرجع السابق، ص ٣٦٦؛ حسين الشيخ: الرومان، ص ٩٧-
٩٨.

New-
(٦٧)

History, p. 6.

(٦٨) حسين الشيخ: المرجع السابق، ص ٩٧.

على مدينة دورا- يوروبوس، ولم يستردها الرومان مرة ثانية^(٦٩). واستولوا في سنة ٢٥٦م على مدينة أنطاكية^(٧٠).

وإزاء هذا الموقف الميؤس في الشرق عقد الإمبراطور فاليريان (٢٥٣- ٢٥٦م) Valerian العزم على القيام بنفسه للدفاع عن الأراضي الرومانية هناك^(٧١).

ولكن متى توجه فاليريان إلى الشرق؟ ثابنت آراء المؤرخين حول التاريخ الذي توجه فيه فاليريان إلى الشرق. فالبعض ذكر أنه ذهب إلى هناك في سنة ٢٥٦م^(٧٢). في حين ذكر آخر أنه كان في سنة ٢٥٧م^(٧٣). ورأى ثالث يقول إن ذلك كان في سنة ٢٥٨م^(٧٤). أما الباحث فمن جانبه فيميل إلى الرأي القائل بأن فاليريان ذهب إلى الشرق في سنة ٢٥٧م، وذلك لأن هناك من المؤرخين من أشار إلى أن الإمبراطور نجح في سنة ٢٥٧م في تخلص مدينة أنطاكية من يد الفرس، على الأقل مؤقتاً^(٧٥). ويبدو أنه لم يمكث في هذه المدينة طويلاً حيث

Glanville: op.cit., p. 255; pat southern: op.cit., p.22; Matthew ⁽⁶⁹⁾

Bunson: op.cit., p. 437.

يذكر بعض المؤرخين أن دورا تم الاستيلاء عليها سنة ٢٥٥م أنظر: حسين للشيخ: المرجع السابق، ص ٩٨.

Matthew Bunson: op.cit., p. 437; ⁽⁷⁰⁾

حسين الشيخ: الرومان، ص ٩٧.

Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter X, Part IV, p. 1-2. ⁽⁷¹⁾

سيد أحمد الناصري: للمرجع السابق، ص ٣٦٧. ⁽⁷²⁾

Matthew Bunson: ⁽⁷³⁾

op.cit., p. 386.

Genl ⁽⁷⁴⁾

G.: op.cit., 323.

Richard G, Weiged: Valerian (A.D 253- 260) and Gallienus (A.D. ⁽⁷⁵⁾
253- 268), (Western kentucky Uni., 3 August 1998), p.4; Genl G.:

op.cit., p. 324.

يذكر بعض المؤرخين أن تعداد قوات الإمبراطور فاليريان بلغ حوالي ٧٠,٠٠٠ جندي.

أنظر: حسين للشيخ: المرجع السابق، ص ٩٨.

غادرها إلى مدينة بيزنطة- على الساحل الغربي للبحر الأسود - ثم عاد إلى مدينة أنطاكية ليتولى مهمة الدفاع عن الشرق ضد الفرس^(٧٦).

وتقول الأحداث إن الإمبراطور فاليريان عبر في سنة ٢٥٩م الفرات، في مغامرة عسكرية غير محسوبة للدفاع عن مدينة الرها^(٧٧) ضد القوات الفارسية التي كانت تتقدم نحوها. وفي المعركة التي نشبت بين الجانبين على مقربة من أسوار مدينة الرها، قُتلت القوات الرومانية في اختراق صفوف القوات الفارسية، وسقط عدد كبير منها قتلى، وهزمت هزيمة ذكرا^(٧٨). وأشار بعض المؤرخين إلى أن معركة الرها وقعت في نهاية ربيع سنة ٢٦٠م^(٧٩). ويلقي بعض المؤرخين باللائمة على ماكريانوس Macriano، الوالي البريتوري للإمبراطور فاليريان، وذلك لأنه هو الذي أوعز للإمبراطور بعبور الفرات، وطمأنه على قدرة القوات الرومانية في تحقيق النصر، فوثق الإمبراطور في ذلك. ومن ثم فإن هذه- في نظر المؤرخين، يعتبر خيانة عظيمة^(٨٠).

ولم يكف الملك سابور الأول بالهزيمة الثقيلة التي أنزلها بالقوات الرومانية بل فرض عليها حصارًا شديدًا. وعلى الرغم من أن المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث لم تشير إلى مدة الحصار، فيبدو أنه قد طال، وذلك لأن المجاعة أطبقت على القوات الرومانية فمات منها الكثير، كما نفّس

Zosimus:

(76)

op.cit., Book I, p. 6.

(77) الرها Edessa: هي مدينة أورفا القديمة، تقع جنوب تركيا اليوم، على مسافة ٤٥ ميلاً أعلى شمال شرق للفرات وحوالي ١٦٠ ميلاً شمال شرق أنطاكية. أنظر:

Matthew Bunson: op.cit., p. 143;

عبد السلام محمد زيدان: الدعوة للحروب الصليبية على بلاد الشام ١٠٩٥-١١٨٩م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ٢٠٠٤، ص ٦٤، (هامش ٤).

Sextus Aurelius Victor: op.cit., p. 32. Cf also, Gibbon: op.cit., vol. I, (78)

Chapter: X, Part IV, p. 2; Richard N.: op.cit., p. 241.

Matthew Bunson: op.cit., p. 437. (79)

سيد أحمد الناصري: المرجع السابق، ص ٢٦٧.

Genl. G.: op.cit., p. 324; Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter X, (80)

Part IV, p. 2.

أيضاً وبياء الطاعون في تلك القوات. وعند ذلك حدث تمرد في المعسكر الروماني، وتعلت صيحات المتمردين متهمة الإمبراطور فاليريان بأنه هو السبب فيما تعرضوا له من تكبات، بل وطلبوه بالتعليم الفوري^(٨١).

ويذكر المؤرخ زوسيموس^(٨٢) أن الإمبراطور فاليريان لم يكن في وضع يمكنه من رفض مطالب الجنود، ولذلك فكر في إنهاء هذا الوضع المتأزم عن طريق شراء سلامته وسلامة قوته، فبعث بسفارة إلى الملك سابور عارضاً عليه مبلغاً كبيراً من الذهب مقابل السماح للقوات الرومانية بعبور الفرات. ولكن سابور، الذي كان يدرك تماماً أن ميزان القوة العسكرية في صالحه، رفض هذا العرض، وطالب أعضاء السفارة بأن يخبروا سيدهم بأنه لا بد من اجتماعه مع الملك، وذلك لمناقشة المسائل التي يرغب في ترحيلها.

وكمحاولة للضغط على الإمبراطور تقدم سابور على رأس قواته في تشكيل معركة تجاه المعسكر الروماني، متمسكاً بالمفاوضة شخصياً مع الإمبراطور فاليريان^(٨٣).

وعند ذلك وحتى ينفذ الأمر ما تبقى من قوته فقد وافق على مقابلة الملك سابور، مضحياً بحياته وكرامته، ومقترضاً ثقة كبيرة فيه، ولكن المقابلة انتهت بما لم يكن في الحسبان، فقد ألقى سابور القبض على الإمبراطور، ولم يكن أمام القوات الرومانية، التي أصابها الدهشة سوى تسليم أسلحتها^(٨٤).

وعلى أية حال، تعد هذه الحادثة ضربة هائلة وفضيحة إلى هيبة الرومان، وانتصاراً كبيراً للملك سابور الأول، الذي احتفل بنكرى عمله الباهر بنقشه على إحدى الصخور التي ما تزال تشاهد حتى اليوم في فارس^(٨٥). وإذا

Zosimus: op.cit., Book I, p. 7; Cf also; Gibbon: op.cit., vol. I, (81)
Chapter X, Part IV, p. 2; Genl, G: op.cit., p. 324.

New- History, Book I, p. 7. (82)

Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter X, Part IV, p. 2. (83)

Zosimus: op.cit., Book I, p. 7; Lactantius: De Mortibus (84)

Persecutorum, ed., and Tr., by J.L. Gread, (oxford, 1985), Chapter V
net; Eutropius: Abridgment of Roman History, Book IX, VII, p. 29.

Zosimus: op.cit., Book I, p. 7. Cf also, William G.: (85)

op.cit., p. 392.

كانت المصادر التاريخية الموجودة تحت يد الباحث لم تحدد العام الذي أسر فيه الإمبراطور فاليريان فقد ذكرت المراجع أن ذلك وقع في يونيه سنة ٢٦٠م^(٨٦).

ولقد كان لكارثة أسر الإمبراطور فاليريان دوراً كبيراً في ضياع ولاية ما بين النهرين الرومانية، والتي لم تسترد إلا قبيل اعتلاء الإمبراطور دقديانوس العرش الروماني بقليل^(٨٧). كما شهدت العسكرية الرومانية قمة انهيارها^(٨٨). ولاح في الأفق أن الفرس سوف يستردوا أملاك أجداهم القنماء في الشرق، وأن أماني أرششير الأول قد تتحقق.

ويقول بعض المؤرخين إن الانتصار الذي حققه الملك سابور الأول على الرومان سنة ٢٦٠م، وأسّر الإمبراطور الروماني فاليريان من أظلم اللحظات التاريخية بالنسبة للإمبراطورية الرومانية^(٨٩).

ووسط نشوة النصر، راح الملك سابور يملأ عرش الإمبراطورية الرومانية الشاعر بعمل له هو كيريادس Cyriades، أمير من مدينة أنطاكية، وهتفت القوات الرومانية، التي لا حول لها ولا قوة، لهذا الاختيار^(٩٠).

Genl. G.: op.cit., p. 324; Robert S.: op.cit., p. 22; Jacob Burckhardt: ^(٨٦) op.cit., p. 32; Roger Collins: op.cit., p. 5; The New Encyclopaedia Britannica, Vol. X, (London, 1979), p. 337.

شارلزورف: المرجع السابق، ص ١٨٥؛ موريس كروزيه: المرجع السابق، ج٤، ص ٥٣١، ٥٣٨؛ حسين الشيخ: الرومان، ص ٢٧٨؛ حسن الإبياري: المرجع السابق، ص ٢٧٨؛ آرثر كريستس: المرجع السابق، ص ٥٣١.

^(٨٧) موريس كروزيه: المرجع السابق، ص ٥٣١.

^(٨٨) حسن الإبياري: المرجع السابق، ٢٧٨.

^(٨٩) Matthew Bunson: op.cit., p. 375.

^(٩٠) Gibbon: op.cit., vol. 1, Chapter X, Part 1V, p. 2;

آرثر كريستس: المرجع السابق، ص ٢١٠.

وكيريابوس سليل إحدى الأسر النبيلة في أنطاكية، وعضواً في الطبقة الميناتورية في المدينة، وطبقاً لإحدى التقارير، فإنه كان يعيش حياة خذعة ثم سرق كميات كبيرة من الذهب وفضضة وهرب إلى فارس. وطبقاً لتقارير أخرى، كان عضواً في مجلس السناتو لكنه طرد منه بسبب اختلاسه بعض الأموال، ولذلك هرب إلى الملك سابور، عارضاً عليه خيانة أنطاكية. أنظر:

Glanville: op.cit., p. 255.

وكرد للجميل قاد كيريادس القنولت الفارسية مع سابور تجاه مدينة،
أنطاكية، وكانت تحركات الخيالة للفرس سريعة جدًا لدرجة أن المدينة أخذت
على غرة وأعلنت القنولت الفارسية النهب والسلب في ميايها الحكومية
والخاصة، وأيدت أعداد صغيرة من السكان، كما تحول الكثير منهم إلى العبودية،
حيث تم نقلهم إلى بلاد فارس^(٩١). وهؤلاء كانوا ممن لديهم خبرات فنية^(٩٢).

والحقيقة أن أسر الإمبراطور فاليريان ثم الاستيلاء على مدينة أنطاكية
مرة أخرى بواسطة الفرس ترك سوريا وبقية الأراضي الرومانية في الشرق
تحت رحمة فارس؛ لا سيما عندما نعلم أن جالينوس (٢٥٣ - ٢٦٨م)
Gallienus، الذي اعتلى العرش الروماني بعد أسر والده، كان مشغولاً في
الغرب، ولم يقم بأي عمل عسكري ضد الفرس في الشرق^(٩٣).

وباستثناء مدينة حمص Emesa^(٩٤)، التي تولى الدفاع عنها حاكمها،
الذي ظهر في جذابه الكهنوتي على رأس حشد من الفلاحين، لم تكن هناك أية
مقاومة للملك سابور الأول^(٩٥).

وفي الوقت الذي امتدت فيه يد الخراب والدمار في سوريا على يد الملك
سابور كانت هناك قنولت فارسية أخرى تفرض حصاراً شديداً على مدينة
قيصرية^(٩٦)، عاصمة إقليم كبادوكيا Cappadocia^(٩٧)، ولقد دافع عنها حاكمها
ديموسين دفاعاً قوياً، ولم يكن ذلك بأمر من الإمبراطور جالينوس، ولكن بقرار

^(٩١) Glanville: op.cit., p. 256- 258; Genl.G.: op.cit., p. 324; Gibbon:

op.cit., vol. I, Chapter, X, Part IV, p. 2.

Glanville: op.cit., p. 259, 261. ^(٩٢)

Ibid., p. 262. ^(٩٣)

^(٩٤) حمص Emesa: إحدى مدن سوريا الواقعة على نهر أورنتس Orontes. أنظر:

Matthew Bunson: op.cit., p. 146.

Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter X, Part IV, p.2. ^(٩٥)

^(٩٦) قيصرية Caesarea: مينا بحري كبير على ساحل البحر المتوسط في فلسطين، في

منطقة ساماريا - جلاثيا Samaria- Galatia. كانت تسمى قديماً مدينة ستراتونيس

Stratonis، أو مدينة سترالو Strato's. أنظر: Matthew Bunson: op.cit., p. 68.

^(٩٧) كبادوكيا Cappadocia: إقليم إستراتيجي هام يقع في شرق آسيا الصغرى، فصل

الإمبراطورية الرومانية عن الإمبراطورية الفارسية. أنظر:

Matthew Bunson: op.cit., p. 71.

منه نفسه. وفي النهاية سقطت المدينة إثر تعرضها للخيانة، وأفلت ديموسين من
الفرس، رغم محاولاتهم القبض عليه حاليًا، ودارت أعمال السلب والنهب والقتل
في المدينة، كما نقل بعض سكانها وكنوزها إلى بلاد فارس^(٩٨).

ونفذت القوات الفارسية عبر آسيا الصغرى حتى شواطئ البحر الأسود،
وكان في إمكاتها احتلال آسيا الصغرى كلها وتطهيرها من جيوب القوات
الرومانية، لولا أن الفرس كان ينقصهم القيادة العمسكرية ذات الأهداف
الاستراتيجية المحددة، ولذلك كانوا لا يعرفون ماذا يريدون، ومن ثم فقد تحولوا
إلى جماعات صغيرة متناثرة هدفها السلب والنهب والدمار، ومتعزلة كل عن
أخرى^(٩٩).

وعلى أية حال بدأ الرومان في ترتيب المقاومة، ولم يكن للإمبراطور
جالينوس أي نور في ذلك^(١٠٠). حيث راح أحد القادة الرومان - والذي يدعى
ماكريانوس Macrianus ومعه كاليستوس Callistus - قائد آخر، يجمعان
فلول قوات الإمبراطور فاليريان المتفرقة في سوريا، سم خُملت على السفن
ونزلت على سواحل كيليكيا، وفاجأت القوات الفارسية هناك، فقتلت منها أعداد
كبيرة، وتم أسر عريه الملك سابور ومتاعه وبعض من حريمه. الأمر الذي
دفعه إلى إخلاء آسيا الصغرى والتراجع ناحية القلعة^(١٠١).

ويذكر المؤرخ زوسيموس^(١٠٢)، أن الفرس لم يقمدر لهم أن يهزلوا
بالغنائم التي حملوها من الأراضي والمدن الرومانية، وذلك لأن الإمبراطور

Gibbon: op.cit., vol.I, Chapter X, Part IV, p.2; William G.: op.cit.,⁽⁹⁸⁾
p. 392; Richard N.: op.cit., p. 241.

سيد أحمد على الناصري: المرجع السابق، ص ٣٦٩.⁽⁹⁹⁾

William G., op. cit., p. 392.⁽¹⁰⁰⁾

Jacob Burckhardt: The Age of Constantine, p. 33; Glanville: op.cit.,⁽¹⁰¹⁾
p. 262.

سيد أحمد على الناصري: المرجع السابق، ص ٢٦٩. ويذكر أحد المؤرخين أن ماكريانوس
كان حاكمًا على أفريقيا، وأن المعركة بينه وبين الفرس وقعت بالقرب من كوزيكوس
Cozycus. أنظر حسين الفيح: للرومان، ص ٩٨.

New- History, p. 6, 7, 8.⁽¹⁰²⁾

Eutropius: op.cit., Book IX, X, p. 29. Cf also, William G.,
op.cit., p. 393.

جالينوس أصدر أوامره إلى حاكم بالميرا، أوديناثوس Odenathus، بإنقاذ الشعوب الشرقية من الملك سابور الأول وجنوده، وبناءً على ذلك، جمع أوديناثوس بقايا الجيش الروماني المشتتة في سوريا وضمها إلى قواته، وفي المعركة التي دارت بينه وبين سابور على ضفاف الفرات حقق نصراً مدوياً على الفرس، واسترد بلاد ما بين النهرين، وحاصر مدينة طيمفون، ولكنه فشل في الاستيلاء عليها.

وكانت نتائج حرب أوديناثوس مع سابور الأول بالغة الأهمية، وهي:

ولاً: أنقذت مستلكات الإمبراطورية الرومانية في الشرق^(١٠٣).

ثانياً: قضت على آمال سابور الأول في استعادة أملاك أجداده القدماء، وأجبرته على اعتزال الحياة العسكرية، وأن يقضي ما تبقى من حياته في أعمال البناء والتعمير^(١٠٤).

ثالثاً: حصول أوديناثوس، من قبل الإمبراطور جالينوس، كاعتراف بالجميل، على لقب ملك، وقائد عام للقوات الرومانية في الشرق^(١٠٥).

رابعاً: المحافظة على هيبة روما^(١٠٦).

خامساً: توقف التهديد الفارسي للإمبراطورية الرومانية، والذي بدأ منذ سنة ٢٢٦م، مع قيام الأسرة الساسانية في حكم فارس.

أما إذا تحولنا إلى الإمبراطور فاليريان الأسير فسنرى أنه قد تم حمله إلى فارس، وقضى خمس سنوات في ذل العبودية، في مدينة برسبيوليس Persepolis (جنديسابور)^(١٠٧). لقد عوامل بمنتهى الوقاحة من قبل سابور

^(١٠٣) Eutropius: op.cit., Book IX, XI, p. 29.

^(١٠٤) سيد أحمد على الناصري: للمرجع السابق، ص ٣٦٩.

^(١٠٥) Eutropius: op.cit., p. 262; William G.: op.cit., p. 394; Pat Tontherm;

op.cit., p. 22.

موريس كروزيه: المرجع السابق، ج٢، ص ٥٣٢. يذكر بعض المؤرخين أن الإمبراطور جالينوس أتم على أوديناثوس بلقب إمبراطور. أنظر: آرثر كريستن: للمرجع

السابق، ص ٣١٣؛ Glanville: op.cit., p. 263.

^(١٠٦) Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter X, Part IV, p.3

^(١٠٧) Genl. G.: op.cit., p. 324;

آرثر كريستن: للمرجع السابق، ص ٢١٠.

الأول الذي عرضه لتشاهده الجماهير وهو مكبل بالأغلال، في حلقه الإمبراطورية، كما أن سابور استخدم الإمبراطور الروماني كركاب لحصانه، فعندما كان يرغب في امتطاء صهوة جواده كان يضع قدمه على رقبته، قائلاً مع ابتسامة تعبير *reproach*، "إن هذه هي الحقيقة، التي يجب على الروماني أن يرسموها على لوح أو ينقشوها على الملاط"، كما أن سابور كان يجبر الإمبراطور على أن يحمّله ليركبه عربته متى أراد⁽¹⁰⁸⁾. وفي نفس الوقت، وبأمر من سابور، ارتدى فاليريان لباس العبيد⁽¹⁰⁹⁾.

وبقى الملك سابور الأول سادراً في غيبه، عنيذاً لا يلين، على الرغم من اعتراضات أصدقائه، الذين نصحوه مراراً أن يعامل الإمبراطور معاملة حسنة، وعليه أن يتذكر تقلبات الزمن، وأن الرومان ربما يستعيدوا قوتهم، ولذلك عليه أن يجعل من أميره الكبير رهينة للمصلح والسلام، وليس هدفاً للإهانة والإساءة⁽¹¹⁰⁾.

وفي النهاية، وبعد خمس سنوات من الأسر والإذلال، مات الإمبراطور فاليريان سنة ٢٦٥م⁽¹¹¹⁾، في مدينة جنديسابور⁽¹¹²⁾.

وكما يقول المؤرخ الروماني لاكتانثيوس *Lactantius*⁽¹¹³⁾ تم سلخ الإمبراطور فاليريان، وحشي جلده بالثين، وصنخ بالسليكون *Vermilion*، حتى أصبح على هيئة إنسان، ووضع في معبد إله الفرس؛ كتذكّر للنصر وعلامة قوية على ما فعله سابور بالرومان. ويستطرد لاكتانثيوس موضحاً أن الهدف من

⁽¹⁰⁸⁾ Lactantius: op.cit., Chapter V Net; Sextus Aurelius Victor: op.cit., p. 32. Cf also, Genl. G.: op.cit., p. 32.

⁽¹⁰⁹⁾ Marcel Le Glay: op.cit., p. 420.

⁽¹¹⁰⁾ Gibbon: op.cit., vol. I Chapter X, Part IV, p.3.

⁽¹¹¹⁾ Genl. G.: op.cit., p. 324.

يذكر بعض المؤرخين أن فاليريان مات سنة ٢٦٠م. أنظر:

Marcel Le Glay: op.cit., p. 420.

⁽¹¹²⁾ آرثر كريستمن: المرجع السابق، ص ٢١٠.

⁽¹¹³⁾ De Meribus Persecutorum, Chapter N Net;

Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter X, Part IV, p. 3; John B. Firth: وأنظر أيضاً:

Constantine The Great, (London, 1905), p.2.

الاحتفاظ بجاد الإمبراطور فاليريان أيضًا هو أن السفراء الرومان عندما يروه في المعبد الفارسي "قلن يضعوا ثقة كبيرة في قوتهم".

وعلى أية حال، ينفرد المؤرخ جينيل ج^(١١٤)، الذي روى قصة سلخ الإمبراطور فاليريان وحشوه بالثبن أيضًا، بالإشارة إلى أن هذا الجلد كان موضوعًا في المعبد الرئيسي لمدينة برسيبوليس، وأنه حفظ لعدة أجيال.

والجدير بالذكر، أن المؤرخين المسيحيين يروا أن ما حدث للإمبراطور فاليريان على يد الملك سابور الأول إنما هو عقاب من الله على ما ارتكبه من اضطهاد في حق المسيحيين، وأن هذا العقب يعتبر جديد في نوعه، وسيكون درمًا على مر العصور للمقبلة موضعًا "أن خصوم السماء يتلقون المكافأة العادلة على ظلمهم"، ولأن يتجاسر أحد بعد ذلك على أن يقوم بأي اضطهاد ضد المسيحيين مثلما فعل فاليريان وإلا فسوف يتعرض للانتقام "الإله الواحد، الذي حكم وعضد كل الأشياء"^(١١٥). والباحث من ناحيته لا يوافق على هذا الرأي، لأن الحروب يحدث فيها الكثير، كما أن ما تعرض له الإمبراطور فاليريان إنما تابع من الكراهية الشديدة التي يكنها الملك سابور للرومان، والهزائم التي لحقت بالفرس من قبلهم.

وإذا كان لاكتانتيوس يرى أن عدم معي الإمبراطور جالينوس للمطالبة بعودة والده فاليريان أو حتى قيادة الجيوش لتخليصه من الأسر عقاب إلهي للإمبراطور فاليريان.

فالذي يجب إدراكه أن جالينوس لم يكن يمتلك القوة التي تمكنه من المجازفة بالقيام بعمل عسكري، غير محسوب العواقب، ضد الملك سابور الأول.

East And West Through Fifteen Centuries, p. 324. ^(١١٤)

Lactantius: De Meritibus Persecutorum, Chapter V Net. ^(١١٥)

لما عن اضطهاد الإمبراطور فاليريان للمسيحيين، فنقول كتب للتاريخ أن الرجل أرغمهم على تقديم الذبائح للإلهة، وتقديم شهادة تثبت القيام بذلك، وحدد أنواع العقوبات للمخالفين، قالموت لأعضاء الأكليروس والأشغال للشافة للآخرين. أنظر:

Marcel Le Gay: op.cit., p. 419; Genl. G.: op.cit., 325-331.

موريس كروزيه: المرجع السابق، ج٢، ص ٥٣٨.

وتروي لنا المصادر الإسلامية رواية مختلفة تمامًا عن مصير الإمبراطور فاليريان فتقول إن الملك سابور حمل الريانوم وجماعة كثيرة وأسكنهم جنديسابور، "وأخذ لريانوم ببناء شاذراون تستر على أن يجعل عرضه ألف ذراع فبناه الرومي بقوم أشخصهم إليه من الروم، وحكم سابور في فكاكه بعد فراغه من الشاذراون، فقيل أنه أخذ منه أموالاً عظيمة وأطلقه بعد أن جدد أنفه، وقيل أنه قتله" (116).

ويرى بعض المؤرخين أن المد الذي بني في تستر هو المد الذي يستخدم في أيامنا لتحويل مياه نهر قارون إلى المزارع التي تروي منه، ويعرف باسم "بند قيصر" أي مد الإمبراطور. ومما لا شك فيه أن هذا المد هو من صنع المهندسين الرومان، الذين وضعهم سابور الأول في جنديسابور (117).

واقصد خلد الملك سابور الأول انتصاره على الإمبراطور فاليريان في آثار عده. ففي نقش كبير، يعرف بنقش رستم، يرى سابور وهو يهب الحياة في عظمة، للإمبراطور فاليريان. وفي نقش ثاني على جوانب صخور مدينة سابور، يقف سابور في الوسط ممتطياً جواده، وكریادس واقفاً على رجليه، وتحته حصان الملك صوره آدمى على الأرض، وأمامه فاليريان راكعاً. أما النقش الثالث فعبارة عن أربع صفوف، وفي وسط الصف الثالث تظهر صورة كل من الملك والإمبراطور. فالملك يمتطي جواده وقد جندل تحت أقدامه صورة آدمية، ووقف بجانبه كریادس، وكان الإمبراطور راكعاً وباسطاً ذراعيه (118). إنه حقاً مشهد مخزي وعلامة على سقوط قوة وهيبة الرومان (119). ونقطة تحول خطيرة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الثالث الميلادي، والتي لعبت دوراً كبيراً في سقوط هذه الإمبراطورية في النهاية، لا سيما عندما نعلم

(116) الطبري: المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٨٣، لين الأثير: الكامل، ج ١، ص ٢٢٤.

(117) Richard N.: op.cit., p. 242; The Encyclopaedia Britannica, Vol. 23, (London, 1911), p. 804.

ارثر كريستن: المرجع السابق، ص ٢١٥، ٢١٠.

(118) Marcel Le Glay: op.cit., p. 420- 421; Richard N.: op.cit., p. 2.

موريس كروزيه: المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٣١؛ ارثر كريستن: المرجع السابق، ص ٣١٢ - ٣١١.

Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter X, Part IV, p.3 GlanvilleL: op.cit., (119) p. 310.

أن نتيجة معركة الإمبراطور فاليريان مع سايور الأول ظهرت عام بعد عام في العديد من الأقاليم الرومانية، وكانت عبارة عن مجاعة عامة وطويلة^(١٢٠).

وعلى أية حال، لم تكن هناك مواجهة بين أي إمبراطور روماني والفرس حتى وفاة الملك سابور الأول سنة ٢٧٠م^(١٢١). ولكن المواجهة عادت من جديد في عهد الإمبراطور أوريليان (٢٧٠ - ٢٧٥م) Aurclian، الذي استغل الفوضى الداخلية التي نشبت في فارس بعد وفاة سابور، وتقدم على رأس قواته إلى للشرق، حيث تمكن من استرداد أعالي بلاد ما بين النهرين من الفرس، وهاجم مدينة طيسفون ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها، فاكتفى بذلك، إلا أنه اغتيل أثناء عودته إلى مدينة روما^(١٢٢).

وعلى كل، اعتلى تاكيتوس (٢٧٥-٢٧٦م) Tacitus عرش الإمبراطورية الرومانية في أعقاب اغتيال الإمبراطور أوريليان نوفمبر ٢٧٥م، ولكن الأجل لم يطل به فمات في أبريل سنة ٢٧٥م، فخلفه على عرش الإمبراطورية الرومانية الإمبراطور بروبوس (٢٧٦ - ٢٨٢م) Probus، والذي لم يكن أسعد حظاً من سابقه من الأباطرة الرومان، ففي أغسطس سنة ٢٨٢م انقض عليه الجيش فجأة وقتله في سيرميوم Sirmium، واختار كاروس (٢٨٢ - ٢٨٣م) Carus إمبراطوراً خلفاً له^(١٢٣).

Genl. G.: op.cit., p. 324- 325. ⁽¹²⁰⁾

Roger Collins: op.cit., p. 6. ⁽¹²¹⁾

آرثر كريستنس: المرجع السابق، ص ٢١٥.

William G.: op. cit., 397; Jacob Burckhardt: op.cit., p. 38; Roger ⁽¹²²⁾

Collins: op.cit., p. 6-7.

يذكر بعض المؤرخين أن الإمبراطور أوريليان غادر روما في بداية سنة ٢٧٥م إلى الشرق لمهاجمة الفرس. ولكنه اغتيل أثناء تقدمه على مقربة من مدينة بيزنطة بواسطة قادة جيشه. أنظر:

Genl: G.: op.cit., p. 337.

Robin McMahon: Tacitus: (275-276 A.D.), (New- York Uni., ⁽¹²³⁾

updated: 2 Feb., 2000)., p. 1; Robin McMahon: Probus (276- 282

A.D.) (N-Y. Uni., update: 8 Ju., 1999) P.1; Genl. G.: op.cit., p. 339-

342; Matthew Bunson: op.cit., p. 75.

وخلال الفترة من ٢٧٥ وحتى ٢٨٢م لم تكن هناك أية مواجهات عسكرية بين الفرس والرومان.

وكان الإمبراطور كاروس يفكر في القيام بحملة عسكرية ضد الفرس، إلا أنه كان يتحين الفرص المناسبة. ولذلك ما إن وصلت الأخبار بتشغال الفرس في منازعاتهم الداخلية على العرش الفارسي، ووجود قسماً كبيراً من قواتهم على الحدود الهندية، حتى غادر روما في بداية شتاء سنة ٢٨٢م، وفي صحبته ابنة نوميريان Numerian، وعن طريق تركيا وآسيا الصغرى وصل إلى الحدود الفارسية. وفي محاولة منه لثب الحماض في قواته، راح يبين لها الثروة الطائلة الموجودة لدى الفرس والنعيم الذي يعيشون فيه^(١٢٤).

أما على الجانب الفارسي فإن باهرام الثاني (٢٧٦-٢٩٣م) Baharam II (فاهرام الثاني Vahram II)، للملك الفارسي، لم يكن مستعداً للدخول في حرب مع الرومان؛ نظراً للأوضاع الداخلية في فارس، ولذلك سعى لإيقاف هذه الحرب عن طريق شراء السلام من الرومان^(١٢٥).

وتروي كتب التاريخ أن سفراء الملك باهرام الثاني اللذين وصلوا إلى المعسكر الروماني مع غروب الشمس طلبوا مقابلة الإمبراطور، ولكن المقابلة التي أسهب المؤرخون في ذكر تفاصيلها لم تنته لشيء، وذلك لإصرار كلروس، الإمبراطور الروماني، على اعتراف باهرام الثاني بسيادة روما، وإلا سيحول بلاد فارس إلى أشجار بلا أوراق مثل رأسه الصلحاء، وذلك عندما خلع الكاب عنها ليراهن سفراء باهرام، الأمر الذي أدى لإصابتهم بالرعب وغادروا المعسكر الروماني على وجه السرعة^(١٢٦).

وعيرميوم Sirmum: مدينة تقع على نهر الساف Save تماماً جنوب نهر الدانوب وقرب

لبحراد الحديثة، في منطقة بانونيا. انظر: Matthew Bunson: op.cit., p. 390.

Eutropius: op.cit., Book IX, XVIII, p. 30; Zosimus: op.cit., p. 14; ⁽¹²⁴⁾

CF also Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter, XII, Part2, p. 5-6; Genl. G.:

op.cit., p. 343; Matthew Bunson: op.cit., p. 375.

Gibbon: op.cit., vol. I, p. 6; Genl. G.: op.cit., p. 343. ⁽¹²⁵⁾

GenL.G.: op.cit., p. 343; Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XII, Part2, ⁽¹²⁶⁾

P. 6; Robin Mc: Probus, p. I; John firth: op.cit., p. 4

ولم تكن التهديدات التي أطلقها الإمبراطور كاروس عيباً، فقد عبر
الفرات على وجه السرعة، وضرب بلادمايين النهرين، وأباد القوات الفارسية
التي تقابل معها، واستولى على مدينة سلوقية^(١٢٧) Seleucia، وعبر نهر دجلة
وهاجم مدينة طيسفون، التي لاح في الأفق أنها سوف تسلم^(١٢٨). وبسبب هذه
الأعمال الناجحة ضد الفرس فقد حصل على لقب إمبراطور الفرس Parthicus
Maximus^(١٢٩).

ولكن القدر لم يمهله ليحني ثمار نجاحه. فقد مات بصاعقة برق، في
معسكره على نهر دجلة، في ديسمبر سنة ٢٨٣م، على مقربة من مدينة
طيسفون^(١٣٠).

وعلى الفور نادت للقوات بنوميريان (٢٨٤ - ٢٨٥م) Numerian، بن
كاروس، إمبراطور^(١٣١).

وكان من المتوقع - بصفة عامة - أن يتبع الإمبراطور نوميريان خطى
والده في حربه ضد الفرس، ولكن هذا لم يحدث، لأن القوات الرومانية، على
الرغم من ضخامة عددها وتنظيمها تنظيمًا جديدًا، رفضت مواصلة القتال، بسبب
الربح الذي أصابها من جراء الطريقة التي مات بها كاروس، فقد اعتبرت أن
تلك سخط من السماء، وأن نهر دجلة حد مهلك للقوات الرومانية، كما تقول
الأسطورة القديمة، ولذلك طالبت من الإمبراطور أن يطيع إرادة الرب، وأن

^(١٢٧) سلوقية Seleucia: مدينة كبيرة وقديمة في بابلونيا، تقع على نهر دجلة، قرب بغداد
الحديثة، كانت عاصمة للمنطقة كلها لعدة سنوات حتى ظهرت مدينة طيسفون، وعلى
الرغم من لحطاطها مياسياً على أيدي البارثيين، فإنها لم تفقد عظمتها وأهميتها
التجارية. أنظر:

Matthew Bunson: op.cit., p. 380.

Eutropius: op.cit., Book IX, XVII, p. 30; Zosimus: op.cit., Book I, ^(١٢٨)
p. 14; CF also John Firth: op.cit., p. 4; Grousset: op.cit., p. 115.

Zosimus: op.cit., Book I, p. 14. ^(١٢٩)

Sextus Aurelius Victor: op.cit., p. 38; Eutropius: op.cit., Book IX, ^(١٣٠)
XIX, p.31; CF also Genl. G.: op.cit., p. 343.

Treadgold: op.cit., p. 13; Genl. G.: op.cit., p. 343. ^(١٣١)

يبتعد بهم عن مشهد الحرب المنحوسة، ولأنه لم يكن قادراً على إخضاع عنادهم فقد تخلى عن الحرب مع الفرس وارتمى ببطء إلى مدينة أنطاكية^(١٣٢).

وعلى أية حال، تشير كتب التاريخ إلى أن صلحاً عقد في سنة ٢٨٣م بين الرومان والفرس، والذي عن طريقه تنازل الملك الفارسي بهرام الثاني للرومان عن أرمينيا الصغرى وبلاد ما بين النهرين. والجدير بالذكر، أن الثورة التي قادها هورمزد، حاكم خراسان، ضد الملك بهرام الثاني، هي التي دفعتهم لعقد هذا الصلح^(١٣٣). وما يؤخذ على المؤرخين بخصوص هذا الصلح عدم إشارته إلى الشخص الذي عقد معه بهرام هذا الصلح، والذي يبدو أنه الإمبراطور نوميريان.

ويحكي التاريخ أنه أثناء تقدم الإمبراطور نوميريان إلى مدينة روما، وجد مقتولاً في خيمته، على مقربة من البوسفور، في سبتمبر منه ٢٨٤م. وعلى الفور نادى الجيوش الرومانية بدقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م) Diocletinn إمبراطوراً. وفي الحرب الأهلية التي نشبت على العرش الروماني بين دقلديانوس وكارينوس (٢٨٤ - ٢٨٥م) Carinus، الابن الثاني لكاروس، قتل الأخير في موزيا Moesia، فاعتلى الأول العرش الروماني منفرداً، مارس ٢٨٥م^(١٣٤).

ليبدأ فصل جديد في تاريخ العلاقات السياسية والعسكرية بين الرومان والفرس. بعد عامين من اعتلاء الإمبراطور دقلديانوس عرش الإمبراطورية الرومانية، وبالتحديد في سنة ٢٨٧م، تمكن عن طريق الاتفاق مع الملك الفارسي بهرام الثاني، من إعادة أرمينيا إلى النفوذ الروماني، عن طريق وضع مرشحه تيريداتس الثالث (٢٨٧ - ٣١٨م) Tiridates III على عرشها^(١٣٥). وبذلك

Gibbon: op.cit., vol. 1, Chapter XII, Part 3, p.1, Genl. G.: op.cit., p. (132)

344; Treadgold: op.cit., p. 13.

(133) آرثر كريستنسن: المرجع السابق، ص ٢١٧

Matthew Bunson: op.cit., p. 438.

Eutropius: Abridgement of Roman History, Book IX, XXX, p. 31; (134)

CF also Marcel G.: op. cit., p. 429; Genl. G.: op.cit., p. 344.

Treadgold: op.cit., p. 15; John B.: op.cit., p.6; Grousset: op.cit., (135)

115; Matthew Bunson: op.cit., p. 421.

عادت الحماية الرومانية على أرمينيا^(١٣٦). ووضعت الحرب أوزارها، ولو إلى حين، بين الفرس والرومان.

ولكن عندما اعتلى نارسس (٢٩٣ - ٣٠٢م) (Narseh) Narses العرش الفارسي، خيم جو الحرب على العلاقات بين الفرس والرومان مرة ثانية، وذلك لأنه استطاع أن يعيد قوة الإمبراطورية الفارسية سياسيًا وعسكريًا^(١٣٧)، وعند ذلك بدأ في توجيه كل قوته ضد الرومان^(١٣٨)، مقتديًا بجده سابور الأول، وأملًا أن يصبح سيدًا على الأقاليم الشرقية من الإمبراطورية الرومانية^(١٣٩). فاستغل نارسس انشغال الإمبراطور دقلديانوس بالقضاء على الثورة الاجتماعية التي شبت في مصر، آنذاك، وهاجم أرمينيا سنة ٢٩٧م، حيث تمكن من طرد تيريداتس الثالث عن عرشها، ثم انسابت القوات الفارسية في بلاد ما بين النهرين^(١٤٠).

ونظرًا إلى أن الإمبراطور دقلديانوس كان يرى أنه ليس من الكرامة أن تتخلى الإمبراطورية الرومانية عن قضية الملك الأرمني، الذي أحتمى بحماها بعد طرده سنة ٢٩٧م، فبعد القضاء على الثورة المصرية في مارس ٢٩٧م، أسرع إلى سوريا، واتخذ من أنطاكية مقرًا لإدارة دفة الحرب ضد الملك الفارسي نارسس^(١٤١).

ولكن الإمبراطور دقلديانوس الذي كان قريبًا من مسرح العمليات العسكرية لم يغامر بتولي قيادة القوات الرومانية بنفسه ضد الفرس، بل استدعى القيصر جاليريوس Gakerius، من على ضفاف الدانوب، ليتولى هذه المهمة^(١٤٢).

Gibbon: op.cit., vol., I, Chapter, XII, Part 2, p.3. ⁽¹³⁶⁾

Mathew Bunson: op.cit., p. 200. ⁽¹³⁷⁾

Gibbon: op.cit., vol., I, Chapter, XIII, Part2, p.4. ⁽¹³⁸⁾

Lactantius: op.cit., Chapter IX, Net. ⁽¹³⁹⁾

Eutropius: op.cit., Book IX, XXIII, p. 31. Cf also, William G.: ⁽¹⁴⁰⁾

op.cit., p, 409; Marcel G.: op.cit., p. 433.

Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XIII, Part 2, p.4; Genl. G.: op.cit., p. ⁽¹⁴¹⁾

348; William G.: op.cit., p. 409.

Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XII, Part2, p. 4; Marcel G.: op.cit., ⁽¹⁴²⁾

p. 433; Arther E.R.: op.cit., p. 345.

والسؤال الآن، لماذا لم يتول الإمبراطور نقلديانوس قيادة القوات الرومانية بنقعه ضد نارسس؟

يجيب على هذا السؤال المؤرخ لكتانتوريوس^(١٤٣) قائلاً إن انخفاض روح نقلديانوس المعنوية، وخوفه من قيام أي ثورات ضده، ومن أن يتعرض لنفسه للمصير الذي تعرض له الإمبراطور فاليريان من قبل هي التي دفعته إلى عدم مقابلة الملك الفارسي نارسس. والباحث من جانبه وإن كان له تحفظ على موضوع انخفاض الروح المعنوية للإمبراطور نقلديانوس، فإنه يوافق لكتانتوريوس على بقية ما قاله.

وعلى وجه السرعة تقابلت القوات الفارسية والرومانية في سهولة بلاد ما بين النهرين، على مقربة من كالنيكوم وكاري، وفي البداية كمان القتال متوازناً بين القوتين، ولكن المعركة انتهت بهزيمة ثقيلة للرومان^(١٤٤). وكانت النتيجة ضياع ولاية بلاد ما بين النهرين الرومانية^(١٤٥). التي تنازل عنها الملك الفارسي بهرام الثاني للرومان سنة ٢٨٣م.

وعن الأسباب التي أدت إلى هزيمة جاليريوس، قال بعض المؤرخين إن ذلك يعود لتهوره وانقاعه بعدد قليل من القوات لمهاجمة القوات الفارسية، التي كانت تتفوق عليه في العدد، هذا من ناحية^(١٤٦)، ووقوعه في خطأ كبير، تمثل في اختياره لمسرح العمليات العسكرية. فالأرض التي خاض عليها المعركة كانت عبارة عن منطقة سهلية، مساحتها ستون ميلاً، خالية من التلال، الأشجار وآبار المياه، ولذلك فإن الحرارة الشديدة والعطش أثرت على الروح المعنوية

De Mortibus Persencutorum, Chapter IX Net. ^(١٤٣)

Theophanes Confessor: The Chronicle, Tr by Cyril Mango and ^(١٤٤)

Roger Scott, (London, 1997), p. 12. Cf also, Arther E.,: op.cit., p.

345; Genl G.: op.cit., p. 348; Gibbon: op.cit., vol. I, p.4; The
Encycloepedia Britannica, Vol. 19, (London, 1910) p. 241.

سيد أحمد على الناصري: المرجع السابق، ص ٤٠٧. ^(١٤٥)

Euttopius: op.cit., Book IX, XXIV, p. 31. Cf also, Gibbon: op.cit., ^(١٤٦)

vol. I, Chapter XIII, Part2, p.4.

القوات الرومانية، التي وجدت نفسها محاصرة من قبل القوات الفارسية، من ناحية ثانية^(١٤٧).

وتجمع كتب التاريخ على أنه عند عودة القيصر جالليروس لأنطاكية، قابله الإمبراطور نقلديانوس مقابلته سيئة، لدرجة أنه أجبره على السير مسافة ميل أو أكثر أمام عربته مائتاً على أقدامه، ليراه أناس البلاط الملكي، كدليل على العار الذي لحق به^(١٤٨).

ويبدو أن الإذلال الذي لحق بالقيصر جالليروس من قبل نقلديانوس جعله يصر على منازلة نارمس مرة ثانية، ولذلك لم يكن أمام نقلديانوس سوى الموافقة نظراً لإحاحات جالليروس المتكررة، ولاسترداد شرفه، وشرف للجيش الرومانية. واستعد جالليروس هذه المرة استعداداً جيداً حيث قام بامتبدال القوات الآسيوية التي خاضت المعركة الأولى ضد الفرس بقوات أخرى مدربة ولديها خبرة عالية في القتال، كما قام بتجنيد أعداد إضافية من ألبانيا ومؤيزيا، وأحضر فرقة من القسوط Gothic، حتى أصبح لديه ٢٥٠٠٠ جندي^(١٤٩). وعلى رأس هذه القوات عبر الفرات، سنة ٢٩٨م، وبدلاً من التقدم خلال سهول بلاد ما بين النهرين المكتشفة، تقدم خلال جبال أرمينيا، وذلك لسببين^(١٥٠)، الأول: الحصول على مساعدة السكان الأرسن، والثاني: أن الأرض سوف تكون مناسبة لأعمال القتال الخاصة بقواته من المشاة وسوف تكون صعبة لتحركات الفرسان الفرس. وفي هجوم ليلي، وسط حالة من الاسترخاء في المعسكر الفارسي، انقضت القوات الرومانية على الفرس، وهرب الملك الفارسي نارسس بعد مقاومة قليلة إلى صحاري ميديا^(١٥١)، فتبعته قواته بعد ذبح أعداد كبيرة منها، وسط مطاردة مثيرة من قبل الجيش الروماني^(١٥٢).

Gibbon: op.cit., vol., I, Chapter, XIII. Part2. p.2; John B.: op.cit., p. 7.

The ophanes confesser: op.cit., p. 13; Eutropius: op.cit., Book IX, XXIV, p. 31. Cf also, John B., op.cit., p. 7; Genl G.: op.cit., p. 348.

Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XIII, Part2, p.5.

Eutropius: op.cit., Book IX, XXV, p. 32. Cf also, Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XIII, Part2, p.5.

(١٥١) ميديا: إحدى أقاليم فارس القديمة، بين نهري دجلة والفرات غرباً وبحر كامبيان إلى الشرق، وتحدها من الشمال أرمينيا ومن الجنوب آشوريا. انظر:

وتمثلت نتيجة المعركة في الآتي:

أولاً: ضياع أمل الملك الفارسي نارمس في الاستيلاء على الممتلكات الرومانية في الشرق.

ثانياً: أسر الملكة أرسان زوجة نارمس وأطفاله وأخوته، وعدد كبير من وجهاء الفرس وكميات كبيرة من خزائن الملك^(١٥٣).

ثالثاً: إجبار نارمس على طلب السلام من دقلديانوس كإجراء سريع ممكن عن طريقه، فقط، وقف تقدم الرومان داخل الأراضي الفارسية^(١٥٤).

رابعاً: أدت هذه المعركة الهيبية والكرامة إلى جالليروس، بل وأجبرت دقلديانوس على احترامه عندما قابلته في مدينة نصيبين، لدرجة أنه أجهز مجلس الشيوخ الروماني - فيما بعد - على الإحناء له، كما زين خلعه وأحذيته بالذهب واللؤلؤ والأحجار الكريمة^(١٥٥) كما كانت سبباً في أن جالليروس رفض لقب فيصر، فعندما سمع تلك الكنية في خطاب التهنية المرسل إليه من دقلديانوس، صاح عالياً بصوت مرعب وتغير في هيئته، "إلى متى سأظل فيصر"^(١٥٦).

وعلى أية حال، إن الانتصار الذي حققته للجيوش الرومانية على الفرس سنة ٢٩٨ م يعتبر من أعظم الانتصارات التي كسبتها روما على الفرس منذ حملات الإمبراطور تراجان (٩٨ - ١١٧ م) Trajan وفسباسيان (٦٩ - ٧٨ م)

Matthew Bunson: op.cit., p. 271.

Lactantius: op.cit., Chapter IX, Net; Eutropius: op.cit., Book, IX, (152)
XXV, p. 32.; Theophanes Confessor: op.cit., p. 13. Cf also, Gibbon:
op.cit., Vol. I, Chapter XIII, Part2, p.5.

(153)

Theophanes Confessor: op.cit., p. 13; Eutropius: op.cit., Book, IX,
XXV, p. 32; Gibbon: op.cit., Vol. I, Chapter, XIII, Part3, p.1.
Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XIII, Part3, p.1; John B., op.cit., p. (154)

7.

Theophanes Confessor: op.cit., p. 12; Eutropius: op.cit., Book IX, (155)
XXV, p. 32. Cf also, Gibbon: op.cit., Vol.I, Chapter 23, Part3, p. 32.

Lactantius: op.cit., Chapter IX Net. Cf also, John B.: op.cit., p. 7. (156)

Vespasian^(١٥٧). بل وآخر الانتصارات الكبرى؛ فلقد توقف الأباطرة بعده عن قهر أعداء روما، كما لم تعد روما عاصمة للإمبراطورية الرومانية^(١٥٨).

وقبل المضي قدماً في مناقشة مفاوضات السلام بين الملك الفارسي نارمس والإمبراطور دقلديانوس. تجدر الإشارة إلى أن جالليروس عامل زوجات وأطفال نارمس معاملة كريمة؛ فقد تم حفظهم في مكان آخر، ولم يتعرضوا لأي أعمال عنف أو اغتصاب^(١٥٩).

ولأن نارمس كان مثلهما على سراء السلام من الرومان، فقد بعث بأفاريان Apharban إلى دقلديانوس، وفوضه في عقد معاهدة سلام معه، أو الاستماع منه إلى الشروط التي سيفرضها. وفي اللقاء الذي تم في مدينة نصيبين بين دقلديانوس وجالليروس وأفاريان افتتح الأخير المحادثات بتقديم أسرى آيات شكر سيدة عن المعاملة الطيبة التي لاقها عائلته، وبالتالي إطلاق سراح هؤلاء الأسرى الأجلاء. ثم استرسل أفاريان موضحاً شجاعة القيصر جالليروس، ولكنه في نفس الوقت لم يقلل من عظمة الملك نارمس. كما راح يُنكر الورمان بأنه لا يجب عليهم أن ينسوا تقلبات الزمن. وفي النهاية اختتم حديثه بتوضيح أن الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية هما العيون التي يرى بهما العالم، وإذا توارت إحداهما من التاريخ وبقيت الأخرى فإن العالم سوف يصبح أعور^(١٦٠).

وعند ذلك أجاب جالليروس بغضب شديد أدى إلى تغير سمات وجهه قائلاً: حسناً أصبح الفرس يتحدثون عن تقلبات الحظ، ويحاضروا لنا عنفاعليات الاعتدال، دعمهم يتذكرون اعتدالهم، تجاه الإمبراطور فاليريان التعميس. لقد تغلبوا عليه بالخداع، وعاملوه بدون كرامة. احتفظوا به حتى آخر لحظة في حياته في أسر مذل، وبعد وفاته عرضوا جسده لعار دائم^(١٦١). وهنا نرى أن جالليروس يحاول أن يوضح لأفاريان أنه إذا كان الفرس يتحدثون عن تقلبات الزمن وفاعليات الاعتدال، فلماذا لم يتذكروا ذلك يوم قبضوا على الإمبراطور

John B.: op.cit., p. 7. (157)

إدوارد جيبون: المرجع السابق، ج ١، ص ٢١٠. (158)

Gibbon: op.cit., Vol. I, Chapter XIII, Part2, p.5. (159)

ibid, Part3, p.I. (160)

Loc-Cit. (161)

فأليريان. إن جالليروس يحاول أن يقول لأقربان لا تتحدثوا عن تقلبات الزمن ولا عن الاعتدال لأنكم نستم أهل لذلك.

ثم ما لبث جالليروس أن خفض من حدة الكلام، موضعا لأقربان أنها ليست عملية أن يدوس الرومان على العدو المنبسط، فكرامة الرومان لا تقبل ذلك. وفي النهاية صرف جالليروس أقربان موضعا له أن الملك نارسس سوف يتم إخباره على وجه السرعة بالشروط التي يرغب في الحصول عليها، الرحمة من الأباطرة، السلام الدائم، واستعادة زوجاته وأطفاله⁽¹⁶²⁾.

وتعليقا على ما قاله القيصر جالليروس لأقربان يقول المؤرخ إدوارد جيبون⁽¹⁶³⁾ إن هذه المحادثة ربما كشفت عن طبيعة جالليروس الحادة، واختلافه عن الإمبراطور دقلديانوس الذي كان يمتاز بالحكمة والتعقل. لا سيما عندما نظم أن جالليروس عرض على دقلديانوس غزو بلاد فارس وتحويلها إلى ولاية تابعة للرومان، ولكن الأخير انتهب الفرصة، ورغب في تكليل حريه الناجحة بسلام مشرف ومفيد للإمبراطورية الرومانية.

وعلى أية حال، تنفيذا للوعد الذي أعطاه جالليروس لأقربان تم إرسال سيكوريوسه بروبوس Scorcicus Probus إلى البلاط الفارسي. وهناك استقبل استقبالاً حافلاً، ولكن تحت ادعاء حصوله على قسط من الراحة تم تأخير اجتماعه مع نارسس لعدة أيام، وفي النهاية تمت المقابلة قرب نهر أمبروورس في ميديا⁽¹⁶⁴⁾.

والحقيقة أن الباعث الخفي وراء تأخير لقاء الملك الفارسي نارسس بالمفسير الروماني يكمن في أن نارسس كان يهدف إلى جمع قوة عسكرية تمكنه من التفاوض بقوة، وأنه لديه رغبة صادقة في السلام مع أنه قوي عسكرياً⁽¹⁶⁵⁾.
والجدير بالذكر، أنه في المفاوضات التي دارت بين الجانبين طالب الرومان بأن تكون مدينة نصيبين مكاناً للتبادل التجاري بين الإمبراطوريتين،

Loc- Cit. (162)

Decline and fall of the Roman Empire, Vol. I, Chapter XIII, Part3, (163)
p. 1. Net.

Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XIII, Part3, p. 1 Net. (164)

Loc-Cit. (165)

ولكن نارسس رفض هذه المادة من المعاهدة^(١٦٦). وفي النهاية وقعت اتفاقية السلام بالبنود الآتية:

أولاً: أن يكون نهر أبوراس Aboras (الخابور) الحد الطبيعي الفاصل بين الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية^(١٦٧).

ثانياً: اعتراف الملك الفارسي نارسس بحق الرومان في امتلاك بلاد ما بين النهرين.

ثالثاً: موافقة نارسس على خضاع مملكة أرمينيا للرومان.

رابعاً: تنازل ملوك فارس عن حق تعيين ملوك إيبيريا Iberia^(١٦٨). إلى الأباطرة للرومان^(١٦٩).

خامساً: تنازل ملوك فارس أيضاً عن خمسة أقاليم وراء نهر دجلة. أربعة من هذه الأقاليم تقع إلى الشمال من النهر وهي إنتيلين Intiline، زابديسن Zabdiccnc، أرزانيين Arzanene ومومكون Moxonene، وهي أقاليم غير مسموعة ولا يعتد بمساحتها. أما الخامس فهو إقليم كاردين Carduene الجبلي ذات المساحة الشاسعة^(١٧٠). وهذه الأقاليم تمثل إقليم كردستان Kurdistan اليوم، وتقع جنوب بحيرة فان Van^(١٧١).

Gibbon: op.cit., vol. I, p. 1-2. ^(١٦٦)

أرتثر كريستمن: المرجع السابق، ص ١١٥ - ١١٦.

Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XIII, Part3, p.2. ^(١٦٧)

^(١٦٨) إيبيريا Iberia: مملكة في القوقاز، تقع بين بحر كاسبيان Caspian والبحر الأسود.

معروفة بجمالها وثمارها، لا سيما عندما تتم المقارنة بينها وبين البرابرة المجارين لها

شمالاً والأرمن جنوباً. كانت إيبيريا تحتل دائماً في المؤرخات القديمة مع مملكة

بوسبوروس Bosphorus، التي كانت أيضاً تقع قرب البحر الأسود. أنظر: Matthew

Bunson: op.cit., p. 201

.Genl. G.,: op.cit., 348; Arthur E.,: op.cit., p. 345. Matthew- ^(١٦٩)

Bunson: op.cit., p. 29; John B.,: op.cit., p. 7; Previte Orton: op.cit.,

Tom. I, p. 36.

Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XIII, Part3, P.2; Marcel G.: op.cit., ^(١٧٠)

p. 433; John B. op.cit., p. 7; Grande Encyclopedie, Tom vingt-

Quatrieme (paris, N.D.), p. 814.

Previte Orton: op.cit., Tom. I, p. 36. ^(١٧١)

والحقيقة أن هذه الأقاليم الخمسة كانت صبرة عن خمسة حواجز جبلية وممرات مهمة لكل من الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية، كما أن مملكة أرمينيا الجبلية كانت عبارة عن برج في زلوية حصن لا يقدر بثمن للإمبراطورية الرومانية^(١٧٢).

سادسًا: إطلاق سراح أرسان زوجة الملك نارسس وأولاده من الأمر الروماني^(١٧٣). وهذا هو المقابل الوحيد الذي حصل عليه نارسس من معاهدة سلامه مع الرومان.

وعلى أية حال، لم يتفق المؤرخون حول التاريخ الذي عقدت فيه هذه المعاهدة، فهناك من يقول أنها عقدت سنة ٢٩٦م^(١٧٤). وآخر قال إن ذلك كان في سنة ٢٩٧م^(١٧٥). وثالث اختار تاريخ ٢٩٨م^(١٧٦). والتاريخ الأخير هو الذي يتفق معه الباحث، لأنه يواكب سير الأحداث.

والمواقع أن المعاهدة سالف الذكر تعتبر نصرًا مدويًا إلى الإمبراطورية الرومانية^(١٧٧)، وإذلالاً لا حد له للفرس^(١٧٨).

ويبرز الآن تساؤل هام عن النتائج التي توصل إليها هذا البحث. إن من أهم النتائج أن الأهداف السياسية التي بدأ من أجلها أردشير الأول الحرب على روما، ومن بعده ابنه سابور الأول ثم نارسس، والمتعلقة باسترداد أملاك أجدادهم القديمة وهي سوريا ومصر وأسيا الصغرى لم يتحقق منها شيئًا.

ومن أهم للنتائج أيضًا حصول الرومان على بعض المكاسب الجديدة من الفرس، ورغم صغرها، فإنها تعتبر فتوحات جديدة للإمبراطورية خلال القرن الثالث الميلادي. والمهم جدًا إعراف الفرس بالتفوق الروماني^(١٧٩).

Loc-Cit. (172)

سيد أحمد على الناصري: المرجع السابق، ص ٤٠٨. (173)

Previte Orton: op.cit., p. 36. (174)

آرثر كريستسن: المرجع السابق، ص ٢٢٣. (175)

Marcel G.: op.cit., p. 433. (176)

Pervite Orton: op.cit., Tom. 1, p. 36. (177)

Mathew Hunson: op.cit., p. 375. (178)

Warren Treadgold: op.cit., p. 22; Gibbon: op.cit., vol. 1, Chapter (179)

XIII, Part2, p.3.

ولعل من أبرز النتائج على الجيش الفارسي هلاك الكثير منهم في أتون هذا الصراع لدرجة أنه في المعركة الأخيرة بين نارسس والقيصر جالليروس هلكت معظم القوات أو - كما قال بعض المؤرخين - كلها^(١٨٠).

وعلى صعيد أسرى الحروب بين الفرس والرومان يمكن القول إن الرومان كانوا أرفع منزلة في معاملة الأسرى من الفرس، وهذا ما لمسناه خلال هذه الدراسة.

ومن أبرز النتائج أيضاً معاهدة السلام التي عقدت سنة ٢٩٨م بين الملك نارسس والإمبراطور دقلديانوس وجالليروس، والتي ترتب عليها الهدوء على الجبهة الشرقية الرومانية، على الأقل ضد الفرس، طيلة أربعين عاماً^(١٨١). وإنهاء المصالحة الشرقية على أسس مرضية جداً ومشرفة إلى روما^(١٨٢).

أما فيما يخص مملكة أرمينيا فقد حسم النزاع حولها لصالح الرومان. وكان الجديد أيضاً، أنه بخضوع مملكة لبيريا للرومان سوف تسزداد قوتهم وسلطتهم في آسيا^(١٨٣).

ومن النتائج أيضاً تقوية الدفاعات الرومانية على حدودها الشرقية. وخروج الإمبراطورية الرومانية من صراعها مع الفرس في نهاية القرن الثالث الميلادي أقوى بكثير مما كانت عليه أيام الأباطرة ثراجان، هادريان (١١٧-١٣٨م) Hadrian، ماركوس أوريليوس (١٦١-١٨٠م) Marcus Aurelius، لا سيما عندما نعلم أنها استطاعت كبح جماح البرابرة على جميع حدودها^(١٨٤). وختاماً للموضوع، لم تكن الأسرة الساسانية في صراعها مع الرومان أسعد حظاً من الأسرة البارثية. وأن الصراع بين الشرق والغرب لم ينته ولكنه يخبو حيناً ويظهر حيناً آخر حسب الظروف السياسية.

Theophanes Confessor: op.cit., p. 13. ⁽¹⁸⁰⁾

Genl G.: op.cit., p. 348. ⁽¹⁸¹⁾

John B.: op.cit., p. 8. ⁽¹⁸²⁾

Gibbon: op.cit., vol. I, Chapter XIII, Part3, p.2. ⁽¹⁸³⁾

Genl .G.: op.cit., pp. 348- 349. ⁽¹⁸⁴⁾

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأجنبية:

- 1- Aelius Lampridius: The Life of Severus Alexander, Tr. By David Magie, section of the Historia Augusta, (Harvard Uni., Press, 1924, 1993).
- 2- Eutropius: Abridgment of Roman History, Literally Tr., by Rev- John Selby, (Watson, London, 1886).
- 3- Cassius Dio: Roman History, Tr., by Eranesi Cary, (Harvard, Uni., Press, 1914).
- 4- Lactantius: De Mortibus Persecutorum, ed. and Tr., by J.L. Grrad, (Oxford, 1985) Net.
- 5- Sextus Aurelius victor: Abbreviated from his books, Tr., by Thoms M. Banchich, (N.Y., Net 2000).
- 6- Theophanes Confessor: The Chronicle, Tr., by Cyril Mango and Roger Scott, (London, 1977).
- 7- Zosimus: New History, Tr., From the original Greek by W. Green and T. Chapline, Book 1, (London, 1814).

ثانياً: المصادر العربية:

- ١ ابن الأثير: (ت. ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، الجزء الأول، (القاهرة، ١٣٤٨هـ).
- ٢ الطبري: (ت. ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج١، (القاهرة، ١٣٥٧-١٩٣٩م).
- ٣ القلقشندي: (ت. ٨٢١م / ١٤١٨م)، أبي العباس أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٤، تقديم فوزي محمد أمين، للنخائر، ١٣٣ (للقاهرة، ٢٠٠٥م).
- ٤ سعيد بن بطريق: كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، (بيروت، ١٩٠٥م).

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- 1- Bryce Lyon and Other: A History of the western world, vol., 1, Second Edition, (U.S.A.1974).
- 2- Christian Korner: Aurelian (A.D. 270-275), (Uni., of Bern update: 20 Jul., 2001).
- 3- Cyril Mango: Byzantium, (London, 1980).
- 4- Edward Gibbon: History of the Decline and Fall of the Roman Empire, vol. I, (Net 2005).
- 5- Encyclopaedia Britannica, vol., 19, London, 1910), vol. 23, (London, 1911).
- 6- Genl G.F. Young: East and West Through Fifteen Centuries Vol., I, (London, 1916).
- 7- Glanville Downew: A History of Antioch in Syria (Princeton Uni., Press, 1961).
- 8- Herbert W. Benario: Alexander Severus, (A.D.222-235), (Emory Uni., 15 June 2001).
- 9- Jacob Burckhardt: The Age of Constantine The Great, (New York, 1949).
- 10- John B. Firth: Constantine The Great, (London, 1905).
- 11- John A.H.M.: The Decline of the Ancient World, (London, 1966).
- 12- La Grande Encyclopedie, Tom vingt- Quatrieme (Paris, N.D.).
- 13- Marcel Le Glay et Other: A History of Rome, Tr. By Antonia Nevill and other, (United Kingdom, 2005).
- 14- Michael L. Meckler: Phillip the Arab (242-249 A.D.), (Ohio State Uni., 2001. Gordian III, (238-344 A.D.), (Ohio State Uni., 2001).
- 15- pat southern and Karan R. Dixon: The Late Roman Army, (Cam., 1996).
- 16- Previde Orton C.W.: The Shorter Cambridge Medieval History, Vol. I, (Cam., 1953).
- 17- Rebe Grousset: Histoire De l' Armenie, (Paris, 1997).
- 18- Richard G. Weiged: Claudius II Gothicus (268-270), (Western Kentucky Uni., 19 June 2001). Valerian (A.D 253- 260) and

- Gallienus (A.D. 253- 268), (Western Kentucky Uni., 13 August 1998).
- 19- Richard N. Frye: The Heritage of Persia, (New York, 1970)
 - 20- Robert S.Hoyt, Stanley Chodorow: Europe in the Middle Ages, (U.S.A., 1976).
 - 21- Robin Mc Mahon: Tacitus: (276-282 A.D.), (New- York Uni., updated: 8 July., 1999). Tacitus (275-276 A.D.), New York Uni., updated: 2 February 2000).
 - 22- Roger Collins: Early Medieval Europe 300-1000, Second Edition, (U.S.A, 1999).
 - 23- Scott Moore R.: Trebonianus Gallus (251-253 A.D.) and Gaius Vibius Volusianus (251-253 A.D.), (Indiana Uni., of Pennsylvania, update: 1 July 2002).
 - 24- The New Encyclopaedia Britannica, Vol. X, (London, 1979).
 - 25- Warren Treadgold: A History of The Byzantine State and Society, (U.S.A., 1997).
 - 26- William G. Sinnigen and Arthur E. R. Book: A History of Rome to A.D. 565, (U.S.A., 1977).

رابعاً: المراجع العربية والمعربة

- ١- إدوارد جيون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ومقوماتها، ترجمة محمد على أبو درة. مراجعة أحمد نجيب هاشم، ج١، (القاهرة، ١٩٩٧م).
- ٢- آرثر كريستمن: إيران في عهد الساسانيين، ترجمة عن الفرنسية يحيى للخضاب، مراجعة عبد الوهاب عزام، (بيروت، د.ت).
- ٣- أسد رستم (دكتور): الروم، ج١، (القاهرة، ١٩٥٥م).
- ٤- بطرس البستاني: كتاب دفتر المعارف، م٣، (بيروت، لبنان د.ت).
- ٥- تشارلزوف م.ب: الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي عبده جرجس، مراجعة محمد صقر خفاجه، (القاهرة، ١٩٦١م).
- ٦- حسن أحمد حسن الإيباري (دكتور): دراسات في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، (القاهرة، ٢٠٠٤).
- ٧- حسنين محمد ربيع (دكتور): دراسات في تاريخ للدولة البيزنطية، (القاهرة، ١٩٨٣م).
- ٨- حسين الشيخ (دكتور): للرومان، (الإسكندرية، ٢٠٠٠م).
- ٩- سيد أحمد على الناصري (دكتور): تاريخ الإمبراطورية الرومانية للسياسي والحضاري، (القاهرة، ١٩٧٨م).

- ١٠- عيد للمسلم محمد زيدان (دكتور): الدعوة للحروب الصليبية على بلاد الشام ١٠٩٥-١١٨٩م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أسيوط، (٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ).
- ١١- موريس كروزيه: تاريخ الحضارات العام، م٢، (بيروت، لبنان، ٢٠٠٣).

حملة الإمبراطور
الروماني جوليان على
بلاد فارس عام ٣٦٣م

عندما اعتلى مسابور الثاني (٣٠٩ - ٣٧٩م) Shapur II العرش الفارسي خلفاً لوالده أورمازد الثاني (٣٠٢ - ٣٠٩م) Hormaz II احتفظ بعلاقات وطيدة لبعض الوقت مع الإمبراطور الروماني قنسطنطين العظيم (٣٠٦ - ٣٣٧م) Comstantine The Great، حتى أنه أرسل إليه السفراء سنة ٣٢٤ (١٨٥). وهذا ما عبر عنه أيضاً ابن الأثير (١٨٦) بقوله: "وأما الروم فإن سابور كان هادن ملكهم وهو قنسطنطين". والحقيقة أنه لا توجد هناك معلومات أكثر من ذلك عن علاقة الإمبراطور قنسطنطين بالملك سابور الثاني. ويبدو أن ذلك يعود إلى صغر سن الأخير.

ولكن ما إن وصل سابور الثاني إلى سن الرشد، حتى أعلن الحرب على الإمبراطورية الرومانية بغزو أعالي بلاد ما بين النهرين سنة ٢٢٦م، وفرض الحصار على مدينة نصيبين حوالي ٦٣ يوماً، ولكنه لم يفلح في الاستيلاء عليها، كما اجتاحت قواته أرمينيا حيث قام بعزل ملكها، التابع للرومان، واستبدله بتابع فارسي. ثم سعى للتفاوض مع الإمبراطور قنسطنطين ولكن الأخير رفض، وعقد العزم على القيام بحملة ضد الفرس، ولكن المنية عاجلته، فقبل الانطلاق بحملته على فارس سقط مريضاً ومات سنة ٣٣٧م (١٨٧).

وعلى الفور فتح الإمبراطور قنسطنطيوس الثاني (٣٣٧ - ٣٦٠م) Constantus II باب المفاوضات مع سابور الثاني، ولكنها باءت بالفشل لأن الفرس تمسكوا بضرورة أن تتنازل لهم روما عن أعالي بلاد ما بين النهرين وأرمينيا، بل هدد مسابور - عن طريق سفرائه - بأنه إذا ما رفض قنسطنطيوس مطالبه فسيقوم بغزو الإمبراطورية الرومانية على وجه السرعة. ولكن الإمبراطور لم يعر هذا التهديد اهتماماً، ولوضح لمسابور عن طريق سفرائه أنه

(185) Matthew Bunson: A Dictionary of the Roman Empire, (New York, 1991), p. 376, 386.

(186) الكامل في التاريخ، ج ١١، (بيروت، ١٩٧٨م) ص ٢٣.

(187) Theophanes Confessor: The Chronicle of Theophanes Confessor, tr., by Cyril Mango and Rogers Scotte, (London, 1997), p. 386. Cf. also, Anne Elizabeth Redgate: The Armenians, (U.S.A, 1999), p. 133.

يرغب في السلام مع فارس ولكنه لن يتنازل عن أعالي بلاد ما بين النهرين أو
أرمينيا^(١٨٨).

ولم يتوان سابور الثاني إذ قام بالهجوم على مدينة نصيبين سنة ٣٣٨م،
ولكنه فشل في الاستيلاء عليها^(١٨٩). وأمام هذا الموقف المتأزم في الشرق،
وبسبب استنجد الأرمين بالإمبراطور قنسطنطينوس بعث قواته إلى أرمينيا حيث
تمكنت من تنصيب خوسروس ملكاً عليها^(١٩٠).

وفي سنة ٣٤٣م قام الإمبراطور قنسطنطينوس بغارة عبر نهر دجلة،
وامتولى على المعسكر الفارسي سنة ٣٤٤م، ولكن لبعض الوقت^(١٩١). فرد
سابور على ذلك بغزو أعالي بلاد ما بين النهرين وحصار مدينة نصيبين حوالي
٧٨ يوماً سنة ٣٤٥م، ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها، كما حاصرها مرة
ثالثة سنة ٣٤٨م، وقام بنهب ضواحيها وطالب حاميتها بالتسليم ولكنها رفضت
وقامت بمقاومة عنيفة، الأمر الذي دفعه إلى رفع الحصار عنها، ولكن بعد تكبده
حوالي عشرة آلاف قتيل^(١٩٢).

ويذكر بعض المؤرخين أن الفرس والرومان خاضوا معركة شرسة
قرب مدينة سنجار Singara، إحدى مدن الحد من فارس، سنة ٣٤٨م ولكنها لم
تكن حاسمة^(١٩٣).

(188) Faustus: "Rome and Armenia in the Fourth Century", in English
Historical Review, XXV (1910), pp. 625-643; in Byzantine Studies and
other Essays, By Norman H. Baynes, (U.S.A. 1974), p. 194.

(189) Jones: The Later Roman Empire 284-602, Vol. I, (Oxford, 1986)
p. 112.

(190) موسيس خوريناتي: التاريخ الأرمني، من البداية حتى القرن الخامس الميلادي، ترجمة
عن الأرمينية نزار خليلي، (دمشق-١٩٩٩م)، ص ٢٠٩-٢١٠.
(191) هاسرتن: تاريخ العالم، ترجمة وزارة التربية والتعليم، (القاهرة-١٩٥٠)
ص ١٩٦. انظر أيضاً:

Warren Treadgold: A History of the Byzantine State and Society,
(U.S.A., 1997), p. 55.

(192) Theophanes: op. cit., p. 63, 65-66; Zosimus: New History, tr., by
Geen and Chaplin, (London, 1814), p. 172.

(193) John: op. cit., Vol. I, p. 112; Warren Treadgold: op. cit., 55.

وفي سنة ٣٥٠م عاود سابور الثاني حصاره لمدينة نصيبين، ولكنه رفع هذا الحصار بسبب دفاعاتها القوية، وعقد هدنة مع الإمبراطور قنسطنطيوس عاد على أثرها إلى بلاده للدفاع عن حدودها الشرقية ضد اعتداءات بعض القبائل المتبربرة^(١٩٤).

وبعد أن استقرت الأوضاع على الحدود الشرقية لفارس راح سابور الثاني يفكر في توجيه ضربة قاسمة للرومان، ولذلك بعد أن استعد استعداداً جيداً تقدم بقواته التي بلغ تعدادها حوالي مائة ألف فارس داخل أعالي بلاد ما بين النهرين سنة ٣٥٩م، حيث تمكن من الاستيلاء على مدينة أميدا (Amida) (أمد Amid) في ديار بكر، وأعمل السيف في الحامية الرومانية وصلب القادة وباع الآخرين في سوق الرقيق عبيداً، كما استولى على مدينة سنجار سنة ٣٦٠م، وحاصر حصن بيزابدا (Bezabde) (جزيرة ابن عمر) واستولى عليه بعد قتال عنيف، ثم سعى للاستيلاء على زوجما Zeugma، على نهر دجلة، ولكنه فشل^(١٩٥). وهكذا أصبح الفرس أصحاب اليد العليا في بلاد ما بين النهرين^(١٩٦).

وعند ذلك جمع الإمبراطور قنسطنطيوس قواته وراح يتقدم ضد القوات الفارسية ولكنه عندما وجد أن طوفانها سوف يجتاحه بعث إلى القيصر جوليان (Julian (263- 261) - الذي كان في غالة آنذاك - يطلب من فرقة من قواته

(١٩٤) John, Bishop of Nikiu: Chronicle, tr. By R. H. Charles, (London, 1916), p.28. Cf. also, William G. Sinnigen and other: A History of Rome to 565 A.D. (London, 1966), p. 351.

(١٩٥) Franzius Lano: History of the Byzantine Empire, (Nes York, 1967), p.35; Freay Stark: Rome on the Eudhrates, the Story of Frontier, (London, 1966), p. 344.

انظر أيضاً: لسيد الهاز العربي: لدولة للبيزنطية ٣٢٣ - ١٠٨١م، (لبنان، ١٩٨٢م)، ص ٣٧؛ رأيت عبد الحميد: "مصرح جوليان الفيلسوف الإمبراطور"، في كتاب قطوف ذاتية، تحرير عبد القادر الرباعي، (الأردن، د.ت)، ص ٥١٨.

(١٩٦) Ostrogorsk: History of the Byzantine State, tr., By John Hussey, (London, 1968), p.51.

وتعتبر حوليه ثيوفانيس إلى أن سابور الثاني استولى على حصن بيزابدا سنة ٣٥٩ م. انظر: The Chronicle of Thephanes Confessor, p. 75.

فبعث إليه جوليان بما أراد، ولكن قنسطنطيوس عاد وطلب فرقة أخرى، وعند ذلك رفضت القوات الغربية الذهاب إلى الشرق لقتال الفرس، بل وأعلنت جوليان إمبراطوراً. وعندما جوليان من قنسطنطيوس الاعتراف بما قام به الجنود رفض الأخير وطالب جوليان بالعودة إلى رتبة قيصر ولكنه رفض، وفشلت المفاوضات بين الجانبين، وبدأ جوليان في التقدم شرقاً على رأس قواته سنة ٣٦١م ناحية مدينة القسطنطينية وعندما علم قنسطنطيوس بذلك قطع حملته في بلاد ما بين النهرين وتقدم ضده، ولو ضحت بيزنطة على وشك حرب أهلية، لولا أن المنية عاجلت قنسطنطيوس في الطريق، فسدخل جوليان مدينة القسطنطينية وسط ترحيب الجميع، ليبدأ حكمه سنة ٣٦١م^(١٩٧). وسط الخطر الفارسي الكامن على حدود الإمبراطورية في الشرق، ولهذا كان عليه أن يفكر أولاً في التصدي لهذا الخطر، ويأقصى سرعة.

راح الإمبراطور جوليان يستعد للقيام بحملة ضد الفرس منذ اللحظة الأولى التي وطأت فيها أقدامه مدينة القسطنطينية، ولأنه كان حريصاً على سرعة قيام الحملة فقد أثار أن يكمل هذه الاستعدادات في مدينة أنطاكية، ولذلك قام بتعيين أورميسداس Hormisdas^(١٩٨) وفكتور Victor لقيادة قواته. وفي مايو سنة ٣٦٢م اتخذ جوليان طريقه إلى مدينة أنطاكية التي وصل إليها في مطلع يوليو من نفس العام عن طريق آسيا الصغرى^(١٩٩).

(197) Zosimus: op. cit., pp. 173- 175; Theophanes : op. 76. Cf. also, Walter E. Robert and other: Julian the Apostate, 360- 363 A.D., (Net., 2004), p.4.

(198) أورميسداس: أمير فارسي من البيت الملكي العباساني، هرب من سجنه إلى البلاط البيزنطي في عهد الإمبراطور قنسطنطين. ويقال أنه أخ الملك الفارسي سابور الثاني. وفي البلاط البيزنطي قوبل بحفاوة كبيرة، وبسبب إخلاصه تم لإحاقه بالجيش.
أنظر:

Gibbon E.: History of Decline and fall of the Roman Empire, vol. Iv, (London,1819), p. 162; Giuseppe: op.cit;p.241.

(199) Zosimus: op. cit; p. 75. Cf. also, Gibbon: op. cit; vol. IV,p.143; Jones: op.cit., vol.1,p.123; Jacquin A.M.: Histoire Del' Eglisc, Tom. I, (Paris, 1928), p. 367.

وجدير بالذكر، أن الأنطاكيين استقبلوا جوليان - عندما كان على مقربة من مدينتهم - استقبالا عظيماً، لدرجة أن الرجل انتابته حالة من الذهول بسبب كثرة مستقبليته^(٢٠٠). ولكن ذلك لم يكن حياً فيه، كما قال المؤرخ الروماني زوسيموس،^(٢٠١) بل خوفاً منه.

وعلى أية حال، يذكر بعض المؤرخين أن الموقف في مدينة أنطاكية تأزم بين جوليان من ناحية، وسكان المدينة ومجلس شيوخها من ناحية أخرى. وذلك لأنه في شتاء سنة ٣٦٢م ضرب زلزال عظيم المنطقة وجاء فيها على الأخضر واليابس، وكان مجلس الشيوخ وأهالي المدينة يضمعون في قيام جوليان بتوزيع الأموال التي جمعها لحملة الفارسية على منكوبي الزلزال، ولكن جوليان لم يعر اهتماماً لمطلبه، فرفض مجلس الشيوخ مساعدته في حملته التالية، كما كرهه السكان، وتهكموا على لحيته الطويلة، فتأزم الموقف، ورغم ذلك لم يسع جوليان لمعالجتهم عن طريق القوة بل عن طريق بعض المؤلفات ضددهم والتي أطلق عليهم فيها كارهي للحية The Beard-Hater^(٢٠٢). ولكنه في الوقت نفسه توعد بإنزال أقصى العقوبات عليهم بعد الانتهاء من حملته الفارسية^(٢٠٣).

وعلى كل، إن انشغال الإمبراطور جوليان بالاستعداد لحملة الفارسية لم يتوقف في مدينة أنطاكية، فقد دوام على شراء المؤن، وتدريب القوات التي كانت ترافقه، وقام بتجنيد قوات أخرى^(٢٠٤).

وهنا نكون أمام سؤالين أولهما: لماذا قام جوليان بحملته؟ وثانيهما: ماذا قال المؤرخون عن قولت جوليان؟

⁽²⁰⁰⁾ Ammianus Marcellinus, Tr., by John G. Rolfe, vol.II, (London, 1935), p.251.

⁽²⁰¹⁾ New History, p. 76.

⁽²⁰²⁾ Zosimus; op. cit., p. 76. Cf. also, Walter: op. cit., p.9 Gibbon: op. cit., vol. IV, p. 149- 150; Treadgold: op. cit., p.60.

⁽²⁰³⁾ Theophanes: op.cit., p. 82.

Ammianus: op.cit., p. 263; Theophanes: op.cit., 82.Cf.

⁽²⁰⁴⁾ Also, John: op-cit., p. 123; John Julius Norwich: Byzantium the Early Centuries, (N.Y., 1998) p. 94; Gibbon: op.cit., vol. IV, p. 144.

اختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً حول الأسباب التي دفعت الإمبراطور جوليان للقيام بحملته ضد الفرس. فمؤرخ الحملة، الذي شارك فيها، أميانوس ماركيلليوس، ذكر أن الحملة ضد فارس كانت تسيطر على عقلية جوليان، حيث كان يتطلع إلى معاقبة الفرس على ما ارتكبه من خراب وتدمير وقتل ونهب داخل أراضي الإمبراطورية الرومانية، كما أنه كان يتطلع إلى الحصول على المجد والعظمة في الشرق عندما ينهي وجود الدولة الفارسية، وبذلك يمكن أن يضيف إلى ألقابه الباهرة لقب قاهر الفرس Parthicus⁽²⁰⁵⁾. ويتفق بعض المؤرخين مع أميانوس في السبب الثاني لقيام جوليان بحملته⁽²⁰⁶⁾. وهناك أيضاً من قال إن جوليان كان يرى في حملته الفارسية الرغبة في النصر تبريراً وتزكية للوثنية، التي ارتد إليها، وإعادة لتحسين سمعته بسبب ذلك⁽²⁰⁷⁾. وفريق آخر قال إن جوليان قام بحملته لأنه كان عازماً على اتباع خطى الإسكندر المقدوني⁽²⁰⁸⁾، وتراجان، وهانريان، هذا من ناحية، كما أنه كان يسعى إلى توسيع دائرة الوثنية في الأقطار الشرقية، التي تتزايد فيها أعداد المسيحيين من ناحية أخرى⁽²⁰⁹⁾. والبعض أشار إلى أنه ربما يكون السبب الحقيقي لحملة

(205) Ammianus Marcellinus: op.cit., vol.II, pp. 263- 265.

(206) Gibbon: op.cit., vol. Iv, p. 141; Norwish: op.cit., pp. 96- 97; Stark: op.cit., p. 347.

(207) Ireadgold: op. cit., pp. 60- 61.

(208) تمكن الإسكندر المقدوني من إخضاع الإمبراطورية الفارسية لسيادته بعد حرب طويلة دامت قرابة اثني عشر سنة. للمزيد من التفاصيل انظر:

Bryce Lyon and other: A History of the world, vol. I, (U.S.A 1974), p. 57.

انظر أيضاً مفيد رائف العابد: سوريا في عصر السلوقيين من الإسكندر إلى بومبيوس 333- 64 ق.م (سوريا، 1993)، ص 19 - 36.

(209) Gregory Nazianzen: "Julian The Emperor", Oration 5, Tr. By Roger Pears, (Net. 2004); p-3. Cf. also, Stark op-it., 341, 347; Jacquin: op.cit., Tom I, p. 367. Norman H.Baynes: Byzantine Studies and other essays, (London, 1996), p. 346; Giuseppe: op.cit., p. 230; G.W.Bowersock: Julian The apostate, (London, 1978), p. 106; Jones: The Decline of the Ancient World, (London, 1966), p. 61;

جولييان هو الحصول على احترام الجيش. لأنه على الرغم من إعلانه إمبراطورا بواسطة الفرق العسكرية الغالية، فإن علاقاته مع كبار القادة العسكريين لم تكن على ما يرام، ومن ثم فإن للحرب ضد الفرس سوف تعلي من شأنه في عيون هؤلاء القادة^(٢١٠). وهناك من المؤرخين من يرى أن هذه الحملة الضخمة كانت تهدف إلى إعادة إحياء الإمبراطورية الرومانية المنهارة^(٢١١). على أن ما يؤكد ذلك ما قلله جولييان نفسه: "إنني سأجعل الفرس يرسفون في أشغال العبودية، وسأعيد قوة وبهاء الجمهورية"^(٢١٢). وقال البعض إن جولييان كان يهدف من حملته القضاء على غارات الفرس على مملكة أرمينيا وبلاد ما بين النهرين^(٢١٣).

وعلى أية حال، مهما قيل من آراء حول أسباب قيام جولييان بحملته، فإن هناك سببا قويا لذلك وهو أن الفرس كانوا قد وصلوا في سنة ٣٦١م إلى ذروة انتصاراتهم على الرومان، وأصبحوا يمثلون خطرا كبيرا على أملاك الإمبراطورية في الشرق، ولذلك كان لا بد من التصدي لهذا الخطر، ومن هذا المنطلق كان لا بد أن يقوم جولييان بحملة عسكرية ضدهم.

ومتما اختلقت آراء المؤرخين حول أسباب قيام جولييان بحملته فقد اختلفت أيضا حول قواته. فالبعض قال إن تعداد هذه القوات بلغ حوالي ٦٥٠٠٠ ألف جندي، مثلوا المشاة والفرسان^(٢١٤)، ورأى ثان قال إنه كان حوالي ١٠٠٠٠٠ ألف رجل^(٢١٥)، وثالث يقول إنه كان حوالي ٩٠٠٠٠ ألف رجل^(٢١٦).

أنظر أيضا: سيد أحمد على للنصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، (القاهرة ١٩٧٨م) ص ٤٥٨؛ رأفت عبد الصمد: المرجع السابق، ص ٥١٨ - ٥١٩.

(210) Walter E.: op. cit., pp. 9-10.

(211) Ibid, p. 11.

(212) Gibbon: op.cit., vol. IV, p. 178.

(213) صلتين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، (القاهرة، ١٩٨٢)، ص ٣٧.

(214) Zosimus: op.cit., p. 177. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 236; Gibbon: op.cit., vol. IV, p. 159; Previte C.W. Orton: The Short Cambridge

Medieval History, vol. I, (Camb., 1953), p. 49; Matthew Bunson: op.cit., p. 220, Stark: op. cit., p. 348.

(215) Franzues: op.cit., p.37;

لما بخصوص الأسطول فقد ذكر أميانوس أن تعداده بلغ حوالي ١٠٠٠ من
مراكب النقل المتنوعة، محملة بالمؤن الوفيرة، والأسلحة، ومعدات الحصار، إلى
جانب ٥٠ سفينة حربية، وعددا مساوياً من السفن، وذلك بهدف إقامة الكباري،
إذا اقتضت الضرورة^(٢١٧). أما دوسيموس، الذي اتفق مع أميانوس في كل ما
قاله، وأعتقد أنه كان ناقلاً عنه فقد قدر عدد السفن بحوالي ١١٠٠ سفينة،
ستمائة مصنوعة من الخشب، وخمسمائة مغطاة بجلود الحيوانات^(٢١٨).

وعلى أية حال، لقد أسند جوليان قيادة الأسطول إلى كل من
قنسطنطيوس والكونت لوكيليانوس Lucillianus^(٢١٩). ومهما يكن من أمر فإن
حملة الإمبراطور جوليان العسكرية تعد أكبر حملة في تعداد قوتها، قام بها
إمبراطور روماني ضد الفرس^(٢٢٠).

ويشير المؤرخ أميانوس إلى أن جوليان استقبل في أنطاكية السفارات
التي جاءت من "أمم عدة"، بترحاب شديد، حيث عرضت عليه المساعدة
العسكرية ضد الفرس، ولكنه رفض عروض المساعدة، لأنه ليس ممن اللائق
للإمبراطورية الرومانية أن تقبل المساعدات العسكرية من أي دولة خارجية،
لأن روما هي التي يجب أن تساعد وتدافع عن أصدقائها إذا اقتضت الضرورة
وطلبوا المساعدة^(٢٢١).

ولكن إذا كان أميانوس لم يذكر من أي البلاد كانت السفارات، فإن هناك من
المؤرخين من أشار إلى أن بعض هذه السفارات كان من جانب رؤساء القبائل
العربية لا سيما تعيم وبكر بن وائل وعبد القيس^(٢٢٢). كما ذكر ابن الأثير أن

أنظر أيضاً: فؤاد حسن حافظ: تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم، (القاهرة،
١٩٨٦م)، ص ٦٢.

(216) Norwich: op.cit., p. 96; Bowersock: op.cit., p. 108.

(217) Ammianus Marcellinus: op. cit., vol. II, p. 325.

(218) New-Histor: p. 177.

(219) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 325. Cf. also, Giuseppe: op.cit. p. 236.

(220) Gibbon: op. cit., vol. IV, p. 159; Jones: op.cit., p. 61.

(221) Ammianus Marcellinus vol. II, p. 315.

(222) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، (القاهرة، ١٩٣٩م)، ص ٤٩١. أنظر أيضاً:

العرب شاركوا في حملة جوليان: واجتمعت للعرب للانتقام من سابور، فاجتمع
عسكر إليانوس منهم خلق كثير^(٢٢٢).

هذا ويشير أميانوس إلى أن أرساكيس Arsaces، ملك أرمينيا هو ققط
الذي أمره جوليان بأن يكون على أهبة الاستعداد، وأن ينتظر الأوامر في أي
وقت لمعرفة المكان الذي سوف يتجه إليه، وما سوف يقوم به^(٢٢٣).

وهنا تجدر الإشارة، إلى أن جوليان عول كثيرا في استعداداته على الكهنة وكتب
العرفان لإخباره بنتائج حملته، كما روى المذابح بدماء المئات من الأضاحي
والآلاف من الطيور، وكان يقوم بممارسة الذبح بنفسه وما يتبعه من طقوس، لا
سيما الطيور البيضاء، لأن لونها فال يبشر بالخير^(٢٢٤). وينكر بعض المؤرخين
أن للعرفان أشاروا عليه بأن الآلهة المتعلقة بهم يدقون طبول الحرب، ولهذا
عول على ذلك كثيرا^(٢٢٥). ولم يابه بآراء بعض كتب العرفان التي أوحى بأنه
لا يجب عليه أن يغادر حدود إمبراطوريته سنة ٣٦٣م^(٢٢٦).

وفي غضون ذلك وصلت التقارير إلى الملك سابور الثاني بحجم
الاستعدادات الهائلة للإمبراطور جوليان، ومن ثم فإن ذلك حرك عامل الخوف

Giuseppe: op. cit., p. 233; Irfan Shahid: Byzantium and the Arabs in the
fourth Century, (U.S.A, 1984), p. 32.

(222) الكامل، جـ ١، (لبنان، ١٩٧٨م)، ص ٢٣٠. هذا ويشير الطبري إلى أن العرب كان
لديهم في ذلك الحين المبرر الكافي لمشاركتهم في حملة جوليان ضد سابور الثاني، ملك
الفرس الذي "أفشى فيهم للقتل ومنك فيهم النداء سفكا سالت كسيل المطر حتى كان للهارب
منهم يرى أنه لن ينجيه منه عار في جبل ولا جزيرة في بحر". ولكن للطبري يبدو أنه بالغ
عندما قال إن قوات جوليان من العرب بلغت حوالي مائة وسبعون ألف مقاتل. تاريخ الأمم
والملوك، جـ ١، ص ٤٩١ - ٤٩٢.

(224) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 325. Cf. also, Bowersock: op. cit., p.
108.

(225) وللمزيد من التفاصيل. انظر:

Ammianus: op. cit., II, p. 267, 269, 273. Cf. also, Vasiliev: History of the
Byzantine Empire, 324- 1453, vol. I, (U.S.A 1952), p. 72.

(226) Theophanes: op. cit., p. 82.

(227) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 315.

داخله، وسعى لعدم قيامها؛ فأرسل خطاباً إلى الإمبراطور يعرض عليه مناقشة الخلافات بينهما على مائدة المفاوضات، وعقد معاهدة السلام بين الجانبين بالشروط التي يرتضيها الإمبراطور^(٢٢٨). ولكن جاء رد الإمبراطور جوليان على سابور مخيباً لأمله لأنه بعد أن قرأ الخطاب في حضرة السفير الفارسي، مزقه وألقاه على الأرض، وخاطب السفير قائلاً، وهو يتنسم في سخريته: ليس من الضروري عقد معاهدة بوساطة السفراء، لأنكم سوف تروني بشخصي في البلاط الفارسي بعد قليل^(٢٢٩). وعلى أية حال، لقد كان هذا الرد القوي إنذاراً للملك سابور الثاني، ومع أنه لم يكن جديداً في مجال العلاقات الدبلوماسية، فإنه كان إعلاناً للحرب^(٢٣٠). وهكذا فإن رد جوليان يوحي بأنه كان عازماً على احتلال مدينة طيسفون Ctesiphon. وفي غضون ذلك سعى البعض - من حاشية الإمبراطور - لإرجاء الخروج بالحملة ولكن جوليان كان مصمماً على الخروج بها^(٢٣١).

ولذلك ما إن حل ربيع سنة ٣٦٣م، حتى أعطى الإمبراطور جوليان الأوامر لقواته بعبور نهر الفرات، وبالفعل تم عبور النهر على جسر للقوارب الذي أقيم عليه ومن ثم تمركزت القوات في عدة أماكن منتظرة قدوم جوليان، الذي غادر أنطاكية في الخامس من شهر مارس من نفس العام، وعن طريق ليتاربيه Litarbae (طرسوسه)، وبرويا Beroea (حلب) وصل إلى مدينة

(228) Socrates: The Ecclesiastical History, (London, 1914) p. 197. Cf.

also, Giuseppe: op. cit., p. 220, 229; Gibbon: op. cit., vol. Iv, P. 143;

Treadgold: op. cit., p. 61; Bowersock: op. cit., p. 106;

أنظر أيضاً: إسحق عبيد: الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة في مدينة الله، (القاهرة، ١٩٧٢)، ص ٧١.

(229) I. Ibanius: "Julian the Emperopr" Funeral Oration for Julian, tr., by

Roger Pears (1888, net., 2004), p.8, Socrates: op. Cit. p. 197.

(230) Giuseppe. Op cit., p. 229.

(231) Stark: op. cit., p. 348.

وطيسفون: مدينة كبيرة تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة، على مقربة من بغداد، وهي عاصمة الإمبراطورية الفارسية. انظر:

Matthew Bunson: op. cit., p. 119.

هيرابوليس. Hierapolis (منبج)، على نهر الفرات⁽²³²⁾. وهناك طالب جوليان بتجمع كل السفن الرومانية التي اعتادت الإبحار في للفرات، وأعطى قيادتها إلى أحد أقاربه هيريوس Hierius. وأمره بالتقدم في الفرات ناحية الجنوب⁽²³³⁾. وفي النهاية عبر جوليان نهر الفرات وتقدم على رأس قواته إلى مدينة بانتييه⁽²³⁴⁾ Batnae، ومن هناك وصل إلى مدينة كاري Carrae (مدينة حوران)⁽²³⁵⁾. ويذكر بعض المؤرخين أن جوليان كان مسرعاً في تقدمه لأنه كان قلقاً من وصول أية أخبار عن تقدمه إلى الفرس⁽²³⁶⁾.

وفي مدينة كاري توقف الإمبراطور جوليان لوضع الترتيبات النهائية وتنظيم القوات، لا سيما أنه أصبح على وشك بدء الدخول في معارك مع الفرس. ونظراً لأن كاري كانت نقطة الانفصال لطريقين إلى الأراضي الفارسية، أحدهما من كاري ثم مدينة نصيبين فنهز دجلة، وثانيهما من كاري إلى الفرات والتقدم بمحاذاة جنوباً فإن جوليان وقع في حيرة أي الطريقين يختار؟⁽²³⁷⁾. وبينما هو كذلك وصلت إليه الأخبار بواسطة جنود استطلاعها مفادها أن القوات الفارسية قامت بمهاجمة الأراضي الرومانية، فأدى ذلك إلى

(232) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 315, 317; Zosimus: op. cit., p. 76, Libanius: op. cit., p. 15. Cf. also Giuseppe: op. cit., p. 235; Norwich: op. cit., p. 97; Gibbon. Op. cit., vol. IV. Pp. 153- 154. Bowersock: op. cit., p. 108.

(233) Zosimus: op. cit., p. 76.

(234) بانتييه: مدينة صغيرة تقع في منتصف الطريق بين هيرابوليس وكاري وعلى بعد عشرين ميلاً من مدينة هيرابوليس. انظر:

Ammians: op. cit., vol. II. P. 319. Cf. also. Gibbon: op. cit., vol. VI. Pp. 155- 156.

(235) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 319.

ويذكر زوسيموس أن جوليان مكث في مدينة هيرابوليس ثلاثة أيام. كما ينفرد أيضاً بالإشارة إلى أن الإمبراطور ذهب إلى مدينة الرها بدعوة من أهلها ثم عاودها إلى كاري. انظر: New History, p. 76.

(236) Giuseppe: op. cit., p. 236.

(237) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 391, 321; Zosimus: op. cit., p. 76 Cf. also, Lietzmann H: Histoire de l' Eglise Ancienne, Tome III, (Paris, 1941), p. 295; Giuseppe: op. cit., p. 236.

إثارة الرعب في معسكر جوليان. الذي قرر على الفور أن يترك قسماً من قواته للدفاع عن الأراضي الرومانية قرب نهر دجلة في أعالي بلاد ما بين النهرين وكذلك حماية القوات التي مترافقه عبر نهر الفرات إذ ما فكر الفرس في مهاجمتها من الخلف⁽²³⁸⁾.

ومن هذا المنطلق فصل جوليان ثلاثين ألف جندي من خيرة قواته ووضعهم تحت قيادة بروكوبيوس Procopius وسبستيان Sebastian، اللذين صدرت إليهما الأوامر بالبقاء مؤقتاً في الجزء الشمالي من بلاد ما بين النهرين، غرب دجلة، لمنع حدوث أي هجمات فارسية، وعند الشعور بالأمن فليهما الانضمام إلى جيوش أرساكيس ملك أرمينيا، ثم التقدم معاً ناحية الجنوب مدمرين ما يقابلهم من المدن الفارسية، أو حتى قوات سابور الثاني إذا اشتبكت معهم، ثم عبور نهر دجلة والالتقاء به أمام أسوار طيسفون عاصمة الفرس، لقرض الحصار عليها⁽²³⁹⁾. ويعلق بعض المؤرخين على خطة جوليان قائلين إن الهدف منها خداع جواسيس الملك سابور الثاني وتشتيت انتباهه حتى لا يعرف من أين ستأتيه الضربة، هل بواسطة نجلة أم الفرات، وهذا في حد ذاته يعد عملاً تكتيكياً رائعاً في مجال الخداع الذي يتم في الحروب⁽²⁴⁰⁾. ولكن ما ينبغي علينا معرفته أن نجاح خطة الإمبراطور جوليان السابقة، كان يتوقف - بدرجة كبيرة - على مساعدة أرساكيس ملك أرمينيا، الذي أعلن أنه سوف يساعد القوات الرومانية بحوالي أربعة آلاف من الخيالة، وعشرين ألفاً من المشاة⁽²⁴¹⁾. ولكنه ما لبث أن تراجع عن تعهده، ولم يأبه بخطابات التهديد والوعيد التي بعث إليه

(238) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 321, Zosimus: op. cit., p. 177.

(239) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 321. Cf. also, Gibbon: op. cit., vol. IV, p. 157; Giuseppe: op. cit., p. 237; Stark op. cit., p. 348; Bowersock: op. cit., p. 11.

Zosimus: قدر بعض المؤرخين للقوات التي فصلها جوليان بحوالي 19000 ألف جندي
op. cit., p. 177 في حين قال آخرون إنها حوالي 20000 ألف

Libanius: op. cit., p. 15. Cf. also, Franzius: op. cit., p. 37.

أما ك.ل. لمستارجيان، فقد ذكر أنها حوالي 18000 ألف فقط، أنظر:

تاريخ الأمة الأرمنية، (للموصل، 1951)، ص 135.

(240) Gibbon: op. cit., vol. IV, p. 154; Giuseppe: op. cit., p. 238.

(241) Gibbon: op. cit., vol. IV, p. 157.

بها الإمبراطور جوليان، والذي توعدده فيها بإعلان الحرب عليه بعد انتصاره على الفرس وتحويل أرمينيا إلى إقليم روماني^(٢٤١).

وجدير بالذكر أن عدم مشاركة أرساكيس بقواته مع القائد بروكوبيوس أفقد قوات هذا للقائد أهميتها العسكرية، وأدى إلى فشل المهمة التي كانت مكلفة بها، ولذلك لم تشارك هذه القوات بأي نصيب في حملة الإمبراطور جوليان، حتى بعد وفاته^(٢٤٢).

وعلى أية حال، يذكر بعض المؤرخين أن جوليان تلقى آنذاك المساعدات المالية والعسكرية والمادية من بعض قادة المنطقة، الذين قدموا له الولاء. ولكن المؤرخين لم يبينوا جنسية هؤلاء القادة^(٢٤٣).

ومهما يكن من أمر، فبعد وضع الترتيبات النهائية، وإخضاع جواميس الملك سابور الثاني، أعلن الإمبراطور جوليان على الملأ بأنه سوف يسير بقواته إلى نصيبين ثم نهر نجلة، ولكنه فجأة تحول إلى السير ناحية الفرات، فوصل بقواته إلى قلعة كالينيكوم Callinicum^(٢٤٤). وهناك انتظر الإمبراطور جوليان حتى وصل أسطوله، الذي تابع تقدمه، منذ ذلك الوقت، في نهر الفرات جنباً إلى جنب مع القوات البرية^(٢٤٥).

⁽²⁴²⁾ للمزيد من التفاصيل عن ذلك. أنظر:

موميس خورينانسي: المصدر السابق، ص ٢١٩؛ لستارجيان: المرجع السابق، ص ١٢٥-١٣٦.

يذكر بعض للمؤرخين أن سبب عدم تقديم أرساكيس المساعدات إلى جوليان هو ارتداد الأخير إلى الوثنية. أنظر: لستارجيان: المرجع السابق، ص ١٣٦.

⁽²⁴³⁾ Giuseppe: op. cit., p. 238.

⁽²⁴⁴⁾ Walter E.: op. cit., p. 10.

⁽²⁴⁵⁾ Ammianus E: op. cit, vol. II, P, 323; Zosimus: op. cit, p. 177. Cf also, Gibbon: op. cit., IV, p. 159. Bowersock: op. cit., p. 120.

كان وصول جوليان إلى قلعة كالينيكوم في ٢٧ مارس. أنظر:

Giuseppe: op. cit., p. 238; Lietzmann: op. cit., p. 296.

و كالينيكوم: قلعة قوية وحصينة تقع على الضفة اليسرى لنهر الفرات. أنظر:

Ammianus: op. cit., vol. II, p. 323.

⁽²⁴⁶⁾ Zosimus: op cit., p. 177. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 238.

وعلى كل غادر جوليان على رأس قواته قلعة كاليبكوم، متقدماً بمحاذاة الساحل الشرقي للفرات، فوصل إلى مركز طليعة الجيش، الذي كان قد وضع في المقدمة لحماية الحملة من أي هجوم مفاجئ، فتوقف عن السير، وعندئذ قدم إليه بعض رؤساء القبائل العربية، حاملين إليه تاجاً من الذهب، وعارضين عليه طاعتهم ومساعدتهم، فاستقبلهم بحفاوة وقبل مساعدتهم، وذلك لأنهم كانوا مهرة في حرب العصايات^(٢٤٧). ويبدو من ذلك أنه عقد عليهم الآمال^(٢٤٨). وهنا انفرد لبيانوس بالإشارة إلى أن جوليان شاهد آنذاك قطعاً من الجمال للعربية المحملة بالخمور تسير خلف قواته، وعندما سأل قواده وعرف ما تحمله أمر بإيقافها، علماً بأن الخمور التي تحملها سوف تكون مفيدة لقواته، قائلاً عبارته الشهيرة: "إنه من الأصلح للجنود أن يشربوا الخمر الذي تكسبه سيوفهم"^(٢٤٩). وفي بداية أبريل وصل جوليان بقواته إلى قلعة سيركوزيوم *Circusium*، آخر المستعمرات الرومانية في بلاد ما بين النهرين^(٢٥٠).

وجدير بالذكر، كان الأسطول الروماني يميز في نهر الفرات حاملاً للمؤن والأمتعة جنباً إلى جنب مع القوات البرية^(٢٥٠).

ويذكر ستارك أن سفن الأسطول كانت محملة بالكعك biscuit على كافة أنواعه، والخل vinegar، الذي شربه القوات مخلوطاً بالماء. انظر:

Roman on the Euphrates, p. 348.

(247) Amnians: op. cit., Vol. II, p. 325. Cf. also Bowersock: op. cit., p. 110.

(248) دينا فكتور فنا بيخوليفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، (الكويت، ١٩٨٥)، ص ٥٠.

(249) "Julian the Emperor,": p. 15.

(250) Amnians: op. cit., vol. II, p. 333, 335. Cf. also Gibbon: op. cit., Vol. IV, p. 159, Walter E.: op. cit., p. 10.

سيركوزيوم: قلعة حصينة تقع عند ملتقى نهر أبو راس (الخابور) بنهر الفرات. كانت تستخدم للدفاع عن سوريا ضد الغزوات الفارسية. انظر:

Giuseppe: op. cit., p. 238.

(251) Gregory Nazianzen: op. cit., p.3. Cf. also, Stark op. cit., p. 348.

وعلى كل، مكث جوليان لبعض الوقت في قلعة سيركوزيوم، حيث قام بتقوية دفاعاتها بأربعة آلاف جندي من قواته، كما أمر بتشييد كوبري من القوارب لعبور نهر أبو راس (نهر الخابور). وبعد عبور النهر أصدر جوليان أوامره بتنميره حتى لا تفكر قواته في الانسحاب أو العودة من ساحات القتال^(٢٥٢).

وكان جوليان أثناء وجوده في سيركوزيوم قد وصله خطاباً من سالوستيوس Sallustius، وإلى بلاد الغال، يطلب منه عدم الاستعجال في قتال الفرس، دون تقديم الصلاة للحصول على حماية الآلهة، وإن لم يفعل ذلك سوف يعرض نفسه لهزيمة لا مفر منها. ولكن جوليان لم يعر هذا الالتماس اهتماماً مؤمناً بأنه لا توجد هناك أية قوة يمكن أن تدفع عنه قدر السماء^(٢٥٣).

وهنا يقول المؤرخ أميانوس إن جوليان بعد عبوره نهر أبو راس وجد من الضروري جداً إلقاء خطبة حماسية على مسامع قواته، وذلك بهدف زيادة ثقتهم في أنفسهم وفي قائدهم. وعلى الفور دوت الأبواق، وعندما اجتمعت قواته اعتلى ربوة عالية، ووسط الجميع راح يتحدث جوليان عن شجاعة وقوة وبمالة الجندي الروماني الذي لا يقهر. ثم استطرده موضحاً أنه إذا كان بعض الأباطرة الرومان قد هزموا على يد الفرس فإن الآخرين قد حققوا انتصارات عديدة عليهم. وما إن انتهى جوليان من خطابه حتى ارتفعت هتافات قواته مدوية معلنين أن الله سوف يشهد نجاح الإمبراطور الذي لم يتمكن أي جيش مهما كانت قوته، من هزيمته^(٢٥٤). وفي محاولة من الإمبراطور لرفع الروح المعنوية لقواته أكثر فقد أعطى - بعد الخطاب - كل جندي مائة وثلاثين قطعة من الفضة^(٢٥٥).

(252) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 335. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 238.

(253) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 335, 337.

(254) Ibid: vol. II, p. 343, 399

أنظر أيضاً: زوسيموس، الذي لم يذكر سوى أن جوليان لقي خطبا في قواته. New- History, p. 177.

(255) Zosimus: op. cit., p. 177.

وقبل مواصلة جوليان سيره نظم قواته في تشكيلات قتالية، فوضع في مقدمة القوات حوالي ألف وخمسمائة جندي، وهؤلاء كان الهدف منهم استكشاف المنطقة أمام الجيش الرئيسي، وتأمين الطريق لتقدمه حتى لا يتعرض لهجوم مفاجئ. أما بقية القوات فقد قسمت إلى قلب، ميمنة، ميسرة ومؤخرة، وكان هو يتولى قيادة القلب الذي تكون من المشاة^(٢٥٦).

ولكي يملأ جوليان قلوب الفرس رهبة إذا ما قابلوه، وضع خطة عسكرية رائعة تمثلت في زيادة المسافات بين فيالق الجيش من الفرمان والمشاة، لدرجة أن المسافة بين المؤخرة وطليعة الجيش كانت حوالي عشرة أميال (١٧كم). والهدف من ذلك هو شعور الناظر إليها بالرهبة عندما لا يتمكن من رؤية نهايتها^(٢٥٧).

ولن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن الإمبراطور جوليان كان قائداً صهرته الخبرة وحكته فنون القتال في ساحات المعارك، ولذلك كان لديه بعض من الخوف، لا سيما وأنه يسير في أراض غير ملم بتضاريسها، ومن الممكن أن يسقط في أحد الكمائن التي قد ينصبها له الفرس. والباحث من جانبه يوافق أميانوس فيما قاله بخصوص هذا الموضوع^(٢٥٨).

أما بخصوص الأمتعة ودواب الحمل والخدم والأتباع غير المسلحين، فقد وضعها جوليان في الأماكن الخالية بين فيالق الجيش.

لسببين: الأول، هو ضمان عدم ظهور للمسافات الموجودة بين القوات للأعداء لأن ذلك لو حدث فستكشف خطته الحربية. أما للسبب الثاني، فهو ضمان حماية الأمتعة والخدم والمؤمن من أي هجوم مفاجئ إذا تركوا بدون حماية. في حين أن الأسطول كان يسير جنباً إلى جنب مع القوات^(٢٥٩).

(256) وللمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر:

Ammianus: op. cit., p. 401; Zosims: op. cit., p. 177. Cf. also, Gibbon: op. cit., vol. IV, pp. 161-162; Stark op. cit., p. 349; Giuseppe: op. cit., 241; Bowersock: op. cit., p. 111.

(257) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 401.

(258) Loc. cit: vol. II, p. 401.

(259) Ibid., p. 403; Zosimus: op. cit., p. 177.

وبعد هذه الترتيبات، يقول أميانوس، «وصلنا إلى المكان الذي يدعى ذيثا Zaita»^(٢٦٠)، ومن هناك وصلت الحملة الرومانية إلى دورة Dura^(٢٦١)، بعد يومين من السير المتواصل. وفي هذه المنطقة قام الجنود الرومان باصطياد العديد من الغزلان، التي وفرت لهم طعاماً شهياً^(٢٦٢).

أما بالنسبة للفرس ودورهم في التصدي للإمبراطور جوليان وقواته منذ عبرت نهر أبوراس، فالمصادر التاريخية المعاصرة وغير المعاصرة لم تشير إلى أي دور للفرس حتى وقتئذ. وهذا ما يدفع الباحث إلى القول إن الفرس ربما تركوا الطريق مفتوحاً أمام تقدم جوليان لسببين:

الأول: هو أنهم لم يستلزم لهم القدرة على التصدي لقوات جوليان، أما السبب الثاني: فهو أنهم تركوا جوليان يتقدم بهدف إنهاء قواته، وتوفير قواتهم لمحاولة الدفاع عن عاصمتهم، وهذا ما حدث بالضبط، كما سنرى فيما بعد.

عابر جوليان بقواته قلعة دورة، وبعد أربعة أيام وصل أمام قلعة أدانثا Anatha^(٢٦٣) الفارسية، وعندئذ مضى للاستيلاء عليها خلسة أثناء الليل ولكن خطته فشلت، لاكتشاف القوات التي بحث بها في الصباح، وكانت هناك محاولة منه شخصياً ولكنه وجدها تمثل خطورة عليه وعلى قواته من الحامية الفارسية المدافعة عن هذه القلعة. ولذلك لجأ إلى حيلة أخرى تمثلت في دعوة حامية القلعة إلى التسليم دون قتال، الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى الحفاظ على حياتهم، أما إذا قاوموا فإنه سوف يحاصرهم ويستولى على قلعتهم بالقوة، وعند ذلك لن يرحمهم، الأمر الذي دفعهم إلى التفاوض مع أورميسداس، وأخيراً قاموا بالتسليم

⁽²⁶⁰⁾ ذيثا: مدينة قديمة تقع على نهر لافرات بين نهر أبوراس (الخابور) ودورة، وهي تعني

شجرة الزيتون Stark: op. cit., p. 348, Olive tree.

ويطلق عليها زوسيموس اسم 'لوثا Louha', New- History, p. 178,

⁽²⁶¹⁾ دورة: قلعة على نهر الفرات جنوب نوثا. أنظر:

Ammianus. op. cit., vol. II, p. 403.

⁽²⁶²⁾ Ammianus: op. cit., vol. II, p. 337, 403; Zosimus: op. cit., p. 178.

Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 242.

⁽²⁶³⁾ أدانثا: قلعة تقع إلى الجنوب من دورة في قلب نهر لافرات. أنظر:

Ammianus: op. cit., vol. II. P. 403. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 242.

مقابل الحفاظ على حياتهم، فنقلهم جوليان إلى خالكيس Chalcis، ورقسى قائد القلعة بوسيوم Pusaues إلى رتبة عالية في الجيش، وفي النهاية أشعل النار في القلعة⁽²⁶⁴⁾.

ويذكر أميانوس أن آمال القوات الرومانية قد ارتفعت وزادت ثقتهم في أنفسهم، لا سيما بعد الاستيلاء على قلعة أناتا، فهتفوا بحياة الإمبراطور جوليان واثقين أنهم من الآن فصاعداً سوف يكونون في حماية الله⁽²⁶⁵⁾.

وجدير بالذكر أن العرب قد حضروا إلى معسكر جوليان آنذاك، فاستقبلهم الرجل استقبالا طيباً وكافأهم ثم انصرفوا⁽²⁶⁶⁾. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن العرب اختاروا آنذاك الوقوف مع الرومان ضد الفرس. ولقد آثرت قوى الطبيعة آنذاك أن تنفخ إلى جانب الفرس، فسوى الإعصار خيام المعسكر الروماني بالأرض، كما فاض نهر الفرات فجأة، وانهارت السدود الموجودة على فروعه فأغرقت المعسكر للروماني. ولكن أميانوس - المصاحب للحملة - قال: 'ولم يستطع أحد معرفة ما إذا كانت هذه الانهيارات قد حدثت بتدبير الفرس أو أن ذلك نتج عن ضغط المياه الهائل'⁽²⁶⁷⁾.

وتحكي إحدى المصادر التاريخية أن جوليان وأصل تقدمه في انضباط شديد خوفاً من مفاجأة الفرس. وأثناء هذا التقدم أشعل النار في جميع حقول الفاكهة والقمح الفارسية لا سيما بعد أن حملت منها قواته ما يكفيها⁽²⁶⁸⁾. وكان هدف الإمبراطور جوليان من ذلك منع الفرس من الحصول على المؤن الأمر الذي سيؤدي إلى انخفاض روحهم المعنوية.

⁽²⁶⁴⁾ للمزيد من التفاصيل عن ذلك. انظر:

Ammianus: op. cit., Vol. II, pp. 403, 405; Zosimus: op. cit., p. 178;

Libanius: op. cit., p. 15.

Mathew Bunson: op. cit., p. 82. وخالكيس: مملكة صغيرة في سوريا.

⁽²⁶⁵⁾ Ammianus Marcellinus: op. cit., vol. II, p. 407.

⁽²⁶⁶⁾ Ibid: Vol. II, p. 405, 407. Cf. also, Walter E: op. cit., p. 10

⁽²⁶⁷⁾ Ammianus: op. cit., Vol. II, p. 407.

⁽²⁶⁸⁾ Ibid., vol. II, p. 409.

وعندما وصل الإمبراطور جوليان إلى حصن ثيلوثا Thilutha، على الضفة الشرقية لنهر الفرات عرض على حاميته ومكانه التسليم مقابل حفظ أرواحهم، ولكنهم رفضوا، وتحذوه في كيريا قائلين له: "إنهم لن يستسلموا إلا إذا تمكنت القوات الرومانية من الاستيلاء على بقية الأقاليم الفارسية الداخلية"، ولم يهتزوا من وجود الأسطول الروماني تحت أسوار حصنهم. وما حدث لحصن ثيلوثا فقد انطبق على حصن أنشايكاالا Achaiachala⁽²⁶⁹⁾. ولهذا وصل جوليان تقدمه مكتفياً بوعود مكان حصني ثيلوثا وأنشايكاالا بالتسليم بعد الاستيلاء على بقية الأقاليم الفارسية، ومقتنعاً بأنه من الأقيد له الإسراع في حملته وتوفير جهده ووقته للمعركة الحاسمة مع الفرس وعدم إهدار الوقت في مسائل صغيرة⁽²⁷⁰⁾.

وبدون شك كان لإحراق قلعة أناتا وتهجير سكانها بالغ الأثر في تحدي بقية القلاع الفارسية الأخرى للإمبراطور جوليان. أما القلاع التي وجد أهلها عدم قدرتهم على الدفاع عنها فقد هربوا منها قبل وصول جوليان إليهم. وهذا ما عبر عنه أميانوس بقوله: "وفي اليوم التالي، قلعة أخرى، التي هجرها سكانها بسبب ضعف أسوارها، تم إشعال النار فيها عند مرورنا"⁽²⁷¹⁾. وهذا ما حدث بالضبط مع قلعة دياكيرا Diacira⁽²⁷²⁾، التي عبرت إليها القوات الرومانية للفرات من أمام قلعة ياركسمالكا Baraxmalcha، فبعد نهب وسلب ما بها من محاصيل قتلوا النساء اللاتي كن في القلعة، وهدموا مبانيها، "الدرجة أن الإنسان عند رؤيته لهذا المكان لا يمكن أن يتخيل أنه كانت توجد فيه مدينة"⁽²⁷³⁾.

(269) Ammianus: vol. II, pp. 409- 411; Zosimus: op. cit., p. 178. Cf. also, Gibbon: op- cit., vol. IV, p. 165; Walter F.: op. cit., p. 10.

(270) Zosimus: op. cit., p. 178.

(271) Ammianus: op. cit., Vol. II, pp. 411.

(272) دياكيرا: تقع على بعد سبعة أميال من نهر الفرات. غنية بالقمح والملح الأبيض للناعم. أنظر:

Ammianus: op. cit., vol. II, p. 411.

(273) Zosimus: New History, p. 178; Ammianus: op. cit., Vol. II, p. 411.

Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 242.

وجدير بالذكر، أن ما حدث في أوزوجاردانا Ozogardana⁽²⁷⁴⁾ كان شبيهاً لما حدث في دياكيرا؛ لا سيما بعد هروب السكان منها⁽²⁷⁵⁾.

وعلى أية حال، ينفرد زوميموس بالإشارة إلى أن الإمبراطور جوليان دهش، لأن قواته تقدمت لمسافات طويلة داخل الأراضي الفارسية دون أن تقابل أي نوع من أنواع المقاومة، سواء كانت كمائن أو مواجهات علانية، ولهذا بدأ يرتاب في الأمر وخوفاً من أن تكون هناك كمائن في الطريق، اختار جوليان قائده أورميسداس، وبعث به على رأس فرقة من الجيش لاستطلاع للمنطقة التي ستعبرها القوات الرومانية، لاسيما وأنه كان على دراية تامة بالأراضي الفارسية⁽²⁷⁶⁾.

وهنا حدث ما كان يتخوف منه جوليان. إذ أن السورينا Surena، ومعه بعض القوات العربية، قاد كميناً في الطريق لأورميسداسه ولكن القوات الرومانية استطاعت أن تحرز انتصاراً كبيراً على السورينا ومن معه. وهذا هو أول لقاء بين الرومان والفرس، وأول مرة يرى فيها الرومان الجيش الفارسي⁽²⁷⁷⁾. ولقد أدى هذا الانتصار إلى رفع الروح المعنوية للقوات الرومانية⁽²⁷⁸⁾. وبالطبع قلل ذلك من هيبة القوات الفارسية في عيونها.

وعند قرية ماسبراكتا Macepraeta⁽²⁷⁹⁾، التي وصلت إليها الجيش الروماني، وأثناء محاولته عبور القنوات المائية التي كانت تنفرع من الفرات،

(274) أوزوجاردانا: قلعة تقع إلى الجنوب من دياكيرا على الضفة الغربية للفرات.

(275) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 411. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 242

يطلق زوميموس على أوزوجاردانا اسم زاراجارديا Zaragardia، انظر: New History., pp. 178- 179.

(276) New History., p. 179.

(277) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 411.

انظر أيضاً: نينا فكتور: المرجع السابق: ص: 51.

والسورينا: القائد الذي كانت له المرتبة لثانية بعد الملك الفارسي بين الفرس.

انظر: Giuseppe: op. cit., p. 242.

(278) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 413.

(279) ماسبراكتا: قرية تقع على الضفة الشرقية للفرات.

تعرض لهجوم مباغت من قبل الفرس، أدى لموت الكثير من القوات الرومانية، ولكن الفرس تعرضوا لهزيمة ساحقة في النهاية⁽²⁸⁰⁾.

والواقع، أن هزيمة الفرس عند ماسبراكنا فتحت الطريق أمام الرومان إلى مدينة بريسابورا Pirisabora⁽²⁸¹⁾. تلك المدينة التي أفاضت المصادر التاريخية المعاصرة وغير المعاصرة والمراجع الحديثة في وصف الحصار الذي فرضه الإمبراطور جوليان عليها، ودور أهلها في الدفاع عنها. فعندما وصل جوليان أسامها قام على الفور بمعينة أسوارها، ثم بدأ بفرض الحصار الشديد عليها، وكان هدفه من ذلك إنزال الرعب في قلوب سكانها، الأمر الذي يقودهم إلى التسليم بسرعة. ولم يقتصر الأمر على الحصار فقط، بل إن جوليان راح يعد السكان حول إمكانية انقو عنهم إذا قاموا بالتسليم ولم يقاوموا، أما إذا قاوموا وتم الاستيلاء على المدينة بالقوة فإنه سوف يبيدهم. ولكن حماية المدينة والسكان لم يعيروا هذه التهديدات انتباهها، واستخدموا جميع أسلحتهم ضد القوات الرومانية. وفي نفس الوقت طلبوا المقابلة مع أورميداس لمناقشته في الأمر، ولكن عند وصوله أمام أسوار المدينة إنهالوا عليه بالشتائم، واتهموه بالخيانة والعمل مع الرومان ضد مصالح بلاده، ورفضوا التسليم. فأدى ذلك لاستشارة جوليان فدفع بكل ما لديه من آلات الحصار حتى تمكن في النهاية من كسر الأسوار، الأمر الذي ترتب عليه هروب المدافعين عن المدينة وسكانها إلى داخل قلعتها، ومرة ثانية راحوا يقاومون القوات الرومانية بشراسة، ولكن للقوات الرومانية لتسابت داخل المدينة وفرضت الحصار على القلعة⁽²⁸²⁾.

(280) Ammianus: Vol. II, pp. 413-415; Zosimus: op. cit., p. 179. Cf. also, Gibbon: op. cit., Vol. IV, p. 166; Giuseppe: op. cit., p. 242.

يشير جيبون أن الحملة الرومانية قطعت مسافة ثلاثمائة ميل من قلعة سيركيزيوم وحتى

أسوار ماسبراكنا. Loc. Cit.

(281) Libanius: op. cit., p. 16.

مدينة بريسابورا تقع على بعد حوالي خمسين ميلاً من طيسفون، للعاصمة الفارسية، وجنوب غرب بغداد، وهي مدينة سيبار Sippar أو الأبار Anbar، كانت مسورة بأسوار ضخمة من الطوب المصنوع بالقر. وهي مدينة واسعة ومأهولة بالسكان. أنظر:

Ammianus: op. cit., Vol. II, p. 415. Cf. also. Stark: op. cit., p. 349.

(282) Ammianus: op. cit., Vol. II, p. 115, 117; Zosimus: op. cit. p. 179; Libanius: op. cit., p. 16. Cf. also, Gibbon: op. cit., Vol. IV, pp. 169-170;

Giuseppe: op. cit., p. 243.

وأمام هذا الحصار الخائق والقتال الضاري، الذي كان يشارك فيه الإمبراطور جوليان بنفسه، أعلنت حامية المدينة الاستسلام، وطالبت بحضور أورميسداس للتفاوض معه، وكان لهم ما أرادوا، فتم إنزال مامرسيديس Mamersides، قائد حامية المدينة، بحبل من القلعة، ونقل إلى جوليان، وبعد توصلته حصل من الإمبراطور على وعد بعدم التعرض إليه وإلى حامية المدينة أيضاً، ثم عاد إلى القلعة، حيث تمت الموافقة على ما تم التوصل إليه مع جوليان، الأمر الذي ترتب عليه فتح أبواب القلعة في نهاية الأمر⁽²⁸³⁾.

وينفرد المؤرخ زوسيموس. بالإشارة إلى أن سكان بريسابورا حصلوا على وعد من جوليان بأن كل من في القلعة "سيمرون بدون إزعاج وسط للجيش الروماني وسوف يتسلم كل منهم مبلغاً من المال وثوباً". ثم توقف عن الحديث عن أية تفاصيل أخرى في هذا الشأن⁽²⁸⁴⁾.

وهذا يوضح لنا لبيانوس أيضاً أن من شروط التسليم أن المدافعين عن المدينة اشترطوا عدم عودتهم إلى فارس، حتى لا يتم سلبهم أحياء بسبب تسليمهم، فلقد كانت هناك أوامر بالندفاع عن المدينة حتى لو ماتوا جميعاً⁽²⁸⁵⁾.

والجدير بالذكر أن أميانوس، الذي حضر حصار مدينة بريسابورا لم يشر إلى شيء من هذا القبيل، بل كل ما قاله إنه كان هناك حوالي ألفان وخمسمائة أسير فقط سمح لهم بالخروج من المدينة⁽²⁸⁶⁾. أما زوسيموس فقد ذكر أن عددهم كان خمسة آلاف. ولعل ذلك يرجع إلى أن الكثير من السكان كانوا قد هربوا من المدينة عند سماعهم باقتراب الجيش الروماني⁽²⁸⁷⁾.

(283) Ammianus: op. cit., Vol. II, p. 421.

(284) New- History: op. cit., p. 179.

(285) "Julian The Emperor" p. 16.

(286) Ammianus Marcellinus: op. cit., vol. 11, p. 421.

(287) New- History., pp. 179- 180.

ولم تغفل المصادر الحديث عن الكميات الضخمة من المؤن والأسلحة التي حملها الجيش الروماني من قلعة مدينة بريسابورا. وما ترك تم إشعال النار فيه وألقي بعضه في نهر الغرات، كما تم إشعال النار في القلعة ذاتها⁽²⁸⁸⁾.

ويرى المؤرخ زوسيموس أن النصر الكبير الذي كسبه الرومان على الفرس في مدينة بريسابورا أدى إلى زيادة هبة الجيش الروماني بطريقة لا يمكن تصورها، لأن للمدينة العظيمة التي تآني في المرتبة الثانية بعد طيسفون والتي كانت محصنة تحصينا جيدا، تم الاستيلاء عليها في خلال يومين فقط⁽²⁸⁹⁾.

وعلى أية حال، بعد انقشاع غبار معركة بريسابورا وتوقف صليل السيوف وصهيل الخيل، جمع جوليان قواته، ومن على المنبر قدم لها الشكر على هذا العمل العسكري الكبير، وحثها على العمل بنفس القوة في المستقبل، ووزع على كل رجل مائة قطعة من الفضة⁽²⁹⁰⁾. ولأن الجنود كانوا ينتظرون أكثر من ذلك فقد لظهروا امتعاضهم، الأمر الذي أدى إلى إثارة جوليان فخطبهم موضعا إليهم أن خزائن الإمبراطورية الرومانية خاوية، والسبب في ذلك أن الكثير من أباطرة روما، واطبوا على شراء السلام من البرابرة، حتى يعيشوا في أمان، "إنني أعرف أنكم ترغبون أن تكونوا أغنياء، انظروا إلى الفرس، يرفلون في الثروة من كل نوع. إن الأغنياء من هذا الشعب يمكن أن يوفروا لكم مالا كثيرا... إذا اتبعتم، بدون خوف، قيادة الرب وجزاكم (يقصد نفسه)، ولكن إذا عارضتموني، وكررتم مشاهدكم المخجلة، المتمثلة في عدم رضاكم السابق، اذهبوا الآن، لأنني بمفردي سوف أواصل الأعمال العظيمة إلى النهاية، إنني أرغب أن أموت واقفا على قنماي، ولن أضع أي أهمية لحياتي التي يمكن لأي

⁽²⁸⁸⁾ op. cit. Loc. cit; Ammianus: op. cit., vol., II, p. 423 Giuseppe: op. cit., p. 243; Water E. op. cit. p. 10; Stark: op. cit., p. 349; Bowersock: op. cit., p. 112.

⁽²⁸⁹⁾ New- History., p. 180.

⁽²⁹⁰⁾ Ammianus: op. cit., vol. II, p. 423, 424; Zosimus: op. cit., p. 180. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 244.

إنسان عديم القيمة أن يسلبها مني^(٢٩١). وهكذا يضرب الإمبراطور جوليان على أوتار ثروة الفرس التي هي ثروة للعراق الآن. إننا نجد مشهد الطنطنة على ثروات المعلمين في بلاد الشام دائم التكرار، ولكن في صور مختلفة.

إن خطاب الإمبراطور جوليان قوبل بالتصفيق الحاد من قبل قواته التي وعدت بطاعته وعدم الشكوى مرة ثانية، وبأنها وانقذت في النصر إذا ما تم العمل تحت راية الإمبراطور البطل. ثم عادت القوات إلى خيامها لتناول الطعام وأخذ قسط من النوم. منتظرة المكاسب في الأيام المقبلة^(٢٩٢).

وتروي المصادر التاريخية أنه في اليوم التالي للانتصار الذي حققه جوليان على الفرس في مدينة بريسابورا تعرضت ثلاث فرق عسكرية من القوات الرومانية لهجوم السورينا، مما أدى إلى مقتل بعض الجنود الرومان بما فيهم قائد إحدى الفرق وحامل راية الجيش التي استولى عليها الفرس.

ولم ينقذ الموقف سوى مهاجمة جوليان بنفسه مع بعض قواته القوات الفارسية، حيث أجبرها على الهروب، واسترد الراية. وبعد ذلك طرد قائد الفرقتين الرومانيتين اللذين لم يقاوما الفرس، وعزل قتل عشرة من الجنود الذين هربوا من ساحة القتال^(٢٩٣).

ووسط هذا النجاح الإمبراطوري وصلت القوات الرومانية لتطلقها، حيث قطعت أربعة عشر ميلا، وصلت بعدها على أحد الأماكن المثمرة، ولكن بعد اجتياز برك المياه التي غمر بها الأهالي طريق مرور هذه القوات. ومهما يكن من أمر فإن ما حصل عليه الجنود من مؤن من البلح الموجود بكثرة في المكان هون عليهم الصعوبات التي قابلوها أثناء سيرهم^(٢٩٤). وعندما كانت

(291) للمزيد من التفاصيل عن هذا الخطاب كاملا، انظر:

Ammianus: op. cit., vol. II, 425, 427. Cf. also, Gibbon: op. cit., pp. 176-177; Giuseppe: op. cit., vol. IV, p. 244.

(292) Amianus: op. cit., vol. II p. 427.

(293) Zosimus: op. cit., p. 180; Ammianus: op. cit., vol. II, 427, 429.

(294) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 427, 429; Libanius: op. cit., p. 17. Cf. also, Walter E.: op. cit., p. 10.

القوات الرومانية تواصل سيرها هاجمها رماة للمهجم من الفرس الذي تربصوا بهم في الطريق، ولكن هذا الهجوم لم يفسر عن أية قتلى^(٢٩٥).

وفي للنهاية وصلت القوات الرومانية إلى مدينة البصرة Bithra، فأشعلت النار فيها على الفور بسبب الغضب الذي سيطر عليها، ومن هناك تقدمت حتى وصلت إلى مدينة مايو زامالكا Maiozamalcha^(٢٩٦)، وعندما كان جوليان يتفحص تحصيناتها الخارجية انقض عليه اثنان من الفرس، ولكنه تلقى ضرباتهم بمهارة على ترسه المرفوع؛ وتمكن من قتل أحدهما، في حين أن حرسه قتلوا الآخر. وعندما عاد إلى معسكره قبيل بفرحة غامرة^(٢٩٧).

وقرر جوليان فرض الحصار على مدينة مايو زامالكا. ويذكر زوسيموس الأسباب التي دفعته إلى ذلك، فيقول إن هذه المدينة كانت ملجأ لكثير من سكان المدن والقلاع الأخرى القريبة منها والتي خافت من مهاجمة جوليان لها، ولذلك كانت مكتظة بالمسكان، ولكنها في نفس الوقت لم تكن قوية بدرجة تمكنها من الدفاع عن نفسها^(٢٩٨).

ومع أن الباحث يتفق مع زوسيموس فيما قاله، فإنه يجب علينا إدراك أن محاولة اغتيال جوليان من قبل حامية هذه المدينة كانت من أحد الأسباب للمباشرة لإصراره على فرض الحصار عليها وإخضاعها، هذا من ناحية، كما أنه كان من الطبيعي أن يستولى عليها شأنها في ذلك شأن بقية المدن الفارسية التي استولى عليها من قبل، من ناحية أخرى.

وأثناء الاستعدادات لفرض الحصار على مدينة مايو زامالكا بعث جوليان بفيكتور Victor، أحد قواده، على رأس فرقة من الفرسان لاستكشاف الطريق حتى طيسفون، عاصمة الفرس. وعندما عاد هذا القائد وأخبر جوليان بعدم وجود

(295) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 431.

(296) مايو زامالكا: مدينة تقع على الضفة الشرقية لنهر الفرات جنوب للبصرة. على مقربة من مدينة طيسفون. أنظر: Walter D., op. cit., p. 10.

(297) Zosimus: op. cit., p. 180; Ammianus: op. cit., p. 431, 433. Cf. also Gibbon: op. cit., vol. IV, pp. 175- 176; Giuseppe: op. cit., pp. 244- 245.

(298) New- History., p. 180.

أية عقبات في الطريق، فرحت القوات الرومانية فرحاً شديداً، ولزادت ثقتهما بنفسها. ولهذا عندما تلقت إشارة الهجوم على (مايوزامالكا)، هاجمت بشراسة وسط وابل من السهام الفارسية التي انهالت عليها. وبعد قتال شرس استخدمت فيه جميع أنواع الآلات الحربية المستخدمة حينذاك، تمكنت القوات الرومانية من دخول المدينة وقتل حاميتها وانفجعت في شوارعها تقتل وتقتل من يقابلها من السكان نون اعتبار لسن أو جنس حتى قتل الجميع، ثم بدأت هذه القوات في النهب؛ حاملة كل ما يقابلها، وفي النهاية أشعلت النار في مباني المدينة^(٢٩٩).

وتعليقاً على دمار مدينة مايوزامالكا قال أميانوس: شاهد العين؛ "إن هذه المدينة العظيمة المأهولة بالسكان تحولت إلى كومة من التراب"^(٣٠٠). وعضد هذا الرأي ما قاله زوسيموس: "إن جميع مباني للمدينة لا يمكن لأي إنسان أن يتصور أنها كانت مبنية من الطوب"^(٣٠١) لما لبيانوس فقد قال: "إن الكثير من سكان مدينة مايوزامالكا قد قتلوا أنفسهم خوفاً من النقل بإلقاء أنفسهم من فوق الأسوار العالية". كما استطرده موضحاً أن المدينة تم تسويتها بالأرض. وأن الدمار الذي لحق بها يفوق أي دمار لحق بالمدن التي استولى عليها الرومان قبل ذلك^(٣٠٢).

والحقيقة المرة أنه لم ينج من سكان مدينة مايوزامالكا من الرجال سوى نابداتس Nabdates، قائد المدينة، وثمانون من أتباعه، أمر جوليان بالاحتفاظ بهم أسرى^(٣٠٣). وبخصوص الغنائم التي تم الاستيلاء عليها من مدينة مايوزامالكا فقد تم توزيعها على أساس الجدارة في القتال والأعمال الحربية

⁽²⁹⁹⁾ لمزيد من التفاصيل عن حصار مدينة مايوزامالكا والاستيلاء عليها بواسطة للقوات الرومانية أنظر:

Ammianus: op. cit., p. 433, 435, 437, 439, 441, 443, 445; Zosimus: op. cit., pp. 181- 181. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 245; Gibbon: op. cit. vol. IV, pp. 171- 172.

⁽³⁰⁰⁾ Ammianus., vol. II, p. 447, 449.

⁽³⁰³⁾ New- History., p. 181.

⁽³⁰²⁾ "Julian The Emperor", pp. 17- 18.

⁽³⁰³⁾ Ammianus: op. cit., vol. II, p. 445. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 245.

الشاقة. أما جوليان "الذي كان يقنع بالقليل" فقد اكتفى فقط من الغنائم بثلاث
عملات من الذهب، وولد أحرس. وفي نفس الوقت رفض أن يلتمس امرأة واحدة
"من جميلات فارس العذارى"^(٣٠٤).

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن، كم قتل من الجيش للروماني أثناء
القتال الدائر حول مدينة مايوزمالكا؟ إن أميانوس في اجابته على هذا التساؤل
يوضح أن واحدا فقط مات من الجيش للروماني^(٣٠٥). والباحث في الحقيقة لا
يصدق ذلك، لأن أميانوس أراد أن يوضح للعالم أن صديقه جوليان وقولته قوم
لا يغلبون، كما أنه من الطبيعي أن يقول ذلك روماني.

وعلى كل، في الوقت الذي كان جوليان يستعد فيه للرحيل بحملته
وصلته أخبار توضح أن هناك فرقة من القوات الفارسية تختبئ في أنفاق قرب
مدينة مايوزمالكا المبداء، وهذه الفرقة ستقوم بمهاجمة مؤخرة الجيش الروماني
أثناء تقدمه. فبحث جوليان بفرقة من قوات المشاة لطردهم، ولكن بسبب عدم
خروجهم وعدم قدرة القوات الرومانية على دخول هذه الأنفاق قام الرومان
بإشعال النار أمام فتحات هذه الأنفاق، الأمر الذي أدى إلى موت بعض القوات
الفارسية، أما الذين خرجوا فقد انهالت عليهم السيوف الرومانية فأبادتهم
جميعا^(٣٠٦).

ويتحدث المؤرخ أميانوس موضحا أنه أثناء تقدمهم حاولت فرقة فارسية
يتولى قيادتها ابن الملك سابور الثاني متع مقدمة الجيش من عبور أحد الأنهار،
ولكنها ارتدت بسبب الخوف من ضخامة القوات الرومانية التالية للمقدمة^(٣٠٧).

وأخيرا وصلت القوات إلى منطقة مليئة بالحقول والحدائق، يتوسطها أحد
القصور المبنية على الطراز للروماني، ويسبب الإعجاب به لم تقم القوات
الرومانية بتدميره. أما بخصوص حديقة الحيوان التي وجدت على مقربة من هذا

(304) Ammianus: op.cit., vol. II, p. 445. Cf. also, Gibbon: op. cit., vol. IV.
P. 176.

(305) Ammianus Marcellinus: op. cit., vol. II, p. 447.

(306) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 447.

(307) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 449/

القصر فقد نمرت أسوارها وقتل ما بها من حيوانات⁽³⁰⁸⁾. ثم غادر جوليان منطقة الحدائق حيث وصل إلى كوش Coche⁽³⁰⁹⁾، وبعد يومين قضاها هناك واصل رحلته، وأمام مدينة ساباثا Sabatha وقعت معركة عنيفة بين الفرس، الذين خرجوا من المدينة، والرومان، وانتهت المعركة لصالح الرومان⁽³¹⁰⁾. الذين واصلوا سيرهم.

وأمام قلعة أرنتيوس Arintheus، التي وصلت إليها القوات الرومانية، تعرض الإمبراطور جوليان لمحاولة اختيال من قبل حامية القلعة، ولكنه أفلت منها بصعوبة فقرر على الفور الاستيلاء عليها، وبعد حصار شاق، استخدمت فيه جميع الأسلحة من قبل الطرفين، سقطت القلعة في يد القوات الرومانية، وأمر جوليان بإشعال النار فيها فوراً، وذلك لأنه كاد يفقد حياته أمامها، كما أن قواته عانت معاناة شديدة أثناء حصارها. واستعداداً للأعمال القتالية الشاقة المقبلة أعطى جوليان قواته برهة للالتقاط الأنفاس، وزع خلالها للمؤن بسوفرة عليها⁽³¹¹⁾.

"... وأثناء حصار قلعة أرنتيوس"، يقول زوسيموس، "هاجمت قوة فارسية من على الجانب الآخر للنهر - لم يتحدث زوسيموس عن اسم النهر - الخدم الذين كانوا يقومون على خدمة حيوانات الحمل، وأولئك الذين يحرسونهم،

(308) Zosimus: op. cit., p. 181. Cf. also, Giuseppe: op. cit., pp. 145- 146.

(309) كوش: هي مدينة ملوقية، وتسمى أيضاً للمدائن. تقع على الجانب الغربي لنهر دجلة.
أنظر:

Gibbon: op. cit., vol. IV, pp. 178- 179; Matthew Bunson: op. cit., p. 380.

(310) Ammianus: op.cit., vol. II, p. 449, 451; Zosimus: op. cit., p. 181. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 246.

وساباثا: هي مدينة أرمينيا Armenia التي تبعد عن مدينة ملوقية بحوالي ثلاثين ميلاً.
أنظر:

Zosimus: op. cit., p. 181.

(311) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 451, 453, 455; Zosimus: op. cit., p. 181.

فقتلوا قسماً منهم وأخذوا الباقين أسرى. وهذه هي المرة الأولى التي يتعرض فيها الجيش الروماني لمثل هذه الأعمال المؤسفة⁽³¹²⁾.

وعلى أية حال، وصلت القوت الرومانية إلى نهر مالقا⁽³¹³⁾ Malcha، تعني نهر الملوك، الذي يربط بين دجلة والفرات. وعلى الفور أزلت القوات الأحجار الضخمة وأكوام الأتربة التي كانت تسمده، ثم فتحت السدود فامتلاً بالماء، وعندئذ تمكن الأسطول الروماني من دخوله والإبحار حتى نهر دجلة. وعلى الفور لقيت عليه الكباري التي استخدمها الجيش الروماني في العبور⁽³¹⁴⁾.

وهكذا، بعد رحلة طويلة وشاقة، وصل الإمبراطور جوليان وقواته أمام الهدف الذي خرجوا من أجله - مدينة طيسفون - على الضفة الشرقية لنهر دجلة التي تبعد اثنين وأربعين كيلو متراً جنوب شرق بغداد. إن كل شيء سار كما كان يرغب جوليان، الذي وقف آنذاك على نهر دجلة مزهواً، فلقد تبسم له الحظ، الذي كان يعتمد عليه بدرجة كبيرة، "وهو الآن"، كما قال أميانوس، يضع ثقته بدرجة كبيرة في الحظ⁽³¹⁵⁾. ولكن الباحث لا يتفق مع هذا الرأي، لأن المعارك العسكرية لا تكسبها الجيوش بالخط والدعوات بل بالاستعدادات والخطط الحربية. وعلى الضفة الشرقية لنهر دجلة، أمام أسوار مدينة طيسفون احتشدت قوات المشاة الفارسية، تساندها فرق الفرسان القوية والفيلة تحت قيادة

(312) New-History, p. 181.

(313) نهر مالقا: حفر بولسطة الإمبراطور تراجان، ثم طمست معالمه، ولكن أعيد تشيخه في عهد الإمبراطور ميثمويوس سيفيروس، غير أنه سد مرة ثانية بولسطة الفرس، لمنع مهاجمة طيسفون - أنظر:

Ammianus: op. cit., vol. II, p. 457; Giuseppe: op. cit., p. 246.

(314) Libanius: "Julian the Emperor", p. 18; Zosimus: op. cit., pp. 181-

182; Gibbon: op. cit., vol. IV, pp. 179- 180; Bowersock: op. cit., p. 113.

ويذكر ليبانيوس أن الذي قام بتطهير القناة الرابطة بين دجلة والفرات هم للفرس الذين جاء بهم جوليان آنذاك من المناطق القريبة. انظر:

"Julian the Emperor", p. 18.

(315) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 459.

السورينا^(٣١٦). إن القلق بدأ يظهر على القادة الرومان عندما شاهدوا هذه القوات الضخمة، لا سيما الفيلة برائحها الكريهة^(٣١٧).

وكان جوليان قد خطط لعبور نهر دجلة، ولكنه احتفظ بالخطمة لنفسه فقط. وتحت ادعاء صوري بفحص حالة أجهزة التجديف للتأكد من مدى صلاحيتها قام بتفريغ ثمانين سفينة من حمولتها؛ واختار فرقة عسكرية قوامها ثمانمائة جندي، أعلن ظاهرياً قيامها بعمل عسكري سري، ولذلك صدرت إليها الأوامر أن تكون على أهبة الاستعداد. وليخفي خطته عن الفرس عقد سباقاً للخيل ووزع فيه الجوائز على المنتصرين^(٣١٨). وفي المساء استدعى قواده إلى خيمته، وأخبرهم بعزمه على عبور نهر دجلة في تلك الليلة، وعندئذ عقدت الدهشة ألسنتهم عن الكلام، فخطبهم جوليان موضحاً أن الفتح والوصول إلى الهدف يقومان على المحاولة، ولا ينبغي الانتظار طويلاً؛ لأن أعداد العدو تتزايد؛ والانتظار فترة أطول لن يؤدي إلى تضيق عرض المجرى المائي (نهر دجلة) ولا انخفاض مستوى المياه فيه^(٣١٩).

ولذلك أعطى أوامره بالعبور، فتقدمت خمس سفن تحت قيادة فيكتور، وعندما وصلت إلى الضفة الشرقية لنهر الفرات انهار عليها الفرس بكل أنواع الأسلحة التي أضاعت ظلام الليل الحالك، وعند رؤية ذلك هتف جوليان قائلاً: "إنهم يكونون الآن سادة الضفة، إنني أعرف ذلك عن طريق النار التي اشتعلت في سفنهم، التي أمرتهم أن يقوموا بإحراقها كعلامة على نصرهم". ثم أعطى أوامره فوراً لقواته بالتقدم لإيقاد رفاقهم، وبعد صراع وحشي مع الفرس تمكن الجيش الروماني من اتخاذ مواقعه على الضفة الشرقية لنهر دجلة قابلة أسوار.

(316) Libanius: op. cit., p. 18. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 246.

(317) Norwich: op. cit., p. 97.

(318) Libanius: op. cit., p. 19; Ammianus: op. cit., vol. II, p. 459. Cf. also.

Gibbon: op. cit., vol. IV, p. 181.

(319) Libanius: op. cit., p. 19. Cf. also, Gibbon op. cit., vol. IV, p. 181-

182.

مدينة طيسفون^(٣٢٠)، وعلى الفور تولى جوليان قيادة الهجوم، وبعد معركة طاحنة مع الفرس، استمرت من منتصف الليل وحتى ظهر اليوم التالي، انتصر الجيش الروماني، وولى الفرص الأكتبار إلى مدينة طيسفون، ومنط مطاردة الرومان لهم حتى أبواب المدينة^(٣٢١).

وكادت الفرصة متاحة، كما قال بعض المؤرخين المحدثين، لدخول القوات الرومانية مدينة طيسفون في أعقاب القوات الفارسية الهاربة^(٣٢٢). ولكن القائد الروماني فيكتور الذي أصيب بسهم في كتفه، كان له رأي آخر. لأنه خاف من أن هذه للقوات إن دخلت المدينة، ولم تجد طريقاً للخروج، سيقتم القضاء عليها من قبل الفرس^(٣٢٣).

وطبقاً لما قاله المؤرخ أميانوس قتل من الجانب الفارسي حوالي ألفين وخمسمائة، ولم يقتل من الرومان سوى سبعين فقط^(٣٢٤). أما زوسيموس الذي يتفق معه في عدد قتلى الفرس، أشار إلى أن عدد قتلى الرومان كان حوالي خمسة وسبعين^(٣٢٥).

ولم ينس جوليان بعد هذا الانتصار الكبير أن يوزع الغنائم على جنوده، كما أنه لم ينس أن يقدم الشكر إلى الإلهة، عن طريق الذبائح^(٣٢٦).

(320) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 459; Libanius: op. cit., p. 19;

Zosimus: op. cit., p. 182; Gregory Nazianzen: op. cit., p. 3.

(321) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 461, 463; Zosimus: op. cit., p. 182.

Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 246.

ينفرد زوسيموس بالإشارة إلى أن جوليان لم يعبر نهر دجلة إلا في اليوم الثالث لعبور قواته.
أنظر:

Zosimus: op. cit., p. 182.

(322) Gibbon: p- cit., vol. IV, p. 183; Giuseppe: op. cit., p. 246.

(323) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 463, 465.

(324) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 465.

(325) New- History, p. 182.

(326) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 465, 467. Cf. also. Giuseppe: op. cit., p. 247; Gibbon: op. cit., vol. IV, p. 184.

ثم عقد جوليان آنذاك مجلسا للحرب لمناقشة حصار مدينة طيسفون والاستيلاء عليها. وبعد مناقشات مطولة بين جوليان وقواده توصل الجميع إلى قرار بعدم حصار المدينة، وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: إن مدينة طيسفون بموقعها الفريد كانت محصنة تحسبنا جيداً.

ثانياً: كانت مؤن الجيش في طريقها للنفاد.

ثالثاً: كانت درجات الحرارة في هذا الوقت من للعام مرتفعة جداً^(٣٧٧)، الأمر الذي سوف يؤثر على همة القوات.

رابعاً: امتلاء المنطقة بحشود من الناموس والذباب، الذي يؤدي إلى مضايقة الجيش.

خامساً: عدم وصول القوات التي كان يقودها بروكوبيوس كما كان متفق عليه.

سادساً: كانت القوات الرومانية مهددة مع مرور الوقت بقدم الملك سابور الثاني على رأس قوات ضخمة^(٣٧٨). وهذا ما عبر عنه الطبري بقوله: "تكتب سابور إلى من في الأفاق من رجاله بعلمهم الذي لقي من ليلانوس ومن معه من العرب ويأمر من كان فيها من القواد أن يقدموا عليه فمن قبلهم من جنوده فلم يلبس أن اجتمعت إليه الجيوش من كل أفق..."^(٣٧٩).

والجدير بالذكر، أنه في الوقت الذي لم يثر فيه المؤرخ لميانوس، شاهد العيان لأي مفاوضات سلام جرت آنذاك، نرى المؤرخ سفراط ينكر أن الملك سابور الثاني قام بمساعي متكررة للتوصل إلى سلام مع جوليان، عارضاً عليه

⁽³²⁷⁾ يذكر بعض المؤرخين أن جوليان كان أمام أسوار مدينة طيسفون في ٢٩ مايو ٣٦٣ م. انظر: Norwish: op. cit., p. 97 في حين يقول البعض أنه كان في يونيو. Mathew Bunson: op. cit., p. 220.

⁽³²⁸⁾ Ammianus: op. cit., vol. II, p. 467. Cf. also, Gibbon: op. cit., vol. IV, pp. 184- 185; Giuseppe: op. cit., p. 247; Orton: op. cit., Tom. I, p. 49; Lietzmann: op. cit., p. 296; Norwish: op. cit., pp. 97- 98; Brook: op. cit., pp. 353.

⁽³²⁹⁾ تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص ٤٦٣.

لأن يتنازل له عن جزء من أراضيه، ولكن جوليان رفض، في الوقت الذي أبدى قواده مثل هذا الحل: متأسياً بالحكمة التي تقول: "إن تنتصر تكن شريفاً، ولكن إن تكن أكثر من المنتصر تكن ممقوتاً"⁽³³⁰⁾. كما أشار ليبانوس أيضاً إلى مساعي السلام هذه، موضحاً أن مابور الثاني أرسل مبعوثاً من قبله إلى أورميسداس، طالباً من الأخير بذل قصارى جهده لدى جوليان لإقناعه بإقامة السلام مع الفرس، ولكن جوليان رفض هذه المساعي، وأمر بعودة السفير الفارسي⁽³³¹⁾.

والباحث من جانبه يرى أن أسباب رفض جوليان للصلح مع مابور الثاني تتمثل في أنه كان ما يزال لديه الأمل في إخضاع الإمبراطورية الفارسية لسيادته، مثلما فعل الإمبراطور المقدوني قبل ذلك.

وفي النهاية استقر رأي الإمبراطور جوليان على الارتداد بقواته عبر الساحل الشرقي لنهر دجلة⁽³³²⁾. وذلك لاعتبارين، الأول: عامل الكرامة، لأن مثل هذا الطريق لن يوحى بأن جوليان مرتد بقواته، ولكن يمكن النظر إليه على أنه استمرار للحملة داخل الأراضي الفارسية. أما الثاني: فهو إمكانية الحصول على المؤن بنون صعوبات كبيرة، والاتصال بالقوات الموجودة تحت قيادة بروكوبيوس⁽³³³⁾.

وعن هذه النقطة استقبل جوليان في معسكره أحد النبلاء الفرس مع أتباعه حيث حكي للإمبراطور أنه هرب بسبب اضطهاد الملك سابور، وأنه على استعداد أن يكون رهينة في المعسكر الروماني، ويعمل دليلاً للجيش أثناء تقدمه في الأراضي الفارسية. ورغم تحذيرات أورميسداس لجوليان بعدم الوثوق في هذا النبيل إلا أنه لم يعر هذه للتهديدات اهتماماً⁽³³⁴⁾.

⁽³³⁰⁾ The Ecclesiastical History, p. 199.

⁽³³¹⁾ "Julian the Emperor", p. 19.

⁽³³²⁾ Zosimus: op. cit., p. 182.

⁽³³³⁾ Libanius: op. cit., p. 20. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 248.

⁽³³⁴⁾ Socrates: op. cit., p. 201. Cf. also, Gibbon: op. cit., vol. IV, p. 188.

وعلى الفور أقمم على إشعال النار في جميع سفن الأسطول، باستثناء اثنتي عشرة سفينة من أصغر السفن. إن جوليان كان يرى أنه بإحراقه لبحريته سيضمن عدم استخدامها من قبل الفرس هذا من ناحية، كما أنه سيوفر له ٢٠,٠٠٠ جندي كانوا يتولون قيادة السفن، من ناحية أخرى^(٣٣٥).

وفي رأي بعض المؤرخين المحدثين أن جوليان أحرق أسطوله، لأن نهر دجلة لم يكن صالحاً للملاحة، لا سيما وأن السفن ستسير ضد التيار^(٣٣٦).

وبعد إحراق الأسطول الروماني ومخازن السلاح والمؤن، التي لم يحمل منها جوليان سوى ما يكفي قواته عشرين يوماً، تقدم جوليان دخلل الأراضي الفارسية يحثوه الأمل وجنوده في الحصول على المؤن، ولكن لم يحدث شيء من هذا القبيل، لأن الفرس أشعلوا النار في العشب والقمح الذي كان على وشك الحصاد، الأمر الذي أدى إلى هلاك دواب الحمل الرومانية بسبب الجوع. وعند ذلك لجأ جوليان إلى استخدام المخزون الزهيد من المؤن، الذي كان على وشك النفاذ. هذا في الوقت الذي قام فيه الفرس بالعديد من الهجمات على القوات الرومانية^(٣٣٧).

ومما زاد الطين بلة هروب النبيل الفارسي الذي كان يعمل مرشداً للقوات الرومانية في الأراضي الفارسية. الأمر الذي أدى إلى إصابة هذه القوات بالرعب لا سيما عندما علمت أنه كان يخدعها. فقامت على الفور بتجنيد أتباع هذا النبيل^(٣٣٨).

⁽³³⁵⁾ Ammianus: op. cit., vol. II, p. 469; Socrates: op. cit., p. 201; Gibbon: op. cit., pp. 188-189.

ذكر جريجوري التازيانزي أن النبيل الفارسي الذي ادعى الهروب إلى معسكر جوليان هو الذي أوحى إليه بإحراق بحريته. أنظر:

"Julian the Emperor" Oration 5, p. 3.

⁽³³⁶⁾ Fran/ius: op. cit., p. 38; Treadgold: op. cit., p. 61.

⁽³³⁷⁾ Ammianus: op. cit., vol. II, p. 469, 471; Zosimus: op. cit., p. 182.

Cf.

Also, Gibbon: op. cit., vol. IV, p. 192.

⁽³³⁸⁾ Gibbon: op. cit., vol. IV, P. 193; Giuseppe: op. cit., p. 249.

ويتحدث أميانوس باستفاضة بعد ذلك عن أسرى الفرس الذين وضعهم جوليان في مقدمة قواته، وتدره عليهم، ثم أقيادهم إلى الأسر، ثم عقده مجلساً لمناقشة طريق العودة، وبعد مجادلات تم الاتفاق على التوجه إلى كوردونا Corduena (كرديستان) والاستيلاء عليها، بهدف الحصول على المؤن^(٣٣٩).

وفي ١٦ يونيو، أثناء ارتداد القوات الرومانية نشبت معركة طاحنة بينها وبين الفرس، ولكن الانتصار كان حليف الرومان. ورغم ذلك لك تتوقف هجمات الفرس، الذين انضم إليهم للعرب ضد القوات الرومانية أثناء تقدمها، حتى وصلت في النهاية إلى مكان يدعى أوكومبرا Hucumbra، وهناك توقفت يومين، حيث المؤن الوفيرة^(٣٤٠).

وفي يوم ١٨ يونيو سنة ٣٦٣م غادرت القوات الرومانية أوكومبرا بعد أن أشعلت النار فيها. وفي ١٩ يونيو، وأثناء تقدم هذه القوات، انقض الفرس فجأة على مؤخرتها ولكن قوات الفرسان الرومانية أفضت الموقف، وردت الفرس. وبعد انقشاع غبار المعركة قام الإمبراطور جوليان بمعاينة إحدى الفرق الرومانية، التي لم تقاوم الفرس، حيث حولها من فرقة من الفرسان إلى فرقة من المشاة، كما تم عزل أربعة من القادة لنفس السبب^(٣٤١).

وعندما وصلت القوات الرومانية إلى مدينة مارانجا Maranga كانت قد وصلت إلى ذروة يؤسها؛ لأن المؤن أصبحت على وشك النفاذ. ووسط حالة اليأس هذه هاجم الفرس مؤخرتها، وبعد معركة طاحنة بين الجانبين، أهلى فيها الرومان يلاء حسناً، ثم إجبار القوات الفارسية على الهروب. وأعلنت هدنة

⁽³³⁹⁾ Ammianus: op. cit., vol. II, p. 471, 473.

⁽³⁴⁰⁾ Ammianus: op. cit., vol. II, p. 473, 475, 477; Zosimus: op. cit., p. 182. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 250; Norwish: op. cit., p. 98.

ومدينة أوكومبرا: هي مدينة سيمبرا Symbra يعقوية الحالية، الواقعة على نهر دجلة بين مدينتي نيسبارا Nisbara ونيشانابا Nichanaba، حوالي سبعون ميلاً شمال مدينة طيسفون. أنظر:

Zosimus: op. cit., p. 182. Cf. also, Giuseppe: op. cit., 250.

⁽³⁴¹⁾ Zosimus: op. cit., p. 182; Ammianus: op. cit., vol. II, p. 477; 479.

Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 250.

حربية بين الطرفين منتها ثلاثة أيام^(٣٤٧). ومع أن هذا كان بالتأكيد نصراً للرومان، فإنه لم يغير من وضعهم العسكري السيئ. كما أن الفرس تعلموا وفتنذ بأنه لا يجب الهجوم مرة ثانية بقوات ضخمة، ولكن يجب للقيام بغارات خاطفة على الجيش الروماني^(٣٤٢).

وعلى أية حال، يحدثنا أميانوس، ومن تبعه من المؤرخين المحدثين، عن الموقف داخل المعسكر الروماني آنذاك، فيوضح أن حالة الجوع وصلت ذروتها وأنه كان أيضاً من بين الجوعى، وهذا ما نستشفه في قوله: "ولأننا كنا بدون مؤن فقد تألمنا بسبب الجوع الذي لا يطاق". وما يدل على ندرة الطعام، قيام جوليان بتوزيع مؤن القادة على الجيش، وهو أيضاً كانت وجباته عادية. وبسبب كل هذا فقد سيطر القلق على جوليان وطار النوم من عيونه، فلجأ إلى ممارسة الكتابة نيلاً ويواصل أميانوس حديثه موضحاً أن الإمبراطور استيقظ في إحدى الليالي على حلم أزعجه كثيراً. وعلى وجه السرعة، استدعى العرافين والمنجمين، قبيل الفجر، لتفسير ما رآه في لومه، فأشاروا عليه بعدم الدخول في معركة مع العدو، أو حتى مجرد المناوشات، ولكنه لم يصدق ما قالوه فتوسلوا إليه أن يؤجل، على الأقل، رحيله ليضع ساعات، ولكن جوليان لم يعر ذلك اهتماماً، ومع انبلاج نور الصباح تحرك الجيش^(٣٤٤).

وفي منطقة جبلية تقدمت القوات الرومانية بصعوبة بالغة، وعند ذلك ظهر للفرس، مرة أخرى، على سفوح المرتفعات، وعلى أهبة الاستعداد للانقضاض على الرومان. وكان جوليان يتولى بنفسه قيادة المقدمة. وبعد عدة ساعات من السير المرعب، وعند المكان الذي يسمى تومارا Tummara هاجم الفرس مؤخرة الجيش الروماني، ولكن أمكن صددهم، غير أنهم عادوا بعد وقت قليل وهاجموا المقدمة، ثم هاجموا فرق الوسط، وأبادوا الجناح الأيسر للجيش الروماني بواسطة قوة من الفرسان والقبيلة. ورغم ذلك أمكن ضد الهجوم الفارسي، ولعل ذلك يعود إلى المجهود للخارق الذي بذله جوليان بين المقدمة

(342) Ammianus: op. cit., vol., II, p, 479, 481, 483, 485.

(343) Giuseppe: op. cit., p. 251.

(344) Ammianus: op. cit., vol. II, p. 485, 487.

والمؤخرة والوسط، وتشجيعه لقواته. ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن. فعندما شعر جوليان بنشوة النصر، اندفع بطارد القوات الفارسية الهاربة، وضاعت صيحات حرسه الخاص عليه أنراج الرياح، وفجأة استقرت حربه في جنبه الأيمن ووصلت كبده، وعندما سعى لإخراجها تقطعت أصابعه، وعند ذلك سقط من فوق جواده، وحمل فوراً لخيمته، لتلقي العلاج⁽³⁴⁵⁾.

أما المصادر العربية فتقدم لنا رواية مختلفة تماماً عن إصابة جوليان، فالطبري يقول: "وإن لليانوس (جوليان) كان جالسا ذات يوم في حجرته (يقصد خيمته) فأصابه سهم غرب في فؤاده فقتله"⁽³⁴⁶⁾. في حين يقول ابن الأثير: "فبينما إليانوس جالس أصابه سهم لا يعرف راميهِ فقتله"⁽³⁴⁷⁾. ويعتقد الباحث أن الروايتين بعيدتين تماماً عن الحقيقة، توافقهما مع سير الأحداث.

وعلى كل، بعد تلقي جوليان العلاج وشعوره بالتحسن، طالب بسلاحه وجواده ليعود إلى المعركة، ولكن معاودة تزيغه الجرح منعتة من ذلك. هذا في الوقت الذي كان فيه القتال على أشده بين الثرمان والفرس، ولم يتوقف إلا بسبب ظلام الليل. وقد يوصها الجانبان الكثير من القتلى⁽³⁴⁸⁾.

(345) المزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث: أنظر:

Ammianus: op. cit., vol. II, p. 491, 493; Zosimus: op. cit., p. 183; Libanius: op. cit., p. 21; John of Nikiu: op. cit., p. 31; Socrates: op. cit., p. 199. Cf. also, Giuseppe: op. cit., p. 252; Gibbon: op. cit., vol. IV, pp. 197-198; Norwich: op. cit., p. 98; Lietzman: op. cit., 297-298; R.Mangenot: op. cit., Tom. Huitieme, p. 1944; William G.: op. cit., p. 424; Stark op. cit., p. 350; Franzius: op. cit., p. 38. Bowersock: op. cit., p. 116.

وتومارا! هي مدينة سامراء الحالية. أنظر: فؤاد حسن حافظ: للمرجع السابق، ص 62.

(346) تاريخ الأمم والملوك، ج 1، ص 493.

(347) للكامل، ج 1، ص 230.

(348) Ammianus: op. cit., II, p. 493, 495, 497.

يقال إن جوليان عندما استعلم عن المكان الذي سقط فيه أخبروه بأنه يسمى Phrygia، عند ذلك قال لمن حوله إنه رأى في منامه في أنطاكية أنه سوف يموت في فريجيا.
أنظر:

Ammianus: op. cit., vol. II, p. 495.

وفي خيمته، عندما رأى جوليان الدموع تنهمر من عيون قواده، خاطبهم خطاباً طويلاً، أعلن لهم فيه أنه مستعد للموت؛ لأنها إرادة الله؛ وفي النهاية أخبرهم أنه لا يريد أن يختار من سيخلفه، بل سينترك الأمر لهم، ولكن عليهم أن يختاروا حاكماً جديراً بأن يخلفه. وبعد الانتهاء من كلامه، وزع ما تبقى من ثرواته على أصدقائه المقربين إليه. وفجأة سال الدم بغزارة من جرحه، فطلب شربة ماء، وفي النهاية فاضت روحه، عن عمر يناهز للثانية والثلاثين^(٣٤٩).
ويجمع المؤرخون على أن وفاة جوليان وقعت في ٢٦ يونيو سنة ٣٦٣م^(٣٥٠).

إنها نهاية مؤسفة، كما قال أحد المؤرخين، لرجل تقدم على رأس جيوش الإمبراطورية الرومانية، يحدوه الأمل في إرجاع عظمة هذه الإمبراطورية أثناء حكمه كإمبراطور^(٣٥١).

.... لم يكن هناك وقت، كما قال أميانوس: للبكاء أو سكب الدموع'.
ففي فجر ٢٧ يونيو سنة ٣٦٣م. ووسط حصار الفرس، اجتمع جنرالات الجيش وقادة الكتائب وفرق الفرسان، لاختيار خليفة للإمبراطور جوليان. ولم تطل الاعتراضات والمناقشات لأن الوضع كان ينذر بالسوء، ووافق الجميع على اختيار سالوستيوس Sallustius وإلى مدينة القمسططينية الوثني إمبراطوراً، ولكن الرجل رفض هذا الشرف العظيم، تحت ادعاء اعتلاله صحته وتقدم العمر به. فما كان من الجيش إلا أن اختار جوفيان Jovian، قائد الحرس الإمبراطوري، لمنصب الإمبراطور^(٣٥٢).

(٣٤٩) op. cit., II, p. 497, 499, 501.

(٣٥٠) Giuseppe: op. cit., p. 254; Walter E.: op. cit., p. 11; Arthur E: op. cit., p. 354; Matthew Bunson: op. cit., p. 220; Duchensc: Histoior Ancienne De L' Eglise, Tom II, (Paris, 1910), p. 335; Vasiliev: op. cit., vol. I, p. 76.

انظر أيضاً: إدوارد جيون: اضحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، جـ ٢، ترجمة محمد سليم سالم، مراجعة أحمد نجيب هاشم، (القاهرة، ١٩٩٧)، ص ٥٣.

(٣٥١) Walter E: op. cit., p. 11.

(٣٥٢) Ammianus Marcellinus, vol. II, p. 517, 519, 521.

ولنظر أيضاً:

وكانت الأوامر الأولى التي صدرت من قبل الإمبراطور جوفيان، وبعد ساعات قليلة من وفاة جوليان، هي متابعة السير؛ الذي عن طريقه يمكن إنقاذ الجيش من وضعه العسكري السيئ^(٣٥٣).

وتعرضت القوات للرومانية أثناء سيرها لهجمات شديدة من قبل الفرس، لا سيما عندما علم سابور الثاني بموت الإمبراطور جوليان، وساء وضع الرومان. وسيطر اليأس عليهم؛ لا سيما وأن المؤن نفدت من المعسكر. ولم ينقذ الموقف سوى إتفاقية السلام التي عقدت آنذاك بين سابور الثاني والإمبراطور جوفيان^(٣٥٤).

وعلى أية حال، عبر جوفيان نهر دجلة، وفي طريقه إلى أنطاكية تقابل مع بروكوبيوس فزوده بالمؤن، وأخلى مدينتي نصيبين وسنجار من السكان، كما كان متفق عليه، وتسلمها مندوب الملك سابور الثاني وبعد إقامة قصيرة في أنطاكية لتطلق جوفيان إلى مدينة القسطنطينية في بداية سنة ٣٦٤م، ولكنه مات قبل أن يصل إليها^(٣٥٥).

ويبرز الآن تساؤل هام عن نتائج حملة الإمبراطور جوليان على بلاد فارس. إن من أهم النتائج التي ترتبت على هذه الحملة أنها لم تحقق شيئاً من الأسباب^(٣٥٦) التي خرجت من أجلها، بل انتهت بالمعاهدة المذلة التي عقدها الإمبراطور جوفيان مع الملك الفارسي سابور الثاني، تلك المعاهدة التي ترتب

Zosimus: op. cit., p. 183; Socrates: op. cit., p. 200; Theophanes: op. cit., p. 84.

(353) Zosimus: op. cit., p. 183. Cf. also, Gibbon: op. cit., vol. IV, p. 206.
(354) للمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث أنظر:

Ammianus: op. cit., vol. II, pp. 521- 555; Zosimus: op. cit., p. 183- 185; Socrates: op. cit., pp. 200-201.

(355) للمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث أنظر:

Ammianus: op. cit., vol. II, p. 535, 537, 539, 541, 543, 545, 547, 549, 551, 555; Zosimus: op. cit., pp. 184- 185; Socrates: op. cit., p. 201. Cf. also, Gibbon: op. cit., vol. IV, pp. 211- 225; Giuseppe: op. cit., pp. 257.

(356) عن هذه الأساليب، أنظر، ص ٧-٨ من هذا البحث.

عليها ضياع المكاسب الإقليمية الكبيرة^(٣٥٧) التي حققها الأباطرة الرومان على حساب الفرس، خلال الصراع الطويل والمرير معهم. والجدير بالذكر أنه لم يتمكن أي إمبراطور روماني فيما بعد من استرداد أي إقليم أو مدينة تم التنازل عنها للفرس بمقتضى هذه المعاهدة^(٣٥٨).

وكان من نتائج حملة الإمبراطور جوليان ضعف الدفاعات الرومانية على حدود الإمبراطورية في الشرق، لا سيما بعد التنازل للفرس عن مدينتي نصيبين وسنجار، وهاتان المدينتان كانتا عبارة عن حصون تدافع عن حدود الإمبراطورية ضد الفرس في بلاد ما بين النهرين^(٣٥٩). ومن ثم فإن الطريق أصبح ممهداً بعد ذلك أمام الفرس لمهاجمة أراضي الإمبراطورية في الشرق.

ومن نتائج الحملة أيضاً أنهت فعلياً الحروب الرومانية وراء نهر الفرات^(٣٦٠).

أما بخصوص مملكة أرمينيا التي كانت بؤرة الصراع بين الرومان والفرس، فإن حملة الإمبراطور جوليان أنهت للحماية الرومانية عليها^(٣٦١). وأطلقت فيها يد الفرس. وهذا ما أكده الملك سابور الثاني بقوله: لم يعد هناك شيء يمكن أن يقف في مسيله بعد وفاة الإمبراطور جوليان ويعوقه عن استرداد تلك الأرض التي هي في الأساس تخص أجداده^(٣٦٢) وكانت النتيجة - فيما بعد - أسر الملك الأرمني أرساكيس نفسه على يد الفرس.

(357) بلغت المكاسب الرومانية ذروتها في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس، حيث تمكنت الإمبراطورية الرومانية من ضم خمسة أقاليم فارسية وراء نهر دجلة، بمقتضى معاهدة القيصر جاليريوس مع الملك الفارسي نارمس سنة ٢٩٧م. وللمزيد من التفاصيل. انظر: Eutropius: Abridgment of Roman History, Tr. By John Selby Watson. (London, 1886), p. 525; Theophanes: op. cit., p. 13.

(358) Zosimus: op. cit., p. 183.

(359) Ammianus: op. cit., Vol. II, p. 55.

(360) Stark: op. cit., p. 335.

(361) Treadgold: op. cit., p. 62; William G.: op. cit., 354.

(362) Stark: op. cit., p. 335.

ومن أبرز نتائج حملة الإمبراطور جوليان على الجيش الروماني موت الكثير من سواه كان في حروبه مع الفرس أو أثناء عبوره نهر دجلة في طريق عودته^(٣٦٣).

ويرى بعض المؤرخين أن حملة الإمبراطور جوليان ترتب عليها ارتفاع نجم الملك سابور الثاني في بلاد فارس^(٣٦٤).

على أن أهم نتائج حملة الإمبراطور جوليان على الصعيد الروماني الداخلي كان النزاع الذي نشب على عرش الإمبراطورية. فبعد وفاة الإمبراطور جوفيان تولى عرش الإمبراطورية أخواه فالنتينيان الأول (٣٦٤ - ٣٧٥م) Valentinian و فالنز (٣٦٤ - ٣٧٨م) Valens، فالتقسما حكم الإمبراطورية، فأصبح النصف الغربي للإمبراطورية من نصيب فالنتينيان، أما الشرقي فكان من نصيب فالنز^(٣٦٥). ولكن هذا لم يأت على هوى القوات الغالبة التي كانت ما تزال على ولائها للإمبراطور جوليان، ولم يأت أيضاً على هوى الوثنيين السذجين أنصفهم جوليان ولهذا التف هؤلاء وأولئك حول بروكوبيوس، الذي كان يتولى قيادة القوات الرومانية في أعالي بلاد النهرين وهرب إلى القسطنطينية بعد وفاة جوليان، ومن ثم أعلن بروكوبيوس نفسه إمبراطوراً في القسطنطينية، في نهاية سنة ٣٦٥م، وتقدم على رأس قواته حيث استولى على تراقيا وبيثينيا. ولكن فالنز قبض عليه وأعدمه بعد أن استقطب قواته. وكان أن التف بعض أنصار بروكوبيوس حول أحد أصدقائه وهو ماركيلينوس، إلا أن فالنز قضى عليهم تماماً^(٣٦٦).

ولكن هل كان لحملة الإمبراطور جوليان نتائج على حدود الإمبراطورية في الغرب؟ يمكن القول إن الجبهة الغربية للإمبراطورية الرومانية، لا سيما بلاد الغال، قد تعرضت لهجمات الألمان والفرنجة والعمكسونيين، بعد وفاة

(363) Pat Southern and Koren R. Dixon: the Later Roman Army, (London, 1996), p. 39.

(364) Gibbon: op. cit., vol. IV., p. 220.

(365) Vasiliev: op. cit., vol. I, p. 78.

(366) سيد أحمد على الناصري: المرجع السابق، ص ٤٦٠.

الإمبراطور جوليان وفشل الحملة، الأمر الذي نفع الإمبراطور فالنتيان إلى الذهاب لبلاد الغال سنة ٣٦٥م للدفاع عنها ضد هؤلاء البرابرة^(٣٦٧).

ومن نتائج حملة الإمبراطور جوليان القضاء على المحاولة التي قام بها لبعث الوثنية من جديد، الأمر الذي إلى انتصار المسيحية مرة أخرى. وليس أنى على ذلك من أن الإمبراطور جوليان قد أعاد الكنائس التي كان جوليان قد استولى عليها إلى أصحابها، كما رفع عن المسيحيين الاضطهادات التي وقعت عليهم بواسطة الإمبراطور جوليان^(٣٦٨).

⁽³⁶⁷⁾ نفسه، ص ٤٦١.

⁽³⁶⁸⁾ Vasiliev: op. cit., vol. I, p. 78.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأجنبية الأصلية:

1. Ammianus Marcellinus, Tr., by John G. Rolfe, 3vols. (London, 1935).
2. Eutropius: Abridgment of Roman History, Tr. By John Selby Watson. (London, 1886).
3. Gregory Nazianzen: "Julian The Emperor", Oration 5, Tr. By Roger Pears, (Net. 2004).
4. John, Bishop of Nikiu: Chronicle, tr. By R. H. Charles, (London, 1916).
5. Libanius: "Julian the Emperor" Funeral Oration for Julian, tr., by Roger Pears (London 1888), (Net., 2004)
٦. موسى خوريفانسي: تاريخ الأرمن، من البداية حتى القرن الخامس الميلادي ترجمة عن الأرمنية لزار خليل (سوريه ١٩٩٩).
7. Socrates: The Ecclesiastical History, (London, 1914).
8. Theophanes Confessor: The Chronicle of Theophanes Confessor, Tr., by Cyril Mango and Rogers Scott, (London, 1997).
9. Zosimus: New History, Tr., by Geen and Chaplin, (London, 1814).

ثانياً: المصادر العربية:

- ١- ابن الأثير: (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، أبي الحسن علي بن أبي بكر محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ الجزء الأول، (بيروت، لبنان، ١٩٧٨م).
- ٢- الطبري: (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، الجزء الأول، (القاهرة، ١٩٣٩م).

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

1. Anne Elizabeth Redgate: The Armenians, (U.S.A, 1999).

2. Bowersock: Julian The apostate, (London, 1978).
3. Bryce Lyon and other: A History of the world, vol. I, (U.S.A 1974).
4. Duchesne, Histoire Ancienne De L' Eglise, Tome II, (Paris, 1910).
5. Edward Gibbon, History of the Decline and fall of the Roman Empire, vol. IV, (London, 1819).
6. Enno Franzius: History of the Byzantine Empire, (New York, 1967)
7. Faustus: "Rome and Armenia in the Fourth Century", in English Historical Review, XXV (1910), pp. 625-643; in Byzantine Studies and other Essays, By Norman H. Baynes, (U.S.A.1974), p. 194.
8. Frey Stark: Rome on the Huhhrates, the Story of Frontier, (London, 1966).
9. George Ostrogorsky, History of the Byzantine State, Tr., by John Hussey, (U.S.A, 1968).
10. Giuseppe Ricciotti, Julian the Apostate, (U.S.A, 1960).
11. Jacquin A.M., Histoire De L' Eglise, Tom. I, (Paris, 1928).
12. John Julius Norwich, Byzantium the Early Centuries, (N.Y., 1998).
13. Jones A. H. M., The Decline of the Ancient World, (London, 1966) The Latter Roman Empire, 284- 602, Vol., I, (Oxford, 1986).
14. Irfan Shahid: Byzantium and the Arabs in the fourth Century, (U.S.A, 1984).
15. Lietzmann H., History de L' Eglise Ancienne, Tom III, (Paris, 1941).

16. Mathew Bunson: A Dictionary of the Roman Empire, (New York, 1991).
17. Norman H. Baynes, Byzantine Studies and other Essays, (U.S.A.1974).
18. Pat Southern and Koren R. Dixon: the Later Roman Army, (London, 1996).
19. Pervite C. W- Orton, The Shorter Cambridge Medieval History, Vol. I, (Camh., 1953).
20. Vacaut A., Manguet H, Amann H., Dictionnaire de the Ologie Catholique, Tome Ifuitieme (Paris, 1925).
21. Vasiliev A., History of the Byzantine Empire, 324- 1453, vol. I, (U.S.A 1952).
22. Walter E. Robert and other: Julian the Apostate, 360- 363 A.D., (Net., 2004).
23. Warren Treadgold: A History of the Byzantine State and Society, (U.S.A.,1997).
24. William G. Sinnigen, Arthur E. R. Boak, A History of Rome To 565 A. D., (London, 1930).

رابعاً: المراجع العربية والمعربة:

١. إدوارد جيبون: اضمحلل الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ج٢، ترجمة محمد سليم سالم، مراجعة أحمد نجيب هاشم، (القاهرة، ١٩٩٧).
٢. السيد الباز العريضي: الدولة البيزنطية ٣٢٣ - ١٠٨١م، (لبنان، ١٩٨٢م).
٣. جون أ. هامرقتن: تاريخ العالم، ترجمة وزارة التربية والتعليم، (القاهرة، د.ت).
٤. حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، (لقاهرة، ١٩٨٣).
٥. رأفت عبد الحميد (مكتور): "مصرع جوليان القليسوف الإمبراطور"، في كتاب قطوف ذاتية، تحرير عبد القادر الرباعي، (الأردن، د.ت).
٦. مفيد رائف العابد: سوريا في عصر السلوقيين من الإسكندر إلى بومبيوس ٣٣٣- ٦٤ ق.م (سوريا، ١٩٩٣).

٧. سيد أحمد علي الياصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية للميخائيل والحضاري،
(القاهرة ١٩٧٨م).
٨. فولاد حسن حافظ: تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم، (القاهرة، ١٩٨٦م).
٩. نستلوجيان، ك.ل، تاريخ الأمة الأرمنية، (الموصل، ١٩٥١).
١٠. نينا فيكتور فنانو ليفيسكيا: العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع
إلى القرن السادس الميلادي ترجمة عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم،
(الكويت، ١٩٨٥).

الهون وبيزنطة
(دراسة في تاريخ العلاقات السياسية)
(٣٧٧ - ٤٥٠ م)

يوجد هناك تنوع كبير في الرأي بخصوص التركيبة السلالية لقبيلة الهون. فقد اعتبرهم بعض المؤرخين أنهم ذات أصل مغولي^(٣٦٩)، قبي حين اعتبرهم البعض الآخر أنهم ذات أصول تورانية^(٣٧٠)، وهناك رأي آخر يقول إن قبيلة الهون الرنيمية ذات أصل تركي، ولكنها قد انضمت إليها المغول والأوجاريون وخلال المراحل الأخيرة من سيرها اشتملت أيضًا على قبائل إيرانية وسلافية^(٣٧١).

أما بخصوص الموطن القديم الذي عاشت فيه قبيلة الهون، فيذكر جيون^(٣٧٢)، أنها عاشت في مكان جاف وقاحل على الجانب الشمالي لسور

(369) Vasiliev A. A.: History of the Byzantine Empire, 324 1453, vol. I, (U.S.A, 1958), p. 86; Sidney painter: A History of the Middle Ages, 284 1500, (N. Y., 1953), P. 22; William G. Sinnigen and Boak A. R.: A History of Rome to A. D. 565, (London, 1887), 45;

هـ. مانت ل. ب. موس: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، السيد للياز العربي، (القاهرة، ١٩٥٨م)، ص ٩٤؛ هـ. أ. ل. نجر: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة، السيد للياز العربي، (القاهرة، ١٩٥٠)، ص ٢١، أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى طه بدر (القاهرة، ١٩٥٧)، ص ٢٨؛ نورمان ف. كلنتور: للتاريخ للوسط، ترجمة وتعليق قاسم عبده قاسم، (القاهرة، ١٩٨١)، ص ١٨٧؛ صر كمال توفيق: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، (الإسكندرية، ١٩٦٧)، ص ٢٧؛ السيد للياز العربي: تاريخ أوروبا العصور الوسطى: (بيوت، ١٩٨٦م)، ٩٧.

(370) Young G. F.: East and West Through Fifteen Centuries, (London, 1916), P. 84.

(371) George Vernadsky: Ancient Russia, (London, 1951), P. 127; Alexander P. Kazhdan and other: The Oxford Dictionary of Byzantium, vol. 2, (N. Y. 1991), p. 957;

اسحق عبيد: العصور الوسطى الأوروبية، (القاهرة، د. ت.)، ص ١١٨.

(372) History of The Decline and Fall of The Roman Empire, Vol. IV, (London, N.D.), p. 356.

الصين العظيم جنوبًا. في أعالي النهر الأصفر (هوانج- هو) شمال ولاية كان- سو Kan Sou الصينية^(٣٧٣). وإلى الجنوب من سهول سيبريا شمالًا، وإلى الشرق من جبال إنشان Iushan، وهي المنطقة التي تم تحديدها على الخرائط الحديثة باسم منغوليا Mongolia^(٣٧٤). ومما هو جدير بالذكر أن التواريخ الصينية قد أشارت إلى الهون في موطنهم الأصلي باسم الهيونج- نو Hiung nu^(٣٧٥). في حين يذكر البعض الآخر من المؤرخين أنهم حملوا اسم الهيونج- هو Hiung H^(٣٧٦).

وخصوصاً توسعات الهون وهجرتهم ناحية الغرب، فقد استغلوا الاضطرابات السياسية في الصين في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد وشنوا من غاراتهم عليها. وفي سنة ١٧٧ قبل الميلاد هاجموا الصين مرة ثانية ولكنهم قوبلوا بمقاومة ضارية على يد أسرة الهان Han الصينية (٢٠٢ ق. م - ٢٢٠م)، ومن ثم فقد أمكن طردهم من هناك. وفي سنة ١٦٥ قبل الميلاد هاجموا دولة اليو- تاشي Yue-Chi، المجاورة للصين، وحطموها تمامًا. ولكن الهون، تحت ضغط القوات الصينية، تفرقوا شمالاً وغرباً واستقر بهم المطاف في منطقة بحيرة بلكاش. وبعد زوال أسرة الهان وتولي أسرة تن في الصين، جدد الهون هجماتهم عليها خلال النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، وفي بداية القرن الرابع الميلادي اضطرت الحكومة الصينية أن تتنازل لهم عن قسم من

⁽³⁷³⁾ محمود الحوري: رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية؛ (للقاهرة، ١٩٩٦م)، ص ١١١.

⁽³⁷⁴⁾ Thomas Hodgkin: Italy and Her Invaders, vol. II, (London, N.D.), p. 7.

⁽³⁷⁵⁾ George Vernadsky: op-cit., p. 80; Hodgkin: op-cit., p. 35; Orton c.w.: The Shorter Cambridge Medieval History, vol. I, (Cam., 1953), p. 43; Alexander p. Kazhdan and other: op-cit., vol., 2, p. 954.

⁽³⁷⁶⁾ Thompson E. A.: The Uuns, (U.S.A. 1996), p. 88;

نورمان ف. كانتور: المرجع السابق، ص ١٨٧؛ الحوري: المرجع السابق؛ ص ١١١، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الاسم الذي ذكر لدى كل من كانتور والحوري هو الهيميونج Hsiung وليس ال Hiung.

الأراضي على الحدود الصينية. ومهما يكن من أمر، ففي منتصف القرن الرابع الميلادي، كان الهون بدورهم مهاجمين من الشمال الشرقي بواسطة إحدى الشعوب التي أطلقت عليها التواريخ الصينية اسم سين- بي Sien pi. ومن ثم فإنه بسبب ضغط هذه القبائل هاجر الهون ناحية الغرب، فاستقر قسم منهم في تركستان وأصبحوا معروفين بالهون البيض، أما القسم الرئيسي منهم فقد واصل تقدمه غرباً حتى وصل إلى السواحل الشرقية لبحر كاسبيان ونهر الفولجا، في داخل جنوب روسيا⁽³⁷⁷⁾.

وعلى أية حال، في المنطقة الواقعة بين نهر الفولجا شمالاً، والقوقاز جنوباً وبحر أزوف والدون غرباً، وكاسبيان والفولجا شرقاً انقض الهون على الآلان، بعد سنة 360م بفترة قليلة، وأخضعوهم لسيادتهم⁽³⁷⁸⁾. وفي سنة 370م بدأ الهون في عبور نهر الدون برفقة أتباعهم الآلان، وهاجموا القوط الشرقيين Ostrogoth، في المنطقة الواقعة شمال البحر الأسود وعبثاً حاول القوط الدفاع عن أنفسهم، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، وسقط ملكهم أرمنريك Ermenrich

⁽³⁷⁷⁾ وللمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث، أنظر:

Vernadsky: op-cit., pp. 80-81, 126-127; Margaret Deanesly: A History of Early Medieval Europe, from 476-911, (London, 1974), p. 25; Hodgkin: op-cit., pp. 8-29; Thompson: op-cit., vol. I, p. 88; Gibbon: op-cit., vol. IV, pp. 356-366;

إدوار بروي وآخرون: تاريخ الحضارات للعام، جـ، ترجمة يوسف أسعد داغر، فريد م. داعر، (بيروت، 2003)، ص 91-92، 104، والجدير بالذكر أن الهون البيض كانت توسعاتهم قد امتدت إلى الشمال من فارس، ولم يقوموا بأي هجوم داخل الأراضي الرومانية، ولقد أطلق عليهم هذا الاسم بسبب بياض أجسادهم. وللمزيد من التفاصيل عن الهون البيض، أنظر:

Procopius: History of the wars, with an English Tr., by H.B. Dewing, Books I and II, (London, N.D.), pp. 13, 159, 17, 19, 21, 23, 25, 31.

⁽³⁷⁸⁾ Ammianus Marcellinus Tr. By John C. Rolfe, vol. III, London, McMXXXIX, p. 276. cf. also, Hodgkin: op-cit., p. 29; Vernadsky: op-cit., p. 127.

قتيلاً يومها، الأمر الذي ترتب عليه خضوع القوط إلى الهون، عدا جماعة قليلة منهم عبرت الدنيستر، وانضمت إلى القوط الغربيين⁽³⁷⁹⁾.

والجدير بالذكر، أنه في سنة 376م وصلت تقارير إلى الضباط الرومان الذين يتولون قيادة حاميات الدانوب الرومانية، أن هناك شعب همجي انقض على الشعوب البربرية شمال البحر الأسود، وأجبرها على الهرب ولكن القادة الرومان استقبلوا هذه الأخبار بعدم اهتمام، اعتقاداً منهم أنها إشاعات، ولكن هذه الإشاعات ما لبثت أن أصبحت حقيقة، لاسيما عندما ظهر اللاجئون على الضفة الشمالية لنهر الدانوب، متوسلين السماح لهم بعبور هذا النهر، لدخل أراضي الإمبراطورية الرومانية، وكان الضابط مخطئاً، لأن الذين كانوا يطالبون السماح لهم بعبور نهر الدانوب هم القوط الغربيون، الذين هربوا أمام ضغط الهون⁽³⁸⁰⁾.

ولم يتوان الإمبراطور فالنز (364 - 378م) Valens في قبول القوط الغربيين لدخل أراضي الإمبراطورية الرومانية، علماً بأنه كان متردداً في البداية. والحقيقة أنه كان راغباً في استخدامهم في الدفاع عن الحد الدانوبي ضد غارات الهون المتوحشة. ولكنه ما لبث أن دفع ثمن هذه الرغبة غالياً، عندما حطم القوط الغربيون الجيش الروماني في 19 أغسطس من عام 378م في سهول المجاورة لمدينة أثيرانوبل، وسقط الإمبراطور نفسه صريعاً في هذه المعركة⁽³⁸¹⁾. وهكذا، تجد أن ضغط الهون وتوسعاتهم ناحية الغرب هو السبب

(379) Ammianus Marcellinus: op-cit., vol. III, p. 399; Jordanes: The Origin and Deeds of the Goths, Tr. By Charles C. Mierow, Net, p. 32. cf. also, Vernadesky: op-cit., p. 129.

(380) Thompson E-A: op-cit., pp. 26 30.

(381) وللمزيد من التفاصيل، أنظر:

Ammianus Marcellinus: op-cit., vol. III, pp. 401-483; Sozomen: The Ecclesiastical History, Tr., from The Greek by D. Harranft, in www.eccl.org/fat her, pp. 1-2; zosimus: New History, Tr., by Green w. and Chaplin, (London, 1814), pp. 5-7; Gordan: op-cit., pp. 32-33; Theophanes Confessor: The Chronicle, Byzantine and near Eastern

الرئيس الذي دفع الإمبراطور فالنز لقبول القوط الغربيين داخل أراضي الإمبراطورية^(٢٨٢). وفي نظر الباحث، يكون ذلك أول تأثير غير مباشر للهون على الإمبراطورية الرومانية الشرقية، فلو لم يكن الهون ما قبل الإمبراطور فالنز القوط الغربيين داخل أراضيهم.

وإجابة على سؤال حول ما إذا كان للهون دور في معركة أندريانوبل فتقول بعض كتب التاريخ المعاصرة، إنه في خريف سنة ٣٧٧م، كان القوط الغربيون محاصرين فيما بين مضائق جبل هوموس Haemus، في تراقيا، بواسطة الجيش الروماني، وباعت كل جهودهم بالفشل لكسر هذا الحصار، ونفذت للمؤن في معسكرهم، وشارفوا على الهلاك، ولكن البعض منهم استطاع الفرار من الخطوط الرومانية، وعقدوا تحالفاً مع جماعة من الهون والآلان، الذين كانوا يتجولون في الأراضي شمال الدانوب. ولقد كان أثر هذا التحالف مدمجاً؛ وذلك لأنه بمجرد ما إن سمع قادة القوت الرومانية عن قدوم الهون حتى قاموا بفك الحصار. وعتد ذلك أفلتت القوط من الكماشة التي كانت مفروضة عليهم^(٢٨٢).

History A. D. 284-813, Tr. By Cyril Mango and Roger Scott, (Oxford, 1997), p. 99; Eunapius: in *Fragmentary Classicising Historians of the later Roman Empire*, Tr. By R.C. Blockcey, vol. II, (N.Y., 1983), pp. 59-63. cf. also, Ostrogorsky, G.: *History of the Byzantine State*, Tr., by Joan Hussey, (London on, 1968), p. 52; Thompson J.: *The Middle Ages 300-1500*, vol. I, (London, 1931), p. 89; Tredgold W. *A History of the Byzantine State and Society*, (U.S.A, 1997), pp. 66-67.

⁽³⁸²⁾ Jordan C.D.: *The Age of Attila*, Tr., by Book E. R. (London, 1996), p. 58.

⁽³⁸³⁾ Ammianus Marcellinus: op-cit., vol. III, pp. 435, 437, 439, cf. also, Vasiliev: op-cit., p. 87; Thompson: *The Huns*, p. 29; Ostrogosky G.: *History of the Byzantine State*, Tr., by Joan Hussey, (London, 1968), p. 52; Burnns T.S.: "The Battle of Adrenople", in *Historia* XXII, (1973), p. 340; Gibbon: op-cit., vol. IV, pp. 394- 396.

والجدير بالذكر، أن القوات الهونية التي أنقذت، درامياً، القوط الغربيين، لا يوجد هناك ما يشير إلى أنها تركتهم قبل معركة أدرينوبل وذلك لأنه، وعلى وجه السرعة- بعد المعركة- عندما قام القوط عبثاً بمحاولة الهجوم على مدينة أدرينوبل، وسالونيك، ثم مدينة القسطنطينية، كانت القوات الهونية موجودة بصحبة القوط الغربيين⁽³⁸⁴⁾.

وبناءً على ذلك، فإننا لا يمكن أن نقول أن الهون لم يكونوا مع القوط الغربيين طوال الوقت. والحقيقة أنه ليس من الممكن أن يكون سلاح الفروسية، الذي حقق أعظم كارثة في التاريخ العسكري للروماني، كان يخص القوط فقط، ولكن أيضاً الهون، وإذا كانت المصادر التاريخية لم تقل شيئاً عن ذلك، فإن هذا لم يكن عجباً؛ وذلك لأن وقع الكارثة الرومانية كان شديداً، لدرجة أنه لم يتمكن أحد أن يعطي تقريراً واضحاً عما قد حدث بعدها⁽³⁸⁵⁾. وفي هذا السياق يذكر بعض المؤرخين موضحاً أن الانتصار الذي حققه القوط الغربيون في سنة 378م على الإمبراطور فالنز، كان بمساعدة الهون⁽³⁸⁶⁾.

والحقيقة أن الباحث من جانبه يرى أن للفروسية الهونية هي التي كسبت معركة أدرينوبل، وذلك لأنه لا يعقل أن القوط الغربيين الذين فروا مثل الجرذان المزحورة، أمام الهون سنة 376م، وعبروا الدانوب، أو الذين استجدوا بهم، عندما كانوا على وشك للهلاك، أثناء حصار الرومان لهم في سنة 377م، يمكن أن يكسبوا هذا النصر. ولذلك فإن دور الهون في معركة أدرينوبل كان دوراً محورياً.

⁽³⁸⁴⁾ Mmianus Marcellenus: op-cit., vol. III, pp. 499-503. cf. also, Gordan C.D., op-cit., p. 58; Thompson: op-cit., p. 29; Jones A.H.M: The Decline of the Ancient World, (London, 1966), p. 154,

زبيدة عطا: الدولة البيزنطية من قسطنطين إلى أنستاسيوس، (القاهرة ب. ت)، ص 164.

⁽³⁸⁵⁾ Thompson: op-cit., p. 30.

⁽³⁸⁶⁾ Margart Deansely: op-cit., p. 23.

ومما هو جدير بالذكر، أن الفترة التي تلت معركة أدرينابول وحتى سنة ٣٩٥م تعتبر من لفترات الغامضة في تاريخ العلاقات بين الهون وبيزنطة. وهذا ما عبر عنه بعض المؤرخين بقوله إننا لم نسمع إلا الذر للقليل عن الهون في السنوات التالية^(٣٨٧). ولكن الحقيقة التي ليس عليها خلاف هي أنهم شاركوا مشاركة فعالة في نهب وتخريب أقاليم شمال البلقان، بعد معركة أدرينابول، مع القوط والآلان^(٣٨٨). ونذرة المعلومات التاريخية عن الهون- في غضون ذلك- لم تأت من فراغ بل تعود إلى أن المصادر التاريخية راحت تتحدث عن القوط فقط.

وعلى أية حال، عندما اعتلى الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (٣٧٩-٣٩٥م) Theodosius I عرش الإمبراطورية الرومانية تمكن في أول عام من حكمه، من هزيمة جماعة الهون والآلان والقوط، الذين كانوا ما يزالون يدمرون في الأراضي البلقانية الشمالية^(٣٨٩). ولقد أجبرت هذه الهزيمة الهون على الارتداد شمال نهر الدانوب، سنة ٣٨٠م^(٣٩٠). ويذكر المؤرخ جوردان^(٣٩١)، وإن لم يكن متأكدًا من ذلك أن الإمبراطور ثيودوسيوس الأول قد أقام بعض الترتيبات مع الهون، وهناك احتمال، كما قال، أنه سمح لهم بالإقامة في بانونيا^(٣٩٢).

(٣٨٧) Thompson: *The Huns*, p. 30.

(٣٨٨) Loc. Cit; Hadrill J.M.: *The Barbarian Heat, 400-1000*, (N. Y., 1962), p. 22.

(٣٨٩) Thompson: *op-cit.*, p. 30, 36.

(٣٩٠) Alexander P. Kazhdan and Other: *op-cit.*, p. 957.

(٣٩١) *The Age of Attila*, p. 58.

(٣٩٢) بانونيا Pannonia: هي إحدى الأقاليم الرومانية الهامة جدًا، الواقعة بطول نهر الدانوب، وقسمت إلى أقاليم منفصلة: لُنى وأعلى. أنظر:

Matthew Bunson: *A Dictionary of the Roman Empire*, (N. Y., 1991), p. 310.

إن الهون، أنفسهم، بعد اكتساحهم للقوط الشرقيين سنة ٣٧٥م وهروب القوط الغربيين أمامهم، اجتاحوا منطقة الدانوب الأدنى، وظهروا في الأراضي الممتدة من غرب نهر الدون وحتى ضفاف نهر الدانوب الشمالية، أي المنطقة التي تتألف منها الآن رومانيا والمجر^(٣٩٢).

ويذكر التاريخ أن الإمبراطور ثيودوسيوس الأول تحالف مع الهون في أثناء صراعه مع ماجنوس ماكسيموس Magnus Maximus، الذي اغتصب عرش الإمبراطورية الغربية بعد اغتيال الإمبراطور جراتيان (٣٧٨-٣٨٣م) Gratian سنة ٣٨٣م. إن سلاح الفرسان الهوني حسم المعركة يومها لصالح الإمبراطور ثيودوسيوس، حيث تم أسر ماجنوس ماكسيموس في أكويليا، ثم جرى إعدامه في الثامن والعشرين من أغسطس سنة ٣٨٨م^(٣٩٤).

ولكن منذ سنة ٣٨٥م أعلن الهون الحرب على الإمبراطورية البيزنطية^(٣٩٥). ولقد تركت لنا بعض المصادر التاريخية القديمة وكتب التاريخ الحديثة الأسباب التي دفعت الهون إلى القيام بذلك. فينكر سوزومين^(٣٩٦)، في كتابه التاريخ الكنسي، أن روفينوس Rufinus، والي مدينة القسطنطينية هو الذي استدعاهم سرا لمهاجمة الأراضي البيزنطية، أملاً منه في الأفراد بالعرش البيزنطي، ولكنه ما لبث أن نفع حياته ثمنًا غاليًا، بسبب هذه المغامرة الغير محسوبة، على يد قوات الإمبراطور أركاديوس (٣٩٥-٤٠٨م) Arcadius. في حين يذكر البعض الآخر من المؤرخين أنه عند وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس

⁽³⁹³⁾ Sozomen: op-cit., p. 1. cf. also, Thompson J.: op-cit., vol. I, p. 96; Roger C.: Early Medieval Europe 300-1000, (U.S.A, 1999), p. 74, 49.

⁽³⁹⁴⁾ Eunapius: op-cit., vol. II, pp. 79-80. cf. also, David Woods: Theodosius I, (379-355), (Un., College of Cork), www. Roman Emperors. Org, p. 2. 3; Thompson: The Huns, p. 36.

⁽³⁹⁵⁾ George Holmes: The Exford Illustrated History of Medieval Europe, (Oxford, 1988), p. 2; Orton: op-cit., pp. 79-80.

⁽³⁹⁶⁾ The Ecclesiastical History, p. 1. cf. also, Treadgold w.: op-cit., p. 79.

الأول سنة ٣٩٥م كان هناك نقص كبير في القوات للبيزنطية المتنقلة، وأن ذلك كان سبباً لقيام الهون بمهاجمة الأراضي البيزنطية^(٣٩٧). وللباحث من جانبه يميل إلى الرأي الثاني. والسبب هو أنه بعد وفاة الإمبراطور فالنتينيان الثاني (٣٨٣-٣٩٢م) Valentinian II، إمبراطور القسم الغربي من الإمبراطورية، سنة ٣٩٢م، سعى يوجينيوس لتولي عرش الإمبراطورية، ولكن ثيودوسيوس رفض وعين ابنه هونوريوس (٣٩٣-٤٢٣م) Honorius أغسطساً في يناير سنة ٣٩٣م. وفي صيف ٣٩٤م سحب الإمبراطور ثيودوسيوس قواته من المشرق وعلى ضفاف نهر Frigidus، أنزل هزيمة قاسية بيوجينيوس، في ٦ سبتمبر من نفس العام، ثم إعدام يوجينيوس^(٣٩٨). وهكذا، كان هناك نقص في القوات للبيزنطية بالفعل. وهذا ما عبر عنه أحد المؤرخين بقوله، إن الإمبراطور ثيودوسيوس عند وفاته كان قد ترك جيوش الإمبراطورية في الغرب^(٣٩٩).

وعلى كل حال، لقد تدفقت القوات الهونية من ممرات جبال القوقاز فاجتاحت أرمينيا، ثم توجهت إلى أقاليم الإمبراطورية البيزنطية الغنية في لشرق حيث قامت بنهب وسلب قرى كبادوكيا وسوريا، ووصلت حتى مدن الرها وأنطاكية وصور. ولقد أشيع آنذاك أن الهون كانوا في طريقهم إلى بيت المقدس. كما اجتاحوا قسماً من ميزوبوتاميا الفارسية، ووصلوا حتى طيسفون، عاصمة قارص، ولكنهم لم يستولوا عليها. لقد نشروا الخراب والدمار في كل مكان مروا به^(٤٠٠).

أما القديس جيروم، الذي عاصر هذه الغزوة، فعندما تحدث عن الهون فقد وصفهم بالذئاب، واستطرد قائلاً: 'وفي مدة بسيطة لجتاحوا- أي الهون-

⁽³⁹⁷⁾ Tredgold W.,: op-cit., p. 78.

⁽³⁹⁸⁾ Eunapius: op-cit., vol. II, p. 79-80. cf. also., David Woods: op-cit., p. 3; Benjamin Isaac: *The Limits of Empire*, (Oxford, 1990j), p. 230.

⁽³⁹⁹⁾ Thompson: op-cit., p. 32.

⁽⁴⁰⁰⁾ Benjamin Isaac: op-cit., pp. 74-75; Thompson. op-cit., p. 31; Thomas Hodgkin: op-cit., p. 38.

لقائيم عظيمة، واستولوا على العديد من الأديرة، إن العديد من الأنهار كانت حمراء من الدماء الأدمية،... لقد تم سحق جماعات كثيرة من الأسرى بعيدًا. إنني - جيروم - لو كان لدي مائة لسان ومائة فم ما لمكنني أن أروي أحداث كل كارثة... لقد ارتعد الشرق كله. وملئت الأرض بالقتلى... لم تكن لديهم شفقة لا على دين، ولا رتبة، ولا سن، ولا نواح الأطفال. ثم يستطرد جيروم موضحًا أنه وأصدقائه كانوا قد فكروا في الهروب عن طريق السفن، بسبب تقدم الهون تجاه بيت المقدس^(٤٠١).

وعلى أية حال، يذكر بعض المؤرخين أن القوات الهونية في الشرق لم تجد أي مقاومة، حتى جمع يوتروبيوس، أحد ضباط الإمبراطورية في الشرق، بعض الفرق القوطية، وبعض الجنود البيزنطيين، وتصدى لهؤلاء الغزاة، واستطاع أن يعيد السلام إلى الشرق في نهاية سنة ٣٩٨م.

والحقيقة، أن هذا كل ما توفر لدى الباحث من معلومات عن مقاومة الهون، الذين استمروا في نهب وسلب أراضي الإمبراطورية في الشرق لمدة ثلاث سنوات، من ٣٩٥ وحتى ٣٩٨م^(٤٠٢).

وخلال الفترة من سنة ٣٩٨م وحتى ٤٠٨م، لم تكن هناك مواجهة بين الهون والإمبراطورية البيزنطية. بل كان هناك تحالف تام بين أولدس (أولدين Uldin)، زعيم الهون، والإمبراطورية البيزنطية سنة ٤٠٠-٤٠١م ضد جيناس^(٤٠٣).

وفي ذلك تقول الأحداث، إن الإمبراطور أركاديوس، عندما عقد النية على التخلص من وزيره روفيلوس، فقد بعث إلى أخيه هونوريوس إمبراطور الإمبراطورية الغربية، يطلب منه قوات تخلصه من وزيره، فبعث إليه بقوات تحت قيادة جيناس، مساعدته في تحقيق رغبته^(٤٠٤). وتولى الخصي يوتروبيوس،

(٤٠١) Thompson: The Huns, pp. 31-32.

(٤٠٢) Thompson: op-cit., p. 32.

(٤٠٣) Jordan. C. D.: op-cit., p. 59.

(٤٠٤) Zosimus: op-cit., p. 3.

الذي لم يكن على علاقات جيدة مع جيناس، وراح الأخير يتحين الفرصة لإزاحته والتي جاءتته تسعى، فعندما ثار القوط في فريجيا بقيادة تريبيجيلد Tribigild، بُعث جيناس للقضاء عليهم، ولكنه تحالف معهم سرا الأمر الذي أدى إلى هزيمة القوات البيزنطية. وعند ذلك أصبح جيناس وتريبيجيلد سيدا الموقف، وأمام إصرارهما على عزل يوتروبيوس وتسليمه لهما، قام الإمبراطور بنفيه سنة ٣٩٩م، ولكنهما طالبا بإحضاره إلى القسطنطينية وإعدامه، وقد تم لهما ذلك^(٤٠٥).

ولكن هذا لم يأت على هوى الشعب في مدينة القسطنطينية، فاستغل ابتعاد جيناس عنها، وثار ضد القوط، وقتل الآلاف منهم، ولم يفلح جيناس في العودة إلى العاصمة، ونجحت آنذاك قوات الإمبراطورية في هزيمته عندما كان يسعى إلى عبور البسفور لآسيا للصغرى^(٤٠٦). ويذكر بعض المؤرخين أن هذه الأحداث وقعت في يوليو سنة ٤٠٠م^(٤٠٧).

وعندما عجز جيناس عن عبور البسفور ارتد ناحية الشمال وعبر نهر الدانوب مع أتباعه. وعند ذلك قوبل بواسطة أولدس وأتباعه، وكان أولدس قد قرر أن يهاجمه لسببين:

السبب الأول: هو أن أولدس رأى أنه ليس من الأمان أن يسمح لجيناس، المتنوع بقواته أن يوطد إقامته خلف نهر الدانوب.

السبب الثاني: اعتقاد أولدس أنه، بمطاردته لجيناس، أو القضاء عليه في شمال نهر الدانوب، سوف يحوز رضا الإمبراطور أركاديوس^(٤٠٨).

(405) وللمزيد من التفاصيل، انظر:

Zosimus: op-cit., vol. I, pp. 90-94; Treadgold W.: op-cit., pp. 82-84;

William G. Sinnigen and other: op-cit., pp. 460-461.

(406) Eunapius: op-cit., vol. II, p. 111; Theophanes confessor: op-cit., p. 117; cf. also Jones A.H.M.: op-cit., pp. 75-76.

(407) Louis Brechier: The Life and Death of Byzantium, Tr. By Margaret Vaughan, (N.Y., 1977), p. 10.

(408) Zosimus: New History, p. 8.

وبناءً على ذلك، جمع أولدس قواته وقرر خوض القتال ضد جيناس أما جيناس نفسه، فعندما أدرك أنه لن يتمكن من العودة إلى البلقان، وليس في استطاعته الهروب من مقابلة أولدس في القتال، فقد قرر في النهاية - لاسيما بعد أن سلح أتباعه - خوض هذا القتال. وبعد عدة معارك تبادل الطرفان فيها النصر والهزيمة، قُتل العديد من أتباع جيناس، وذبح جيناس نفسه، الذي قاتل بشجاعة منقطة النظير. وعند ذلك قام أولدس بإرسال رأس جيناس إلى الإمبراطور أركاديوس^(٤٠٩). كعلامة على حسن نيته في صداقته^(٤١٠).

وقد حاول الإمبراطور أركاديوس إعلان قتل جيناس لشعب القسطنطينية فعرض رأسه للمشاهدة في يناير سنة ٤٠١م^(٤١١). ويذكر المؤرخ زوسيموس^(٤١٢)، أن أولدس راح يطالب الإمبراطور أركاديوس بالهدايا، وبالفعل لم يتردد الإمبراطور في مكافأة أولدس على هذا الإنجاز الكبير، وبناءً على ذلك تم عقد معاهدة تحالف وصداقة بين الهون وبيزنطة. وهناك افتراض من قبل بعض المؤرخين أن هذه المعاهدة كانت مصحوبة بموافقة من قبل بيزنطة على دفع جزية سنوية إلى هذه الجماعة من البدو الرحل^(٤١٣). والباحث من جانبه يرى أن هذه المعاهدة تعد اعترافاً ضمناً من قبل بيزنطة بالهون. ومن ثم فسلن ذلك يدل على أن الهون أصبحوا، في سنة ٤٠١م، قوة سيامية مهابة الجانب، هذا من ناحية. كما أن هذه المعاهدة حققت السلام بين بيزنطة والهون حتى سنة ٤٠٨م، من ناحية أخرى.

(109) Loc. Cit. cf. also, Matthew Bunson: op-cit., p. 432.

(410) Henry Bradley: op-cit., p. 99.

يذكر المؤرخون أن أولدس كان معروفًا لأول مرة إلى الحكومة الرومانية في ديسمبر ٤٠٠م. وأنه من المحتمل لم تكن له سلطة كاملة على الشعب الهوني كله. أنظر:

Matthew Bunson: op-cit., p. 432.

(411) Thompson: The Huns, p. 37.

(412) New History, p. 8.

(413) Thompson: The Unis; p. 37.

والجدير بالذكر، أن مما يدل على أن الهون قد أصبحوا قوة سيامية مؤثرة، اعتماد ستيليكو - قائد الإمبراطورية الرومانية الغربية - عليهم في القضاء على القوط الشرقيين بزعامة راداجيسوس Radagaisus، في معركة فايسولا Faesulae، بداية سنة ٤٠٦م، في إيطاليا. وعلى كل حال إن القوات التي عملت في خدمة الإمبراطورية الغربية كانت من قبل أولدس ملك الهون^(٤١٤).

وهكذا نرى أن الهون في الوقت الذي كانوا يقدمون فيه المساعدة إلى الإمبراطورية الغربية ضد أعدائها، كانوا أعداء أعداء إلى الإمبراطورية البيزنطية.

والدليل على ذلك أن أولدس، زعيم الهون، استغل وفاة الإمبراطور أركاديوس سنة ٤٠٨م، وتولية ابنه ثيودوسيوس الثاني (٤٠٨-٤٥٠م) Theodosius II، الذي كان في الثالثة من عمره، عرش الإمبراطورية البيزنطية، وعبر نهر الدانوب بالقوة، على مقربة من الحد الفاصل بين بيزنطة والإمبراطورية الغربية، وتقدم عن طريق داكيا^(٤١٥) Dacia إلى تراقيا^(٤١٦). حيث تمكن من الاستيلاء على قلعة كاسترا مارتيس Castra Martis، الواقعة وراء نهر الدانوب، في إقليم موزيا Moesia^(٤١٧).

^(٤١٩) وللمزيد من التفاصيل عن ذلك. أنظر:

Zosimus: op-cit., p. 10. cf. also, Thompson: op-cit., pp. 37-38;
Gordan C. D.: op-cit., p. 30; Sidney Painter: op-cit., p. 25; Orton op-cit., p. 81; George Holmes: op-cit., p. 66; Matthew Bunson: op-cit., p. 432.

^(٤١٥) داكيا Dacia: بلاد جبلية وعرة، توجد إلى الشمال من نهر الدانوب الأدنى، توجد فيها اليوم ترانسلفانيا، وتقع إلى الشرق من المجر، أنظر:

Matthew Bunson: op-cit., p. 124.

^(٤١٦) Sozomen: op-cit., p. 1. cf. also, William G., and other: op-cit., p. 461; Treadgold W., op-cit., p. 88.

^(٤١٧) موزيا Moesia: أرض شاسعة تقع على الحدود الجنوبية لنهر الدانوب، تشمل على الطريق من أثيريا وحتى لبحر الأسود، أنظر:

والجنير بالذكر، أن ذلك قد حدث عن طريق التعاون مع أولدس، وإن لم يكن معروفًا من الذي تعاون معه وسلمه هذه القلعة⁽⁴¹⁸⁾.

على أية حال، إن الاستيلاء على قلعة كاسترا مارتيس، فتح شهية أولدس لفتوحات أخرى. فنقدم بقواته داخل تراقيا عاملاً فيها النهب والمسلب⁽⁴¹⁹⁾. وإن مما يدل على مدى غطرسة أولدس، وشعوره أن أراضي الإمبراطورية البيزنطية قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى من السيطرة عليها هو أنه عندما راح قائد الجيوش البيزنطية في تراقيا يتفاوض معه حول إقامة معاهدة سلام ومغادرة الأراضي البيزنطية مقابل الحصول على مبلغ كبير من الأموال، امتدأ ناحية الشمس، ووجه كلامه إلى القائد موضحاً، أنه لو كانت لديه الرغبة، فسوف يكون من السهل عليه أن يخضع الأرض كلها التي تشرق عليها الشمس. وعلى الرغم من ذلك، راح يطالب بمبلغ كبير عجزت بيزنطة عن الوفاء به⁽⁴²⁰⁾.

وعلى كل، لم يضع القائد البيزنطي أي اعتبار للهجة أولدس المتغترسة وراح يطيل معه التفاوض، هذا في الوقت الذي راح فيه الجواسيس البيزنطيون يعملون على استمالة قادة قوات أولدس، موضحين لهم أنهم في حال تركهم لأولدس والانضمام للإمبراطور ثيودوسيوس الثاني فسوف يجدون لديه كل الرعاية، والأموال الكثيرة، التي اعتاد الإمبراطور على تقديمها للرجال الشجعان. فقبلوا هذه الاقتراحات، وهرب الكثير من قادة أولدس وأتباعه إلى المعسكر البيزنطي. وعندما وجد أولدس أن الأمور وصلت إلى هذا الحد، لم يكن أمامه سوى الهروب، وعبور نهر الدانوب إلى دلكيا⁽⁴²¹⁾ متخليًا عن الآلاف

Matthew Bunson: *op-cit.*, p. 281.

⁽⁴¹⁸⁾ Sozomen: *op-cit.*, p. 1. cf. also, Thompson: *The Huns*, pp. 22, 67.

⁽⁴¹⁹⁾ Sozomen: *op-cit.*, p. 1.

⁽⁴²⁰⁾ *Ibid.*, p. 33. cf. also, Thompson: *op-cit.*, p. 33, 67.

⁽⁴²¹⁾ Sozomen: *op-cit.*, p. 1. cf. also, Thompson: *op-cit.*, p. 33, 67; Bury J. B.: *op-cit.*, p. 27; Thomas Hodgkin: *op-cit.*, pp. 38-39; Matthew Bunson: *op-cit.*, p. 432; Treadgold W.: *op-cit.*, p. 88; Jones, A.H.M.: *op-cit.*, vol. I, p. 192.

من أتباعه، الذين وقعوا أسرى في أيدي البيزنطيين وتم نقلهم مكبلين إلى مدينة القسطنطينية، حيث بيع بعضهم؛ ونقل البعض الآخر إلى آسيا الصغرى حيث قاموا هناك بزراعة الأرض^(٤٢٢). ويعلق المؤرخ سوزومين^(٤٢٣) على ذلك قائلاً: 'إن الهون الذين كانوا يمسكون في تراقيا، ارتدوا بخزي وتخلصوا من الكثير من أعدادهم، على الرغم من أنهم لم يُهاجموا أو يُطاردوا'. في حين قال زوميموس^(٤٢٤): 'إن الإمبراطور ثيودوسيوس كان محظوظاً، لأنه استطاع هزيمة الهون وأتباعهم، وإجبارهم على عبور الاستر (نهر الدانوب)، والعودة إلى أراضيهم'.

وأخيراً مات أولدس في سنة ٤١٢م^(٤٢٥). نون أن يحقق ما قاله، حول إمكاناته الاستيلاء على كل الأرض التي تشرق عليها للشمس، لو أراد. وعند وفاته كان للشعب الهوني منقسمًا إلى ثلاثة قبائل، أعظمها قوة كانتا تحت قيادة روجيلا وماننيوك^(٤٢٦).

إن وفاة أولدس لم تؤد إلى قطع العلاقات بين بيزنطة والهون، ولكن لماذا؟ وذلك لأنه حوالي سنة ٤١٢م بعثت حكومة القسطنطينية سفارة إلى الهون ولقد شارك أوليمبيودوروس Olympiodorus، المؤرخ المصري في هذه السفارة، حيث أشار إلى أنه، وأعضاء السفارة، بعد عبورهم البحر الأسود بما فيه من مخاطر، وصلوا في النهاية إلى ملك الهون المذي يسمى دوناتوس Donatus. وبعد أن تبادلوا معه أيمان الصداقة تم اغتياله. وعند ذلك استشاط كاراتون Charaton، الذي تولي حكم الهون، بعد دوناتوس، غضبًا. ولكن ثورة كاراتون ما لبثت أن هدأت، بعد أن تلقى هدايا الإمبراطورية البيزنطية التي

(422) Sozomen: op-cit., p. 1. cf. also, Treadgold W.,: op-cit., p. 88.

(423) The Ecclesiastical History, p. 1.

(424) The New History, p. 9.

(425) Matthew Bunson: op-cit., p. 432.

(426) Loc. Cit.

قدمت باسم الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني^(٤٢٧). وهكذا استمالت هدايا البيزنطية الهون كي يبقوا في سلام معها^(٤٢٨).

والجدير بالذكر، أن الإمبراطورية البيزنطية لم تعتمد على السلام مع الهون في الدفاع عن نفسها. حيث أثبتت الأيام أن اتفاقيات السلام مع هؤلاء البرابرة، لم تردعهم عن مهاجمة الإمبراطورية إذا ما تهيأت لهم الظروف.

ولذلك كان على بيزنطة أن تقوم بإجراء بعض الوسائل الدفاعية لكسح جماع هؤلاء البرابرة الذين ألقوا الإمبراطورية البيزنطية، بعبورهم نهر الدانوب. وعلى الرغم من طردهم، فإن الأصل مازال يرادوهم في القيام بقتوحاتهم أينما تشرق الشمس^(٤٢٩).

ومن حسن حظ الإمبراطورية البيزنطية أن وجد لديها في غضون ذلك الوالي اليريتوري أنثيميوس Anthemius^(٤٣٠)، الذي بذل كل ما في وسعه

(^{٤٢٧}) Olympiodorus: In Fragmentary Classicising Historian of the Roman Empire, vol. II, p. 183. cf. also, Jordan: op-cit., p. 59.

(^{٤٢٨}) Thompson: The Huns, p. 40.

ويقردهم مؤرخ ثومبسون بالقول إن دوناتوس ملك الهون كان نشاطه بعيداً عن المنطقة التي كان يوجد بها أولدس، ولكنه لم يوضح لنا أين كانت تقع هذه المنطقة. كما يشير إلى أن أولمبيودوروس لم يكتب تاريخه إلا بعد عدة سنوات من سفارته إلى الهون. ومما هو جدير بالذكر، أن ضياع عمل أولمبيودوروس أدى إلى حدوث فجوة كبيرة في المعلومات عن الهون، ولذين كانوا قد شاهدتهم بنفسه، أنظر:

The Huns, pp. 11. 39.

(^{٤٢٩}) Alexander Van Milingen: Byzantine Constantinople, (London, 1899), p. 43.

(^{٤٣٠}) أنثيميوس Anthemius: تم تعيينه والياً بريتورياً في سنة ٤٠٥م من قبل الإمبراطور أركاديوس. وعند وفاة الأخير سنة ٤٠٨م، أصبح ثيودوسيوس، ابن السابعة عشر إمبراطوراً، وخوفاً من حدوث اضطرابات، مكث أنثيميوس في الخدمة ككاتب لمدة سبع سنوات. ولقد أثبت أنه كان سيداً حكيماً للقسطنطينية. عزل في سنة ٤١٤م، على يد إيبولتشيديا، أخت ثيودوسيوس، التي كانت قد عينت نائبه، وعينت والي آخر هو أوريليوس، أنظر:

Matthew Bunson: op-cit., p. 15; Milingen: op-cit., p.43.

ليرقى بأمن الإمبراطورية^(٤٣١). ولقد ظهر ذلك واضحاً في أوامره إلى هيركوليوس Herculius، الوالي البريتوري في ألبيريا، بإجبار كل شخص دون تمييز في الرتبة، بأن يشارك في إعادة بناء أسوار المدن التي تهدمت في هذا الإقليم، وجمع ونقل الطعام إلى المناطق التي أصابها الضرر من جراء الغزو الهوني^(٤٣٢). وعندما علم الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، عن طريق أنثيميوس، أن الكثيرين ربما يتهربون من أداء واجبهم، أصدر أمره الذي جاء فيه: "إن هذا العمل سوف يطبق على الجميع من الأعلى إلى الأدنى. فربما تتكرر الغارة الهونية مرة ثانية إن اللحظة تكون حرجة"^(٤٣٣). وبخصوص حدود الإمبراطورية، أصدر أنثيميوس أوامره بأن يعاد النظر في حراستها بقوة، ودراسة جميع الأساليب التي يمكن أن يستخدمها الهون لاختراق هذه الحدود؛ ويجب تركيز وسائل الدفاع بطريقة جيدة عن جميع المقاطعات القريبة والبعيدة، وجميع القواعد البحرية، الموانئ، السواحل، والجزائر^(٤٣٤).

وعلى الصعيد البحري، اتخذ أنثيميوس إجراءات صارمة، وذلك بهدف تقوية الأسطول الموجود في نهر الدانوب. وذلك عندما أعلن في ٢٨ يناير سنة ٤١٢م برنامج منته سبب سنوات، يتم في كل عام منها صناعة عدد مسن السفن الحربية وسفن النقل، وإصلاح عدد من السفن القديمة. وفي محاولة من أنثيميوس لإخراج هذا البرنامج إلى حيز الوجود، فقد فرض غرامة مالية ثقيلة على الموظفين المحليين في حالة عدم تنفيذ برنامج العمل المحدد لكل عام^(٤٣٥). وفي نهاية السبع مئتين كان لدى بيزنطة أسطولاً مكوناً من ٢٥٠ سفينة، متواجدة

(٤٣١) Millingen V.: op-cit., p. 43.

(٤٣٢) Thompson: The Huns, p. 34; Bury J.B: op-cit., p. 271; Mathew Bunson: op-cit., p. 15.

(٤٣٣) Thompson: The Huns, p. 34.

(٤٣٤) Loc. Cit.,

(٤٣٥) Thompson: op-cit., p. 34; Treadgold W.: op-cit., p. 89.

بصفة دائمة، في نهر الدانوب؛ وكان الهدف منها منع الهون من عبور هذا النهر^(٤٣٦).

ولكن أعظم الإنجازات الدفاعية، التي قام بها أنثيميوس آنذاك، والتي تحسب له، هي بناء أسوار الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني على الجانب البري لمدينة القسطنطينية، والتي امتدت خلف أسوار الإمبراطور قنسططين من بحر مرمرة جنوبًا حتى القرن الذهبي شمالاً^(٤٣٧).

وبدأت أعمال البناء في أسوار الإمبراطور ثيودوسيوس في سنة ٤١٣م. ولقد ائتمرك فيها جميع سكان الإمبراطورية، كل حسب تخصصه وهذا ما شددت عليه القوانين، التي أشارت، أنه، ومن أجل نجاح العمل، لا ينبغي أن تكون هناك استثناءات أو امتيازات لأية رتبة أو شخص مهما كان. ولحاجة هذا العمل إلى أموال كثيرة، فقد خصص له ثلث ضريبة الأرض سنويًا، كما ألزم السكان بدفع أية مصروفات أخرى تزيد عن ثلث الضريبة^(٤٣٨).

ويفرد المؤرخ ألكسندر قان ميلينجن^(٤٣٩) بالإشارة إلى أن الأسوار الجديدة لمدينة القسطنطينية أقيمت على مسافة ميل إلى ميل ونصف غرب أسوار الإمبراطور قنسططين. كما أشار إلى أن أعمال البناء لم تنته في عهد أنثيميوس. وهذا ما أكده أيضًا سومبسون^(٤٤٠) بقوله إن هذه الحكومة، يقصد حكومة أنثيميوس، لم تكن قد استطاعت حتى ٤ أبريل سنة ٤١٣م، إتمام الأسوار الجديدة.

(٤٣٦) Millingen V.: op-cit., p. 43; Matthew Bunson: op-cit., p. 15.

(٤٣٧) Millingen V.: op-cit., p. 43; Thompson: op-cit., p. 34; Vasilliev: op-cit., vol. I, p. 103; Matthew Bunson: op-cit., p. 15; William G.: op-cit., p. 462.

(٤٣٨) Millingen V.: op-cit., p. 44; Treadgold W.: op-cit., p. 89.

(٤٣٩) Byzantine Constantinople, p. 45.

(٤٤٠) The Huns, p. 34.

ويذكر بعض المؤرخين أن أسوار الإمبراطور ثيودوسيوس اشتملت على دورانات داخلية وخارجية، وأن هذا التصميم المعماري كان الهدف منه تحمل ومقاومة أي حصار طويل⁽⁴⁴¹⁾. وهكذا، كان أنثيموس، في تخطيطه للأسوار الجديدة للعاصمة، يستعد بطريقة تتم عن بعد نظر عسكري كبير يتمثل في أن الحرب مع الهون كانت واقعة لا محالة⁽⁴⁴²⁾. إن هذه التحصينات لم يكن من السهل الاستيلاء عليها سوى بمساعدة أسطول، أو خيانة من داخل المدينة. ولم تمنع هذه التحصينات فقط مدينة القسطنطينية من السقوط في يد الهون، ولكن بقيت من أعظم الأعمال التي ابتدعتها يد الإنسان لبيزنطة ولعدة قرون بعد تشييدها⁽⁴⁴³⁾. ويذكر بعض المؤرخين أن حطام أسوار الإمبراطور ثيودوسيوس مازالت موجودة حتى اليوم، كعلامة من علامات حدود مدينة القسطنطينية⁽⁴⁴⁴⁾.

وبعد، فإنه بعد هزيمة أولدس سنة ٤٠٨م، ثم وفاته سنة ٤١٢م، لم تذكر لنا كتب التاريخ شيئاً عن أي نوع من أنواع العلاقات بين الهون وبيزنطة. ويبدو أن الهون خلال هذه الفترة كانوا قد قاموا بحملة عسكرية على القرم، ولكن حملتهم باءت بالفشل⁽⁴⁴⁵⁾. ويشير بعض المؤرخين إلى أن هذه الحملة ربما تكون قد وقعت خلال السنوات من ٤١٥م وحتى ٤٢٠م، أو بعد ذلك بقليل⁽⁴⁴⁶⁾.

وعلى كل، في سنة ٤٢٠م كان رو (Roila) Rau، أو (Rugila) يتولى قيادة الهون؛ في المنطقة شمال نهر الدانوب، على الرغم من أنه كان

(441) Treadgold W.,: op-cit., p. 89.

(442) Thompson: The Huns, p. 35; Millingen V.: op-cit., p. 43.

(443) Millingen V.: op-cit., p. 45; Vasiliev: op-cit., vol. I, P. 103;
Treadgold: op-cit., p.89.

(444) Vasiliev: op-cit., vol. I, p. 103; William G. Sinnigen: op-cit., p. 468.

(445) Priscus in Fragmentary Classicizing Historian of The Later Roman Empire, Tr., by R. C. Blockley, vol. II, p. 249.

(446) Thompson: op-cit., p. 35.

يحكم معه آنذاك إخوته أوكتار Octar، ومونديوك Mundiuch^(٤٤٧). وإذا ما ساءلنا عن أجداد رو وإخوته، أو كيف وصلوا إلى الحكم، فإن سومبسون^(٤٤٨) يقول: "إننا لم نسمع عنهم شيئاً، وليس لدينا معرفة عن كيفية وصولهم إلى الحكم." والجدير بالذكر، أن المصادر التاريخية التي كتبت عن هذه الفترة لم تتحدث عن ذلك.

وعلى أية حال، في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني تحطم السلام مع فارس، وذلك بسبب استيلاء الفرس على سلع التجار البيزنطيين في أراضيهم، كما رفضت فارس أن تعيد إلى بيزنطة مناجم الذهب التي كانت قد استأجرتها في أرمينيا^(٤٤٩). وإضافة إلى ذلك، كان الفرس قد بدأوا في ممارسة الاضطهاد العام للمسيحيين في فارس. وعند ذلك، أعلن الإمبراطور ثيودوسيوس، وفي سنة ٤٢١م، الحرب على فارس، والتي انتهت في سنة ٤٢٢م بانتصار مدويه للبيزنطيين، عقدت على أثره معاهدة سلام بين الطرفين مدتها مائة عام^(٤٥٠).

وعندما كانت جيوش الإمبراطورية البيزنطية تقاتل الفرس في الشرق، ظهر واضحا أن حدودها الشمالية قد أصبحت بدون قوات للدفاع عنها، ومن ثم فقد استغل الهون، بقيادة رو هذه الفرصة، ودفخوا بقواتهم داخل الأراضي

(٤٤٧) Jordans: The Origin and Deeds of Goths. P. 43; Vernadsky G.: op-cit., p. 137.

(٤٤٨) The Huus, p. 70.

(٤٤٩) Thompson: op. cit., p. 35.

(٤٥٠) Theophanes Confessor: op-cit., p. 134. cf. also. Jones, A.I.M.: op. cit., vol. 1, p.193; young: op-cit., pp. 67- 68; lot. Γ.: the End of the Ancient World and The Beginning of the Middle Ages, (N.Y.1961) p. 217; Treadgold W.: op-cit., p. 90.

زبيدة عطا: المرجع السابق، ص ١٨٥ - ١٨٦.

للبيزنطية، وأصلوا النهب والسلب داخل إقليمى داكيا وثرأقيا. ولقد وقع هذا الهجوم فى سنة ٤٢٢م^(٤٥١).

ولكن كيف تمت مقاومة الهون من قبل بيزنطة؟. إن هذا ينتابه الغموض تماماً، لا سيما وأن كتب التاريخ الموجودة تحت يد الباحث لم تقل النذر القليل عن ذلك. حيث أشارت إلى أنه على الرغم من الجهود العسكرية التى بذلها إردايوريوس وأسبار، كان معظم الدالوب منهوياً. ولم يكن الإمبراطور البيزنطى يعرف ما الذى سوف يقوم به ضد هؤلاء الهون^(٤٥٢). الذين أصبحوا آنذاك يشكلون خطراً جسيماً على القسطنطينية نفسها^(٤٥٣).

وبعد عامين من النهب والسلب، وبالتحديد فى سنة ٤٢٤م، اضطر الإمبراطور البيزنطى ثيودوسيوس الثانى إلى عقد هدنة مع الهون، وافق بمقتضاها أن يدفع لهم إعانة مالية سنوية تقدر بحوالى ٣٥٠ جنيهاً من الذهب^(٤٥٤). وهى تعادل ١٤,١٠٠ ألف جنيه إسترلينى^(٤٥٥).

وعلى الرغم من أن هذا المبلغ، الذى عن طريقه تم شراء رو ملك الهون، لم يكن كبيراً، على حد قول بعض المؤرخين، فإنه كان يمثل فضيحة لا نظير لها للإمبراطور ثيودوسيوس الثانى^(٤٥٦). وفى محاولة للتغطية على هذه الفضيحة منحت الإمبراطورية البيزنطية رو ملك الهون لقب جنرال فى الجيش البيزنطى، وقد تنازل ملك الهون وقبيله^(٤٥٧).

(451) Treadgold W.: op- cit., p. 90; Thompson: op- cit., p. 35; Alexander P. Kazhdan and other: op- cit., vol. I, p. 957.

(452) Matthew Bunson: op- cit., p. 413.

(453) Gibbon: op- cit., Chapter XXXV. Net, p. 1; Thompson J. W. : op- cit., vol. I, p. 96.

(454) George Vernadsky : op. cit., p. 138; Jones A.H.M.: op-cit., vol. I, p. 139; Gordan C, D: op- cit., p. 59.

(455) Thomas Hodgkin: op. cit., p. 40.

(456) Treadgold W.: op-cit., p. 90.

(457) Gibbon: op. cit., Chapter XXXIV, Net, p. 1.

وتعليقاً على المبلغ المالي الذي وافقت بيزنطة على دفعه إلى رو ملك الهون، يقول بعض المؤرخين أنه كان حاجزاً ذات تأثير أكبر من الأموال ضد هؤلاء البرابرة^(٤٥٨). كما أنه كان محاولة لكبح طموحات رو في الإمبراطورية الرومانية الشرقية^(٤٥٩). وكذلك لتشجيع الهون على المحافظة على السلام^(٤٦٠). والجدير بالذكر، أن هذه هي المرة الأولى وافقت فيها بيزنطة على دفع إعانة مالية أو جزية إلى الهون. وإن دل ذلك على شيء فإتباعاً يدل على مدى الرعب الذي كان يشكله رو ملك الهون إلى البيزنطيين.

ومن الواضح أن الهون بقيادة ملكهم رو غادروا تراقيا بعد موافقة الحكومة البيزنطية على أن تدفع لهم الإعانة المالية. ورغم ذلك يقول بعض المؤرخين: ليس لدينا تفاصيل، كما أننا لا نعرف شيئاً عن الطريقة التي تم استخدامها لطردهم من تراقيا^(٤٦١).

ومهما يكن من أمر، فقد استطاعت الهدنة التي عقدت آنفاً بين الهون وبيزنطة أن تجلب السلام إلى حدود الدانوب ولكن لسنوات قليلة^(٤٦٢).

ففي سنة ٤٣٤م، أعلن رو ملك الهون الحرب على بيزنطة. وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: ما ذكرته إحدى المصادر المعاصرة من أن قبائل الأميلزوري Amilzuri، الإيتيماري Itimari، تونسور من Tounsoures والبويسسي Boisci، وغيرها من القبائل الأخرى القاطنة على مقربة من نهر الدانوب، كانت متحالفة مع الرومان، ولهذا للمبب شن رو الحرب عليها،

(458) Bury J.B: op. cit., I, p. 271; Jones: op. cit., vol. I. p. 193.

(459) Matthew Bunson: op. cit., p. 369.

(460) Norwish J.J: Byzantium; (N.Y.,1989), p. 152.

(461) Thompson: The Huns, p. 35.

(462) Ibid: p. 83.

ومن ثم فإن ذلك دفع الكثير من أبناء هذه القبائل إلى عبور الدانوب للأرض الرومانية^(٤٦٣).

ثانياً: كان الإمبراطور البيزنطي ثيودوسيوس الثاني قد استأجر عدة فرق هونية للعمل ضمن جيوشه، وهذا كان مناقضاً لاتفاقه مع رو، الأمر الذي دفع الأخير إلى مطالبة الإمبراطور برفنت- وعلى وجه السرعة- جميع الهون الذين يعملون في خدمته، وتسليمهم إليه، ولكن حكومة القسطنطينية رفضت هذا الطلب^(٤٦٤).

ثالثاً: تغير البناء المباسي، في سنة ٤٣٠م، للمجتمع الهوني في السهول الشمالية لنهر الدانوب. وذلك عندما تمكن رو ملك الهون، من إخضاع الكثير من الشعوب الموجودة في هذه المنطقة، وبذلك تمكن من فرض سيطرة لهون هناك، ومن ثم فإن ذلك أعطاه سلطة منفردة على جميع شعوب المنطقة^(٤٦٥).

رابعاً: في سنة ٤٣٤م كانت معظم القوات البيزنطية تحارب في أفريقيا دفاعاً عن الإمبراطورية الغربية. فقبل ذلك بخمس سنوات، أصيبت بيزنطة بالرعب عندما وصلت الأخبار إلى القسطنطينية تفيد بأن الوندال استولوا على أجزاء واسعة من ولاية أفريقيا. ومن ثم فإنه على الفور تم إرسال القائد البيزنطي أسبار على رأس القوات البيزنطية إلى الشمال الأفريقي في سنة ٤٣١م، وفي سنة ٤٣٤م تم تعيينه قنصلاً غربياً، ومن ثم كانت هذه فرصة ذهبية إلى الملك الهوني رو على حد الدانوب، ولم يكن على استعداد أن يضيعها^(٤٦٦).

(463) Priscus: op. cit., p. 225. cf. also, Thomas Hodgkin: op. cit., p. 40.

(464) Vernadsky G.: op. cit., 138.

(465) Roger Collins: Early Medieval Europe 300- 1000, p. 84.

(466) Theophanes confessor: op- cit., pp. 146, 147. cf. also, Thompson: op- cit., p. 79; Jones A.I.L.M.: op- cit., vol. I, p. 193.

وعلى كل، في بداية للشهور الأولى من عام ٣٤٣م ظهر إسلام Eslas، سفير الملك الهوني رو، في مدينة القسطنطينية. لقد جاء بأوامر قاسية، تمثلت في تهديد رو بإلغاء السلام القائم بين الجانبين وإعلان الحرب على بيزنطة ما لم تسلم إليه جميع اللاجئين الهون الذين آوتهم، عندما هربوا منه^(٤٦٧). إن هؤلاء الهون، كما ذكر بعض المؤرخين، كانوا من الذين رفضوا الاعتراف بقيادة رو، وفضلوا الاستقلال النسبي، وذلك بالهروب إلى الرومان والعمل في الجيش الإمبراطوري^(٤٦٨).

وبسبب هذا الوضع المنذر بالحرب قررت الحكومة البيزنطية إرسال سفارة إلى الهون، وعند ذلك تطوع كل من بلينثا Plintha وديونيثوس Dionysius للقيام بهذه المهمة. ومن جانبه بعث بلينثا واحداً من أتباعه يدعى سنجيلاتش Sengilach، وذلك لحث الهون على فتح باب المفاوضات معه هو شخصياً، وليس مع أحد غيره^(٤٦٩).

ويعلق أحد المؤرخين المحدثين على تصرف بلينثا موضحاً أنه في حد ذاته يعتبر نوع من أنواع التآمر أو الشللية في البلاط البيزنطي، لدرجة أنه سعى لاحتكار المفاوضات مع رو، ولكن ليس من الصهل معرفة من الآخرين الذين

(⁴⁶⁷) Priscus: op. cit., p. 225. cf. also, Thompson: op-cit., p. 79; Gordan C.D.: op-cit., 59.

(⁴⁶⁸) Thompson: op-cit., p. 79.

(⁴⁶⁹) Priscus: op-cit., p. 225. cf. also, Thompson: op-cit., p. 805 Gordan C.D.: op-cit., p. 60.

لقد كان بلينثا ذات أصل سكيثي، أما ديونيثوس فكان ذات أصل تراقي. كان كلاهما قناداً في الجيش الروماني، سبق وأن توليا مهمة تمثيل الرومان في الخارج: Priscus, op-cit., p. 60، أصبح بلينثا قنصلاً في سنة ٤١٩م، وكان في غضون ذلك من أكثر القادة نفوذاً داخل البلاط الإمبراطوري. أما ديونيثوس فقد أصبح قنصلاً عام ٤٢٩م. Thompson: The Huns, p. 80

ومن المحتمل أن سنجيلاتش، يكون آاني أو هوني، كما هو واضحاً من اسمه Gordan C.D.: op-cit., 60.

يرغب في استبعادهم من المفاوضات إن هذه واحدة من المكائد التي ظهرت في الصراع السياسي الداخلي أثناء حكم الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني^(٤٧٠).

وعلى أية حال، إن تهديد روم، ملك الهون، بإعلان الحرب على بيزنطة لم يخرج إلى حيز الوجود، وذلك بسبب وفاته فجأة، في سنة ٤٣٤م واعتلاء أتتلا Attila وبليدا Bleda، أبناء أخيه مونديوك Mundiuch العرش الهوني، معاً^(٤٧١). وعلى الرغم من أن بليدا كان الأخ الأكبر لأتتلا الذي تولى قيادة قسماً كبيراً من الهون، فإن السلطة الحقيقية كانت في يد أتتلا ولذلك سادت شخصيته على شخصية بليدا^(٤٧٢). وينفرد بعض المؤرخين بالقول، إن روم قد مات سنة ٤٣٣م، ثم تولى بعده أخوه مونديوك قيادة معظم قبائل الهون، وبعد وفاة مونديوك تولى العرش ابنه أتتلا وبليدا، في سنة ٤٣٤م^(٤٧٣). والباحث من جانبه لا يميل إلى هذا الرأي وذلك لأن بريمكوس^(٤٧٤) المؤرخ المعاصر، قال: "وبعد وفاة روم Rau انتقل الحكم إلى كل من أتتلا وبليدا".

والحقيقة أن وفاة روم لعبت دوراً كبيراً في إيقاظ البيزنطيين، الذين سيطر عليهم العرب، بسبب ميوله العسكرية. ولقد ألقى بروكلومس (٤٣٤ - ٤٤٧م) Proclus، بطريرك مدينة القسطنطينية خطبة شكر فيها الرب، عندما وصلت الأخبار بوفاة روم. وما جاء في هذه الخطبة أنه عندما كان روم على وشك الاندفاع في الهجوم على الإمبراطورية الشرقية، أياده الإله وأتباعه^(٤٧٥).

⁽⁴⁷⁰⁾ Thompson: op-cit., 80.

⁽⁴⁷¹⁾ Priscus: op-cit., p. 225; Jordanes: op-cit., p. 43; Theophanes Confessor: op. cit., p. 159.

⁽⁴⁷²⁾ Jordanes: op-cit., 43. cf. also, Young: op-cit., p. 84; Thompson: op-cit., p. 81; Vernadsky G.: op-cit., p. 139; Bury J.B.: op-cit., vol. I, p. 271.

⁽⁴⁷³⁾ Matthew Bunson: op-cit., p. 42, 200.

⁽⁴⁷⁴⁾ Fragmentary Classicising Historiography of The Later Roman Empire, p. 255.

⁽⁴⁷⁵⁾ Thompson: op-cit., pp. 80-81.

وعلى أية حال، لقد وجد مجلس العماتو أن الوقت قد أصبح مناسباً لإرسال سفارة بلينثا إلى الهون، على الرغم من وفاة ملكهم رو واعتلاء حكام جدد، وذلك للتفاوض معهم وعندما صدق الإمبراطور ثيودومسيوس الثاني على هذا القرار، أبدى بلينثا رغبته في أن يصطحب معه أبيجنيس Epigenes في هذه المهمة، وذلك لأنه كان قد حاز شهرة واسعة في الحكمة ورجاحة العقل والسعة الطيبة، كما أنه كان قد تولى منصب الكويستر Quaestor⁽⁴⁷⁶⁾. وفور الموافقة على طلبه انطلقا الإثنين في سفارتهما، فوصلا إلى مدينة مارجوس Margus⁽⁴⁷⁷⁾، في سنة ٤٣٥م. وهناك كان أتيليا وبليدا يعقدان اجتماعهما⁽⁴⁷⁸⁾. ولقد وافقا أتيليا وبليدا على إجراء المقابلة الشخصية مع سفراء الإمبراطور ثيودومسيوس الثاني خارج مدينة مارجوس، ولكنهما رفضا - بكبرياء - النزول من فوق خيولهما، وذلك لإيمانهم أنه من اللائق للتفاوض وهم على ظهور الخيل، فليس من المناسب الترجل. ونظرًا لأن أعضاء السفارة البيزنطية كانوا غيورين على كرامتهم، فقد ظلوا راكبين على خيولهم. فقد وجد السفراء أنه ليس من المناسب أن يجدوا أنفسهم يتفاوضون وهم على الأرض مع أناس راكبين. ولكن ذلك سبب لهم ألمًا شديدًا، بسبب الجلوس الطويل على ظهور الخيل خلال المفاوضات⁽⁴⁷⁹⁾.

⁽⁴⁷⁶⁾ الكويستر Quaestor: هو الشخص الذي تولى درجة قضائية أدنى في الدرجات القضائية، والمركز الأول للمأخوذ بواسطة كل للمرشحين للقيام بمهنة السيناتور.

أنظر: Matthew Bunson: op-cit., p. 353.

⁽⁴⁷⁷⁾ مارجوس Margus: إحدى مدن مؤيزيا في ألبانيا، تقع على نهر لدانوب قرب مصب نهر مورافا Morava، اليوم نهر صربيا الأمامسي، الذي يصب في الدانوب.

أنظر: Priscus: op-cit., vol. II, p. 227. cf. also, Thomas Hodgkin op-cit., p. 47.

⁽⁴⁷⁸⁾ Priscus: op-cit., vol. II, pp. 225. cf. also, Gordan C. D.: op-cit., p. 60; Thompson: op-cit., p. 82; Young: op-cit., p. 84; Thomas Hodgkin: op-cit., p. 48

⁽⁴⁷⁹⁾ Priscus: op-cit., vol. II, p. 227; Gordan C.D.: op-cit., p. 60. cf. also, Thompson: op-cit., p. 83; Vernadisky G.: op-cit., p. 139.

والجدير بالذكر، أنه لم يقل لنا أحد من المؤرخين القدامى أو المحدثين كم المدة التي استغرقتها المفاوضات، ولا ما للذي دار أثناء هذه المفاوضات.

ولكن ما يجب علينا أن ندركه أن أتيليا في أولى مفاوضاته مع القسطنطينية أثبت أن كان يميل إلى السلام وليس إلى الحرب⁽⁴⁸⁰⁾. كما أثبت أنه مفاوض صلب، تفاوض بأقصى درجات الغرور، وأملى شروط السلام على سفراء الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، الذين لم يتمكنوا من كسب أي نصر دبلوماسي واضح لسيدهم⁽⁴⁸¹⁾.

ولقد نصت شروط معاهدة السلام بين الهون وبيزنطة على الآتي:

أولاً: يجب على الرومان في المستقبل عدم إيذاء الذين يقومون بالهروب من المستعمرات الهونية في سكيثيا Scythia.

ثانياً: قيام الرومان - على الفور - بتسليم جميع اللاجئين الهون الذين هربوا إليهم من الأراضي الهونية.

ثالثاً: تسليم أسرى الحروب من الرومان، الذين كانوا قد استطاعوا الهروب إلى أراضيهم دون دفع الفدية إلى من أسرهم. وإن لم يعملوا هؤلاء الأسرى، فإنه ينبغي على كل أسير دفع مبلغ ثمانية سوليدات Solidi على أن تدفع لمن قام بأسره أثناء الحرب.

رابعاً: عدم تحالف الرومان، في المستقبل، مع أي قبائل بربرية ضد الهون إذ ما امتعد الهون لخوض الحرب ضدهم.

خامساً: يجب أن يقام هناك سوق تجاري، تتساوى فيه الحقوق التجارية بين الهون والرومان، على أن يتوافق في هذا السوق الأمان.

سادساً: أن يدفع للرومان لقادة الهون مبلغ ٧٠٠ جنيه من الذهب كل عام.

(480) Vernadsky G.: op-cit., p. 139.

(481) Jones A.H.M.: op-cit., Vol. I, p. 193; Thomas Hodgkin: op-cit., p. 47; Gibbon: op-cit., Chapter XXXIV, Net, p. 2.

سابقاً: إن دوام المعاهدة واستمراريتها سوف يتوقف فقط على دفع المبلغ المطلوب من الرومان إلى الهون.

ووفقاً لهذه الشروط، تم إبرام اتفاقية السلام بين الهون وبيزنطة، ويعد تبادل القسم على الوفاء بشروطها، عاد كل فريق إلى بلاده^(٤٨٢). وعلى هذه الشروط وقعت الحكومة البيزنطية ما يجب أن يطلق عليه سلام مارجوس سنة ٤٣٥م. كما وقع الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني على هذه الاتفاقية ولكنه عندما وقع عليها يبدو أنه لم تكن لديه نية كاملة لتنفيذ شروطها^(٤٨٣).

وتعليقاً على معاهدة مارجوس يقول أحد المؤرخين: لقد استطاع أتيليا أن يفرض على القسطنطينية معاهدة كلها إذلال وهوان^(٤٨٤).

ولكن لماذا؟ إن الإجابة نجدها لدى بريسكوس^(٤٨٥) الذي يقول: "عندما أصبح ثيودوسيوس الصغير إمبراطوراً للرومان (بيزنطة) بعد وفاة والده ولأنه لا يفضل الحرب ويفضل العيش في خوف ويسعى للسلام مقابل المال لا القتال، فكان سبباً للنتائج السيئة التي أصابت الدولة الرومانية آنذاك (يقصد بيزنطة)".

وعلى أية حال، تعد معاهدة مارجوس سنة ٤٣٥م، أول معاهدة تسجلها لنا المصادر التاريخية، في مجال العلاقات الدبلوماسية بين الهون وبيزنطة. ولقد أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن أتيليا - هذا البربري الهجومي المتسلط - كان في نفس الوقت رجلاً ذات حس دبلوماسي عال؛ لأنه في هذه المعاهدة وضع الهون،

(482) Priscus: op-cit., vol. II, p. 227. cf. also, Gordan C.D.: op-cit., pp. 60-61; Thompson: op-cit., p. 83; Thomas Hodgkin: op-cit., p. 48; Jones A.H.M.: op-cit., vol. I, p. 193; George Vernadisky: op-cit., p. 193; Gibbon: op-cit., Chapter XXXIV, Net, p. 2; Treadgold W.: op-cit., p. 93; William G. Sinnigen and other: op-cit., p. 461; Bury J.B.: op-cit., vol. I, p. 273; Previte Orten: op-cit., p. 93.

(483) Thompson: The Huns, p. 83- 85.

(484) موسى هـ.ل.: المرجع السابق، ص ٩٦؛ للمريخي: المرجع السابق، ص ٩٨.

(485) Fragmentary Classicizing Historians of The Later Roman Empire, vol. II, p. 229.

البرابرة، على قدم المساواة مع الرومان أصحاب الحضارة. بل لا يتعدى الباحث الصواب إذ قال إن أتتلا من خلال شروطه كان يرى في نفسه أنه أعظم من الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني.

وفي محاولة من الإمبراطورية البيزنطية لإنقاذ ماء وجهها؛ فقد تظاهرت باعتبار الهون حلفاء، وأن ملكهم قائد في خدمتها، ولذلك كان أتتلا يسمى ماجيستر ميليتيم Magister Militum^(٤٨٦). وهذا ما قبله أتتلا نفسه^(٤٨٧). وبناءً على هذا كانت بيزنطة تدفع المبلغ المطلوب منها إلى أتتلا سنويًا، تحت اسم "راتب" لقائد في الجيش الروماني^(٤٨٨). وكان الهدف من ذلك هو شراء الحماية الإقليمية^(٤٨٩).

ولم تتردد حكومة الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني في إخراج معاهدة مارجوس إلى حيز التنفيذ العملي. ومن ثم فإتها سلمت، وعلى وجه السرعة، إلى الجانب الهوني الهاريين لديها كلاجئين، والذين كان من بينهم طفلان ينتميان إلى البيت الملكي الهوني وهما ماما Mama وأتاكام Atakam، واللذان بصرد ما لهن سلما تم قتلها عن طريق للخازوق بالقرب من قلعة كارسوم Carsum، إحدى قلاع تراشيا^(٤٩٠). هذا ويذكر بعض المؤرخين أن أتتلا كان قد طالب الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني بأن يسلمه الطفلين^(٤٩١).

^(٤٨٦) الماجستير ميليتيم: حلز على هذا اللقب العديد من الجفرالات العظام في القرن الرابع والخامس للميلاد. وهو يعني 'سيد الجند' Master of Soldiers وهذا للمنصب كان متوليه يشغل مكاناً ليس له سابقة من نوعه في مسائل الإمبراطورية الرومانية.

أنظر: Matthew Buason: op-cit., p. 254.

^(٤٨٧) Ferdinand Lot: op-cit., 217.

^(٤٨٨) اسمت غنيم: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٩.

^(٤٨٩) Thompson W.J.: The Middle Ages 300 1500, vol. I, p. 97.

^(٤٩٠) Priscus: op-cit., vol II, p. 227. cf. also, Jordan C.D.: op-cit., p. 61; Thompson: The Huns, p. 85; Thomas Hodgkin: op-cit., p. 48.

^(٤٩١) Young: op.cit., p. 84.

وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية المعاصرة لم تشر إلى ذلك فإن الباحث يميل إلى هذا القول، وذلك لأن هذين الطفلين، بالتأكيد، كانا يشكلان خطورة سياسية على أتتلا ومن ثم لابد من التخلص منهما.

ومع ذلك، يبدو أنه في السنوات التالية، أغفل الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني دفع ال ٧٠٠ جنيه للذهبية، التي نصت عليها معاهدة مارجوس، هذا ما نأحية، كما أنه -مؤكد تمامًا- أن الإمبراطور وجد أن اللاجئين لديه من القبائل المتبربرة، يمثلون أهمية كبرى إلى قواته، ولذلك لم يسلم منهم الكثير إلى أتتلا^(٤٩٢).

وعلى أية حال، إن أتتلا ويليذا وبلاطهما، بعد إقامة السلام مع بيزنطة، استأنفوا حروبهم في سكيثيا، حيث أخضعوا العديد من الشعوب الموجودة هناك، كما أشعلوا الحرب على السوروسجي Sorosgi، وهؤلاء غير معروفين^(٤٩٣). لقد كان هدف أتتلا الأساسي أن يثبت السلطة الهونية في منطقة القوقاز الشمالية والشرقية. وكانت النتيجة، أن تهديد للهون للإمبراطورية البيزنطية قد توقف لحوالي سبع سنين^(٤٩٤). استطاع خلالها أتتلا أن يقيم لنفسه إمبراطورية واسعة امتدت من غالة غربًا حتى الدانوب جنوبًا، وشرقًا وشمالًا امتدت حتى جبال القوقاز. لقد اشتملت إمبراطوريته على عدة أمم مثل الآلان، القوط الشرقيون، والجبدي Gepids، والروجيين، والسكريين، وغيرهم من سكان وسط أوروبا^(٤٩٥).

(492) Thompson: The Huns, p. 85.

(193) Priscus: op-cit., vol. II, p. 227. cf. also, Gordan: op-cit., p. 61

(494) Thomas Hodgkin: op-cit., p. 48; Vernadisky G.: op-cit., p. 139; Bury I. R.: op-cit., vol. I, p. 273.

(495) Gordan C.D.: op-cit., p. 62; Young: op-cit., p. 84; Norwish: op-cit., p. 153; Alexander P. Kazhdan and other: op-cit., p. 957; Ferdinand Lot: op-cit., p. 217.

فشر هـ.أ.ل.: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص ٣٦.

ولكن من الواضح أن أثيلا لم يكن يسيطر على جميع هذه المناطق بنفسه، بل إن العديد من رؤساء القبائل كانوا يحكمون تحت سيادته. أما بالنسبة إلى حكومته الشخصية، فمن المحتمل جدًا أنها انحصرت تقريبًا داخل المجر الحديثة وترانسلفانيا^(٤٩٦).

وعلى أية حال، يبدو أن الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني كان يدرك بدرجة كبيرة الخطر من جراء سياسته القائمة على عدم تسليم معظم الهاريين إلى الهون، والتوقف عن دفع الجزية المطلوبة منه، وذلك لأنه قام في سنة ٤٣٩م بخطوة هامة تدل على مغزى كبير. تمثلت في أوامره إلى كيروس (٤٣٩-٤٤٣م) Cytus، وإلى مدينة القسطنطينية بإكمال تحصيناتها؛ وذلك لأن أسوار ثيودوسيوس التي كان قد بدأ العمل فيها سنة ٤١٣م على يد أنثيميوس لم تؤمن المدينة بدرجة كبيرة، فأطراف هذه الأسوار كانت ما تزال مفتوحة من الناحية البحرية، وإذا تحالف الهون مع أية قوة بحرية فإن ذلك سوف يشكل خطورة كبيرة عليها^(٤٩٧). لقد كان الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني يدرك أن الحرب مع أثيلا قد تنشب في أي وقت. وعلى كل حال كان أثيلا يتحين الفرصة المناسبة، والتي جاءت في سنة ٤٤٠م^(٤٩٨).

وفي ذلك تقول الأحداث إنه في سنة ٤٤٠م وصلت الأخبار إلى مدينة القسطنطينية بأن قرطاجة، عاصمة ولاية شمال أفريقيا سقطت في يد الوندال في ١٩ أكتوبر سنة ٤٣٩م. ولأن الدفاع عن الشمال الأفريقي كان حيويًا لمدينة القسطنطينية، ففي ربيع سنة ٤٤١م غادر أسطول بيزنطي يتكون من ١٢٠٠ سفينة العاصمة، بقيادة الجنرال القوطي أريوبيندوس Ariobindus لإنقاذ قرطاجة من الوندال. وتقريريًا في نفس الوقت وقعت كارثة أخرى وذلك عندما

(496) Thomas Hodgkin: op-cit., p. 44; Ferdinand Lot: op-cit., p. 217; Hoyt R.S. and other: Europe in the Middle Ages, (U.S.A., 1976), p. 67; William G. Sinnigen and other: op-cit., p. 456.

(497) Theophanes Confessor: op-cit., p. 151. cf. also, Thompson: op-cit. pp. 85- 86.

(498) Thompson: op-cit., p. 86.

اندفعت القوات الفارسية بقيادة الملك الفارم يندجرد الثاني (٤٣٨ - ٤٥٨م) غازية أرمينيا البيزنطية. وعلى الرغم من أن القوات الفارسية كانت مرهوبة، وذلك لأنها كانت مهددة من الخلف بواسطة الإثاليين Ephthalites (الهون البيض)، كان لابد من نشر جيش بيزنطي كبير على الحدود مع فارس لمواجهة أي تهديد فارسي. وهكذا، كان الحد الدائوبي قد تم تجريده بدرجة كبيرة من القوات المدافعة عنه^(٤٩٩).

وهكذا جاءت الفرصة إلى أتيلاء وقام باستغلالها جيدًا. ولكن كان عليه ادعاء أسبابًا لمهاجمة بيزنطة. فاشتكى أن الجزية لم تدفع بانتظام، كما أن الهاريين من مستعمراته لم يتم إعادتهم، وبناءً على ذلك عبر الدائوب^(٥٠٠).

ولكن هناك من المؤرخين من يقول بأن هجوم أتيلاء على الإمبراطورية البيزنطية كان بإيحاء من جيزريك الملك الوندالي، لا سيما عندما رأى الأخير أن موانئ صقلية قد أصبحت مملوءة بقوات الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني البحرية والبرية^(٥٠١).

وعلى أية حال، وقع هجوم كبير على الإمبراطورية البيزنطية في سنة ٤٤١م. فإثناء انعقاد السوق، الذي نصت عليه اتفاقية مارجوم، انقض الهون على البيزنطيين وقتلوا منهم أعدادًا كبيرة، ولذين كانوا في الغالب من التجار.

^(٤٩٩) وللمزيد من التفاصيل، انظر:

Theophanes Confessor: op-cit., p. 157. cf. also, Thompsin: op-cit., pp. 86-87; Vernadisky G.: op-cit., p. 141; Trendgold: op-cit., p. 94; Bury: op-cit., vol. I, p. 273.

زيدة عطا: المرجع السابق، ص ١٨٦.

^(٥٠٠) Bury: op-cit., vol. I, pp. 273-274; Jones A.H.M.: op-cit., vol. I, p. 193.

^(٥٠١) Gibbon: op-cit., Chapter XXXIV, Net, p. 5; Previte Orion: op-cit., p. 93.

وعلى الفور احتجت الحكومة البيزنطية على هذا السلوك العدواني المتمثل في نقض معاهدة مارجومس، وعدم احترام ما جاء فيها بخصوص السوق^(٥٠٢).

ولكن الهون أجابوا بأنهم لم يكونوا هم الذين بدأوا بالعدوان، وأن ما قاموا به يعتبر دفاعاً عن النفس، كان سببه أسقف مدينة مارجومس، الذي عبر نهر الدانوب، وقام بالتفتيش في مقابرهم الملكية وسرق ما بها من كنوز وعلية فقط طالبوا بتسليم هذا الرجل فوراً، وجميع اللاجئين أو قديتهم، وإلا فإنهم سوف يواصلون الحرب. وعندما أجاب الرسل البيزنطيون بأن هذه الإدعاءات خاطئة، أكد الهون على صحة مزاعمهم، ورفضوا أية محاولة للتحكيم والتفاوض حول الأمور محل الخلاف، وأعلنوا الحرب على بيزنطة^(٥٠٣).

وعلى كل، واصل الهون عملياتهم العسكرية ضد بيزنطة، فعبروا نهر الدانوب على وجه السرعة، من مكان غير معروف، وخرّبوا العديد من المدن والحصون الموجودة على الضفة الجنوبية للنهر، ولقد كان من ضمن هذه المدن، مدينة فيميناسيوم Viminacium، في ألبانيا^(٥٠٤). ولقد تم تسوية هذه المدينة بالأرض. وعندما زار المؤرخ بروكوبيوس هذا المكان بعد قرن من الزمان قال: "إن مدينة فيميناسيوم الواقعة هناك، لكن منذ زمن طويل، تم تدميرها". وظلت المدينة مهجورة، حتى أعاد الإمبراطور جستنيان بناءها^(٥٠٥) لما بخصوص سكان هذه المدينة الذين قدر لهم العيش بعد تخریبها فقد أخذهم الهون أسرى^(٥٠٦).

⁽⁵⁰²⁾ Priscus: op-cit., vol. II, p. 231. cf. also, Thompson: op-cit., pp. 87-88; Jordan C.D.: op-cit., pp. 62-63.

⁽⁵⁰³⁾ Priscus: op-cit., vol. II, p. 231. cf. also, Jordan C.D.: op-cit., p. 63; Bury J.B.: op-cit., vol. I, p. 274.

⁽⁵⁰⁴⁾ Priscus: op-cit., vol. II, p. 231. cf. also, Thompson: op-cit., p. 88; Treadgold W.: op-cit., 94.

⁽⁵⁰⁵⁾ Thompson: op-cit., p. 88.

⁽⁵⁰⁶⁾ Ibid, p. 89.

وفي وسط هذه الأحداث العسكرية، انطلقت الكثير من الدعوات تطالب بضرورة تسليم أسقف مدينة مارجوس إلى الهون، لأنه ليس من المعقول المخاطرة بحياة الشعب البيزنطي كله، وإقحامه في أتون هذه الحرب من أجل حياة رجل واحد. ولكن عندما ساورت الأسقف الشكوك في إمكانية تسليمه، غادر المدينة سراً وعبر نهر الدانوب إلى الهون، وهناك وعدهم بتسليم المدينة إليهم مقابل بعض العروض الجيدة. وعندما وعدوه بأنهم سوف يعاملونه بصورة جيدة إذا استطاع تنفيذ وعده، تم الاتفاق بين الطرفين والقسم على ذلك، لضمان تنفيذ هذا الوعد. وعند ذلك عاد الأسقف إلى الأراضي البيزنطية نصحبه قوة كبير من الهون، والتي قام بإخفائها على جانب النهر، وعند حلول الظلام، ومن أبواب المدينة التي تركها الأسقف مفتوحة، انساب الهون داخلها، وساد الهمب والسلب فيها على وجه السرعة⁽⁵⁰⁷⁾. ويذكر بعض المؤرخين أن هذه المدينة لم يتم بناؤها. كما أن مصير أسقفها لا يكون معروفاً⁽⁵⁰⁸⁾. وعلى أية حال، إن الاستيلاء على مدينة مارجوس فتح شهية الهون للتقدم داخل الأراضي البيزنطية.

وعلى أية حال، في الوقت الذي استولى فيه الهون على مدينة مارجوس، نجحوا في الاستيلاء على قلعة قنسطانطيا Constantia، الواقعة على الضفة الأخرى لنهر الدانوب في مواجهة مدينة مارجوس. كما تم تسوية مدينة سينجيدونوم Singidunum (بلجراد) بالأرض، والتي ظلت مهجورة حتى أيام الإمبراطور جستنيان⁽⁵⁰⁹⁾. ولكن النكبة الأسوأ تمثلت في ضياع مدينة سيرميوم Sirmium، التي يدور عليها دفاع حد الدانوب كله. وعلى الفور تمت

(507) Priscus: op-cit., vol. II, p. 231. cf. also, Gordan: op-cit., p. 63;
Thomas Hodgkin: op-cit., pp. 49- 50.

(508) Thomas : The Huns, p. 89.

(509) Theophanes Confessor: op-cit., p. 159. cf. also, Thompson: op-cit., p. 89.

إبادتها، وتحول سكانها إلى أبقان في أيدي الهون. وبالاستيلاء على تلك المدينة، وصلت حملة أتتلا العسكرية على بيزنطة، سنة ٤٤١م، إلى نهايتها^(٥١٠).

وإجابة على سؤال بخصوص دور الإمبراطور ثيودوميرس الثاني في الدفاع عن أراضيها ضد الغزو الهوني. يقول بعض المؤرخين: "إن الخطر العام والمحلة التي تعرض لها الشعب البيزنطي، لم تحركا الإمبراطور ثيودوميرس عن الابتعاد عن لهوه، والتقدم على رأس قواته للدفاع عن أراضيها"^(٥١١). إن كل ما فعله الرجل، عندما تطور الهجوم الهوني هو استدعاء الأسطول من صقلية. ولكن هذا الأسطول لم يصل إلى القسطنطينية في الوقت المناسب، حيث كان من الممكن مشاركة قواته في قتال سنة ٤٤١م.

والحقيقة؛ أن الحكومة البيزنطية لم تكن قادرة على القيام بأي دور دفاعي ضد هجمات الهون على مدن وقلاع الدانوب. وبصراحة شديدة، هناك تأكيد قاطع على أنه خلال حملة أتتلا على الأراضي البيزنطية سنة ٤٤١م لم يقابل بأي مقاومة من قبل جيوش الميدان البيزنطية^(٥١٢). والباحث من جانبه يرى أن أتتلا اختار أن يضرب ضربه عندما كانت معظم جيوش الإمبراطورية تقاوم على حدودها الشرقية ضد الفرس، وحتى إذا عادت سوف تكون منهكة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان الأسطول البيزنطي في صقلية، وعلى متفه الآلاف من القوات البيزنطية.

(⁵¹⁰)Thompson: op-cit., p. 89.

(⁵¹¹)Gibbon: op-cit., Chapter XXXIV, Net, p. 5.

والدانوب، قرب مدينة بلجراد الحديثة، في إقليم Sava كوسيرميوم: مدينة تقع على نهر سافا بانونيا السفلى. واحدة من أعظم مدن الإمبراطورية الرومانية في القرنين الثالث والرابع الميلاديين، بسبب موقعها المتوسط القريب من الحد الدانوبي. ولذلك كانت مركزاً عظيماً
Theophylact Simocata: The History, Tr. By Michael and Mary Whithy (Oxford, 1986), p. 23.
(Not. 18). Cf. also, Matthew Bunson: op-cit., p. 390.

(⁵¹²)Theophanes Confessor: op-cit., p. 159. cf. also, Thompson: op-cit., p. 90; Treadgold W.: op-cit., p. 94.

ومع ذلك، ينكر بعض المؤرخين أن أسبار - سيد الجند - تقدم ضد الهون، في سنة ٤٤١م، ولكنه وجد أنه من الأفيد إلى بيزنطة ترتيب معاهدة سلام مع الهون لمدة عام واحد، والتي يبدو أن شروطها اشتملت على عودة اللاجئين ودفع المتأخرات من الجزية إلى أتيل. وكانت النتيجة توقف الأعمال العسكرية للهون في الأراضي البيزنطية، سنة ٤٤٢م^(٥١٣).

والجدير بالذكر، أن المصادر التاريخية المعاصرة لهذه الأحداث، بل والمراجع الحديثة، الموجودة تحت يد الباحث، لم تقدم معلومات أكثر عن مقاومة أسبار لأتيل، أو عن معاهدته التي عقدها مع الهون سنة ٤٤١م.

ومهما يكن من أمر، فقد استغل الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني لأقصى درجة فترة النقاط الأنفاس، التي تمثلت في سنة ٤٤٢م. والحقيقة، أنه كان يدرك أن الحرب آتية مع الهون لا محالة، ومن ثم فإنه راح يستعد ويبدو أنه قام برفع مرتبات قواته، والدليل على ذلك السولدي Solidi الذهبي الذي أصدره خلال الشهر لتسع الأولى من سنة ٤٤٢م، بكميات كبيرة^(٥١٤). وبسبب استعداداته السريعة، وعودة الأسطول من صقلية، شعر الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني بأنه أصبح قادراً على مواجهة أتيل، إذا ما حول الاعتداء على الأراضي البيزنطية^(٥١٥).

(513) Treadgold W.: op-cit., p. 94; Gordan C.D.: op-cit., p. 65; Thompson: op-cit., p. 90.

وأسبار: هو فلاقيوس أردابوريوس Flavius Ardaburdus، ال Magister Peditum (قائد قوات المشاة)، كان واحداً من أعظم الصور العسكرية والسياسية الهامة في الإمبراطورية البيزنطية. كان آلابي الأصل، ومن المحتمل أن زوجته كانت قوطية، من القوط الشرقيين، لأن ثيودوريك الأول، ملك للقوط الشرقيين كان ابن أخيها. حصل أسبار على لقب في سنة ٤٢٤م. لعب دوراً كبيراً في تولية أباطرة بيزنطة بعد وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، سنة ٤٥٠م. انظر: Matthew Bunson: op-cit., p. 38.

(514) Thompsons: op-cit., pp. 90-91.

(515) Ibid, p. 91.

وقبل المضى قداماً في ملاحقة الأحداث العسكرية بين أتتلا، ملك الهون والإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، الإمبراطور البيزنطي. تجدر الإشارة إلى أنه حدث آنذاك أن خضع للبلاط الإمبراطوري في القسطنطينية إلى نفوذ الوزير خريساقيوس زستوماس Chrysaaphius Zstommas الذي تولى منصبه الوالي البريتوري، ووالي مدينة القسطنطينية في ٤٤٢م أو ٤٤٣م، بعد عزل الوالي العظيم كيروس، الذي تولى هذين المنصبين لمدة أربع سنوات، على يد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني^(٥١٦).

وعلى أية حال، قضى أتتلا سنة ٤٤٢م في تجميع قواته، ثم قام بعد ذلك بإرسال العديد من الخطابات إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، والتي كانت تدور حول قضايا اللاجئين والجزية المفترض دفعها له. كما حذر أتتلا الإمبراطور بعدم استغلال حالة الحرب الدائرة بين الجانبين في تعطيل ما اتفقوا عليه، طبقاً لمعاهدة مارجومس، وغير ذلك، والذي يجب تنفيذه بأقصى سرعة. أما فيما يخص الجزية وما قد يطراً عليها من تغيير في المستقبل فيجب على البيزنطيين إرسال سفرائهم للتباحث معه في هذا الصدد. وأضاف أتتلا في خطباته أيضاً أن الإمبراطور إذا حاول المراوغة أو الاستعداد للحرب، فإنه (أتتلا) لن يتمكن من كبح جماح قواته مدة طويلة^(٥١٧).

أما على الجانب البيزنطي، فعندما عرض ما جاء في خطابات أتتلا في البلاط الإمبراطوري، فإن الإمبراطور ورجال بلاطه أعلنوا أنهم لن يسلموا نهائياً أي لاجئ هرب إليهم، وإذا اقتضى الأمر الاحتكام إلى الحرب فإنهم لا يمانعون. ولكنهم في نفس الوقت عقدوا النية على إرسال السفراء إلى أتتلا وذلك بهدف تقريب وجهات النظر حول القضايا محل الخلاف^(٥١٨). هذا ويذكر بعض

(^{٥١٦}) Priscus: op-cit., vol. II, p. 235. cf. also, Gordan C.D.: op-cit., pp. 69-70.

(^{٥١٧}) Priscus: op-cit., vol. II., p. 235. cf. also, Thompson: op-cit., Gordan: op-cit., 65

(^{٥١٨}) Priscus: op-cit., vol. II, p. 235.

المؤرخين أن عدم موافقة البلاط الإمبراطوري على عودة اللاجئين إلى أتيليا يعود إلى أنهم كانوا مجندين في القوات الإمبراطورية^(٥١٩). وبالتأكيد كان الإمبراطور يعلق عليهم أملاً كبيراً في مقاومة الهون.

ومن الواضح أن الإمبراطور ثيودوميوس الثاني ورجال بلاطه لم يستوعبوا الدرس الذي وقع سنة ٤٤١م، ولم يدركوا، أيضاً، ما الذي تعنيه الحرب مع القبائل البدوية، لا سيما الهون. ولكنهم سرعان ما عرفوا ذلك^(٥٢٠).

والحقيقة أن الإمبراطور كان يعلق أملاً كبيراً على قواته التي عادت من صقلية ومن على الجبهة الفارسية، وعلى الرغم من أن الرجل كان يدرك أنها منهكة، فإن كرامته وكرامة الإمبراطورية دفعته، قبل رجال بلاطه، إلى قبول الحرب، ورفض إملاءات أتيليا التي أصبحت ممثلة.

وعلى كل، "عندما اطلع أتيليا على وجهات النظر الرومانية (البيزنطية)"، كما يقول المؤرخ بريسكوس، "تسم رد فعله بالغضب الشديد" ومن ثم فقد عبر بقواته، وعلى وجه السرعة، نهر الدانوب، وراح يهاجم الأراضي البيزنطية عاملاً فيها النهب والسلب، ولجح في الاستيلاء على بعض الحصون، كما استولى آنذاك على مدينة راتياريا Ratiaria^(٥٢١)، إحدى أكبر وأكثر المدن البيزنطية من حيث التعداد السكاني^(٥٢٢)، ولقد تم تدميرها تماماً، وحمل سكانها كأقنان إلى المستعمرات الهوتية^(٥٢٣).

(٥١٩) Thompson: op-cit., p, 91.

(٥٢٠) Loc.cit.

(٥٢١) راتياريا Ratiaria: تقع على الضفة اليمنى لنهر الدانوب في موليزيا العليا وهي عاصمة إقليم Dacia Ripensis، كانت قاعدة أسطول نهر الدانوب، وكان يوجد بها أحد مصانع السلاح في الدولة.

أنظر: Thompson: op-cit., pp. 91- 92.

(٥٢٢) Priscus: op-cit., vol. II, p. 235: Theophanes Confessor: op-cit., p. 159.

(٥٢٣) Thomson: op-cit., p. 92.

ويبدو أن الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني قد أدرك خطورة الموقف ولذلك بحث بسفارة إلى أثينا، تولى رئاستها سيناتور Senator، وكان طريقها هو البحر الأسود⁽⁵²⁴⁾. وعلى كل ينتاب الغموض هذه السفارة، فلا نعرف من الذي قام بها، ولا هل وصلت إلى أثينا أم لا، وإذا كانت قد وصلت فلا نعرف ما الذي دار بينه وبين رجالها.

وعلى أية حال، واصل أثينا تقدمه داخل الأراضي البيزنطية، فاندفع جنوبًا عن طريق وادي نهر مارجوس Margus (مورافا Morava)، حيث وصل بقواته إلى مدينة نيش Nis (نيسوس Naissus)⁽⁵²⁵⁾. والجدير بالذكر، أن احتلال هذه المدينة، المحصنة العامرة بالسكان، كان سهلاً بالنسبة إلى الهون، وذلك لأن سكانها لم يجروا على الخروج لقتالهم. ولكن على الرغم من ذلك فإن الاستيلاء على المدينة قد طال أمده بعض الوقت بسبب مقاومة سكانها من الداخل، بالرغم من آلات الحصار الكثيرة التي جلبها الهون أمام أسوار المدينة⁽⁵²⁶⁾. وفي غضون ذلك، تحول أثينا بقواته ناحية الجنوب الشرقي في أعالي نهر نيتشافا Nischava، وتمر مدينة مارديكا Sardica، صوفيا الحديثة، التي تعد من أهم مدن البلقان. وليس هناك أدنى شك في أن هذه المدينة قد تركت قاعًا صفيصًا⁽⁵²⁷⁾. وكانت النتيجة أن الطريق إلى مدينة القسطنطينية أصبح مفتوحًا وخاليًا من أية عوائق كبيرة، وعند ذلك تقدم الهون أسفل الطريق

(524) Priscus: op-cit, vol. II, p. 237.

(525) نيش Nis (نيسوس Naissus): تقع على الضفة اليمنى لنهر Nischava في داكيا. لقد كانت مركزًا لصناعة الأسلحة الإمبراطورية. وهي مسقط رأس الإمبراطور قنسطنطين العظيم (305 - 337م).

أنظر: Thompson: op-cit., p. 92.

(526) وللمزيد من التفاصيل عن حصار مدينة نيسوس وكيفية الاستيلاء عليها. أنظر:

Priscus: op-cit., vol. II, p, 231. cf. also, Jordan C.D.: op-cit., 63- 65;

George Vernadisky: op-cit., p 142.

(527) Theophanes Confessor: op-cit., p. 159. cf. also, George Vernadisky: op-cit., p. 141; Thompson: op-cit., p. 92.

الحربي السريع الذي يمر بطول وادي هبروس Hebrus (ماريتزا Maritza)^(٥٢٨). وهناك تمكنوا من الاستيلاء على مدينة فيليبوليس Philippopolis^(٥٢٩). وعند ذلك فإن الدفاع عن الأقاليم الأوروبية أصبح مستحيلًا، وذلك لأنه عند هذه المدينة فإن الطريق الهام يجري من الشمال إلى الجنوب، من لوسكوس Oescus على نهر دانوب شمالاً إلى البحر الإيجسي، عابراً الطريق السريع القديم الذي يمر من البسفور إلى الغرب^(٥٣٠). وفي غضون ذلك، تمكن أتيلأ أوتنا من الاستيلاء على مدينة أركاديوبوليس Arcadiopolis، ولقد جمع الهون كميات لا حصر لها من الذهب والفضة، وأعداداً كبيرة من الأسرى^(٥٣١).

ويذكر المؤرخ الحولي ثيوفانيز^(٥٣٢) أن مدينتي أدريانوبل Adrianople (أدرنة)، الواقعة في جنوب بلاد اليونان، وهيراكليا Herakleia (كانت تسمى من قبل بيرينثوس Perinthos)؛ لم يستول عليهما أتيلأ. ويبدو أن ذلك، في نظر الباحث، يعود إلى أن أتيلأ كان يوجل الاستيلاء عليهما إلى حين. وعلى كل، إن القائد الهوني، في غضون ذلك، كان قد استولى على حوالي سبعين مدينة من مدن الإمبراطورية البيزنطية^(٥٣٣).

وفي نهاية المطاف، تقابلت القوات الهونية بقيادة أتيلأ مع القوات البيزنطية بقيادة أسبار، وأريوبيندوس Areobindus وأرجيسكلوس Arnegisclus، تحت أسوار مدينة مارسيانوبوليس Marcianopolis، في السهول الواقعة بين الدانوب وجبل هاموس Haemus. ويومها هزمت القوات

(528) Thompson: op-cit., p. 92.

(529) Theophanes Confessor: op-cit., p. 159.

(530) Thompson: op-cit., p. 92.

(531) Priscus: op-cit., vol. II, p. 241.; Theophanes Confessor: op-cit., p. 159.

(532) The Chronicle, p. 159.

(533) Gibbon: op-cit., Chapter XXXIV, Net, p. 6.

البيزنطية في المعارك التي قادتها ضد أثيلا^(٥٣٤). الأمر الذي أدى إلى لوتدادها تدريجياً، وسط حالة من الفوضى، إلى خيرسون Chersonese في ترافيا^(٥٣٥).

أما بخصوص أثيلا فقد تقدم، بعد هزيمة القوات البيزنطية، إلى كلا البحرين، بحر بونتوس Pontos (البحر الأسود)، والبحر (البسفور) الذي يتدفق على مقربة من مدينة غاليلبولي Galilipoli وسستوس Sestos، جنوب مدينة القسطنطينية ومن مكان غير محدد شمال العاصمة، وصل أثيلا بقواته إلى قلعة أثيراس Athyras، التي تقرب بدرجة كبيرة من أسوارها، وتمكن من احتلالها^(٥٣٦).

ولكن لماذا لم يهاجم أثيلا مدينة القسطنطينية نفسها؟.. بدون شك أن الرجل لم يكن يرى لدى قواته البدوية المسلحة تسليحاً بديلاً القدرة على احتلال مدينة القسطنطينية، أو حتى مهاجمتها، لا سيما بعد التحصينات الجديدة التي كانت قد أدخلت على أسوارها^(٥٣٧).

والجدير بالذكر، أن أثيلا بدلاً من مهاجمة مدينة القسطنطينية، حول أعنة خيوله تجاه الباقي من القوات البيزنطية في خيرسون، وفي المعركة الأخيرة بين القوتين، هزمت القوات البيزنطية هزيمة منوية^(٥٣٨). وكسب أثيلا لقبه "سوط الله" The Scourge of God، أي العقاب الذي سلطه الله على الناس بسبب ذنوبهم^(٥٣٩).

⁽⁵³⁴⁾ Theophanes Confessor: op-cit., p. 159. cf. also, Gibbon: op-cit., Chapter XXXIV, Net, p. 5.

⁽⁵³⁵⁾ Gibbon: op-cit., Chapter XXXIV, Net, p. 6.

⁽⁵³⁶⁾ Theophanes Confessor: op-cit., p. 159. cf. also, Thompson: op-cit., p. 93.

⁽⁵³⁷⁾ Thompson: The Huns, p. 93.

⁽⁵³⁸⁾ Thompson: op-cit., p. 93; Bury J.R.: op-cit., vol. 1, 275.

⁽⁵³⁹⁾ Robert S.Hoyt and other: op-cit., p. 67.

والجدير بالذكر، أن النجاح العسكري الوحيد الذي حققته الإمبراطورية البيزنطية في مجال صراعها مع الهون لا يعود إلى الجيش النظامي ولكنه يعود إلى سكان مدينة أزيמוש Aseimus⁽⁵⁴⁰⁾.

وفي ذلك تقول الأحداث، إن فرقة كبيرة من الجيش الهوني، انفصلت عن الجيش الرئيسي بهدف غزو مؤيزيا السفلي. وقبل اقترابها من مدينة أزيמוש كانت قد حملت كميات كبيرة من النهب وأعدادًا لا تحصى من الأسرى. هذا في الوقت الذي عقد فيه سكان المدينة النية على الدفاع عن مدينتهم. وعرفوا بدقة عن طريق الجواسيس تحركات الفرقة الهونية، فقاموا بالهجوم عليها، مباغتة. وعلى الرغم من أن الهون تفوقوا في العدد على أهالي المدينة، فإن الأهالي تمكنوا من الاستيلاء على ما كان معهم من النهب والأسرى، وقتلوا أعدادًا كثيرة منهم⁽⁵⁴¹⁾. ويعلق أحد المؤرخين على هذا الانتصار موضحًا أنه لنتصار محليًا، يخص أهالي المدينة أنفسهم⁽⁵⁴²⁾.

ولواقع، أنه بعد الهزيمة القاسية التي لحقت بالقولت البيزنطية في خيرسون، لم يكن أمام الإمبراطور ثيودومسيوس الثاني من خيار سوى طلب السلام من أتيل. وهذا ما عبر عنه بعض المؤرخين بقولهم: «تور انتهاء الحرب بين الهون والبيزنطيين والتي وقعت في خيرمون أجرى لثانوليوس Anatolius المفاوضات مع أتيل»⁽⁵⁴³⁾. والحقيقة أن ثيودومسيوس كان مضطرًا إلى ذلك⁽⁵⁴⁴⁾.

ولقد وافق أتيل على إقامة السلام مع بيزنطة بالشروط الآتية:

(540) أزيמוש Aseimus: مدينة تقع على الحد بين Oescus و Adnovas، حيث يفرض نهر أزيמוש (أوسما Osna الحديث) في نهر الدانوب على مسافة تسع أميال شرق الأوتوس (Vid) Utus. أنظر:

Thompson: op-cit., p. 93.

(541) Priscus: op-cit., p. 93.

(542) Thompson: op-cit., p. 94.

(543) Priscus: op-cit., vol. II, p. 237.

(544) Theophanes Confessor: op-cit., p. 159.

أولاً: أن يتم تسليم جميع اللاجئين إلى الهون فوراً.

ثانياً: أن يدفع الرومان (البيزنطيون) مبلغ ٦٠٠ ألف جنيه من الذهب فوراً، وهي المتبقية من الجزية المفروضة عليهم، وأيضاً مقابل ارتداده عن الأراضي البيزنطية.

ثالثاً: تدفع بيزنطة ٢١٠٠ جنيه من الذهب سنوياً كجزية، مقابل المحافظة على السلام.

رابعاً: بالنسبة لأي سجين روماني استطاع الفرار إلى بلاده دون دفع الفدية يجب أن يدفع اثنتي عشرة قطعة من الذهب.

خامساً: أن يلتزم الرومان بعدم إيواء أي بريي يهرب من أتيليا ويلجأ إليهم^(٥٤٥).

وفي ٢٧ أغسطس، سنة ٤٤٣م وقع الإمبراطور ثيودوسيوس على اتفاقية سلامه مع الهون^(٥٤٦).

وتعليقاً على شروط الاتفاقية يقول بريسكوس^(٥٤٧) إن الرومان قد تظاهروا بقبول هذه الشروط طواعية وعن طيب خاطر، ولكنهم في الحقيقة قبلوها بسبب الرعب الشديد الذي ملك عليهم قلوبهم. لقد أُجبروا على قبول الأوامر البربرية بكل سرور، بالرغم من قسوتها، كدليل على سعيهم للسلام فدفعوا ما تبقى عليهم من الجزية المفروضة، والتي كانت حملاً ثقيلاً على ثرواتهم وعلى خزائنة الإمبراطورية، تلك الثروات التي تم تبديدها، ليس على ضروريات الحياة، بل على وسائل الترف، التي لا يمكن أن يمارسها إنسان

(^{٥٤٥}) Priscus: op-cit., vol. II, p. 237; Theophanes Confessor: op-cit., p. 159.

(^{٥٤٦}) Thompson: op-cit., p. 94.

(^{٥٤٧}) Fragmentary Classicising Historian of The Later Roman Empire, vol. II, p. 237.

راجح العقل لا يهتم بالأمر العسكرية في الأوقات التي تزدهر فيها أحوال البلاد.

إن مثل هذه الجزية الفاضحة، التي كانت تسمى ذهب الهون، كانت لا بد من أن تؤدي إلى زيادة قوة أتيليا وغطرسته، كما أنها جعلته يحتقر لأقصى درجة، الإمبراطور ثيودومسيوس الثاني ووزيره خريصافوس⁽⁵⁴⁸⁾.

ولسداد الجزية والأموال المستحقة الدفع لأتيليا، ألزم الإمبراطور ثيودومسيوس الثاني دافعي الضرائب على التعاون في دفع هذه الأموال. بما في ذلك هؤلاء الذين كانوا قد منحوا مهلة لسداد ضرائبهم سواء نتيجة لقرار قضائي أو لمنحة إمبراطورية. كما أن أعضاء مجلس الشيوخ أسهموا بقدر معين من الذهب يتوافق مع مرتباتهم. ولقد كان لهذه الضريبة أثر بالغ على أصحاب المناصب العليا، لأنهم عندما وجدوا صعوبة في دفع هذه الأموال اضطروا إلى بيع مجوهرات زوجاتهم وأثاث منازلهم في الأسواق. والحقيقة أن نكبة الضرائب التي فرضها ثيودومسيوس على شعبه، دفعت العديد منهم إما إلى الانتحار عن طريق الموت جوعاً، أو شنقاً⁽⁵⁴⁹⁾.

ولم يكف يكتف بقتل البيزنطيين أنفاسهم من الحرب، حتى وجدوا سكوتا Scotta - أحد ضباط أتيليا البارزين - في مدينة القسطنطينية، جاء لتسلم الجزية المطلوبة واللاجئين. وبالفعل تسلم الجزية، ولكنه لم يتسلم جميع اللاجئين، وذلك لأن الغالبية العظمى منهم تم قتلهم على يد البيزنطيين حيث أنهم عبروا عن عدم رغبتهم في العودة إلى الأراضي الهونية في شمال نهر الدانوب. ومن ضمن هؤلاء اللاجئين كان هناك بعض الأفراد الذين ينتمون للعائلة الملكية، وكانوا يرفضون الانصياع لأوامر أتيليا، ومن ثم لجأوا إلى الأراضي البيزنطية⁽⁵⁵⁰⁾. ويبدو أن سكوتا لم يعترض على ذلك، فالمهم هو التخلص منهم، سواء بيد أتيليا أو الإمبراطور.

(548) Young: op-cit., p. 88.

(549) Priscus: op-cit., vol. II, pp. 237- 239. cf. also, Gordan: op.cit., p. 66.

(550) Priscus: op-cit., vol. II, pp. 239-241.

ولكن ما أشارت إليه المصادر التاريخية، هو إعلان الضابط مكوته، بأنه يحمل أمراً من قبل سيده، بإضافة بند إلى بنود المعاهدة وهذا البند هو أنه على أهالي مدينة أزيמוש تسليم جميع الأسرى الرومان والبرابرة الموجودين لديهم. وخلافاً لذلك، فإن أتيليا لن يسحب بقواته من الأراضي الرومانية، كما أنه لن يصدق على معاهدة السلام مع النييزنطيين. فإما أن يتم تسليم الأسرى الرومان أو فديتهم، كذلك تسليم أسرى للبرابرة⁽⁵⁵¹⁾. ولم يستطيع السفير أناتوليوس المعارضة، كما أن ثيودولوس Theodulus، قائد القوات الإمبراطورية في ثراقيا، والمساعد إلى أناتوليوس، امتثل هو الآخر للأمر الواقع لأن أتيليا كان واثقاً تماماً في قواته ونفسه، كما أنه كان مستعداً أن يعلن الحرب من جديد على بيزنطة. وعلى الجانب الآخر، لتحنى سفراء ثيودوسيوس أمام العاصفة بسبب الكوارث التي حدثت في الماضي على يد أتيليا⁽⁵⁵²⁾.

وعلى الفور بحث أناتوليوس والقائد ثيودولوس بالخطابات إلى أهالي مدينة أزيמוש يطلبون منهم إما تسليم الأسرى الرومان الموجودين لديهم وإما دفع اثنتي عشرة قطعة من الذهب عن كل أسير، كذلك إطلاق سراح أسرى الهون. وجاءت الإجابة قاطعة من قبل الأهالي بأنهم أطلقوا سراح جميع الأسرى الرومان الموجودين لديهم، وهؤلاء عادوا إلى ذويهم وليس في الإمكان عودتهم مرة ثانية. أما بخصوص أسرى الهون فقد قتلوا جميعاً عدا شخصين احتفظوا بهما، لمبادلتهما ببعض للصبية الموجودين لدى الهون، "وإذا لم يسلم الهون هؤلاء الصبية"، كما قالوا، "فإنهم طبقاً لقانون الحرب لن يسلموا أسراهم"⁽⁵⁵³⁾.

وعند ذلك اعترف سفراء الإمبراطور ثيودوسيوس لأتيليا أنهم لا يمتلكون أي سلطة على سكان مدينة أزيמוש، اللذين أكنوا بشجاعة استقلالهم - الأمر الذي دفع أتيليا إلى التنازل والتفاوض مع سكان المدينة⁽⁵⁵⁴⁾.

(551) Ibid., p. 241. cf. also, Thompson: op-cit., pp.97-96.

(552) Priscus: op-cit., vol. II, p. 241. cf. also, Gordan, op-cit., p. 67.

(553) Priscus: op-cit., vol. II, p. 241. cf. also, Thompson: op-cit., pp. 95.

(554) Gibbon: op-cit., Chapter XXXIV, Net, p. 9.

ولقد جرى للبحث من قبل أنيلا وقادة الرومان عن الأطفال، وعندما لم يتم العثور عليهم أقسم الهون أنهم لا يوجد لديهم لأطفال أسرى فتم على الفور إطلاق سراح أسرى الهون الموجودين لدى أهالي أريموس، كما أقسم الأهالي، أيضاً، بأن جميع الأسرى الرومان تم إطلاق سراحهم، ولا يوجد أسير واحد في المدينة⁽⁵⁵⁵⁾. وسواءً كان الأهالي صادقين في أيمانهم أو حلفوا كذباً، كما قال بعض المؤرخين - لإنقاذ بني جنسهم⁽⁵⁵⁶⁾ فإن أنيلا كان راضياً بما آلت إليه الأمور، هذا من ناحية، كما أن صمود الأهالي ضد قوات أنيلا، ثم تفاوضهم مع أنيلا نفسه، بعد ذلك، وجهاً لوجه كان لطمه كبرى للإمبراطور ثيودوسيوس الثاني من ناحية أخرى⁽⁵⁵⁷⁾.

ويرى الباحث أن مقاومة مدينة أريموس إلى الجيوش الهونية، ثم موقف أهلها القوي ضد أنيلا كان بمثابة الضوء الموجود في نهاية النفق المظلم، لأننا على الأقل وجدنا ما يمكن أن نسميه مقاومة بيزنطية، إذا جاز لنا أن نقول ذلك، علماً بأنها كانت مقاومة بعيدة عن الجيش النظامي.

وعلى أية حال، ساد السلام بين الإمبراطورية البيزنطية والهون في الفترة ما بين عامي ٤٤٣ و ٤٤٧م، ولكنه كان سلاماً قلقاً، وذلك لأنه بعد اتفاقية السلام التي أبرمت سنة ٤٤٣م، بعث أنيلا السفراء مرة ثانية إلى القسطنطينية مطالباً بتسليم اللاجئين، ولقد استقبل السفراء استقبالاً حسناً وأعدت عليهم الهدايا القيمة، ويومها أخبرهم البيزنطيون أنهم لم يعد يوجد لديهم أي لاجئ. وبفس الطلب بعث أنيلا سفارة ثالثة ثم رابعة⁽⁵⁵⁸⁾.

والحقيقة أن أنيلا كان يدرك تماماً مدى حرص البيزنطيين على المحافظة على السلام، وعدم كسره، ولذلك تابع إرسال مبعوثيه محاولاً اكتشاف

(555) Priscus: op-cit., vol. II, p. 241. cf. also, Gordan: op.cit., p. 68.

(556) Gordan: op-cit., p. 68.

(557) Gibbon: op- cit., Chapter XXXIV, Net, p. 9.

(558) Priscus: op-cit., vol. II, pp. 241-243. cf. also, Thomson: op-cit., p. 95; Gordan: op-cil., p. 68.

ما يمكن أن يستجد من أعداء، ومحاولاً خلق أسباب جديدة للعدوان كذلك حصول السفراء على الهدايا الثمينة من حكومة الإمبراطورية⁽⁵⁵⁹⁾.

أما بالنسبة إلى البيزنطيين فمن جانبهم كانوا حريصين في التعامل مع سفراء أتتلا، "ومهتمين بكل محاولاته وادعاءاته واستجابوا لكل مطالبة" وذلك لأنهم لم يخافوا فقط من اندلاع الحرب معه، ولكنهم كانوا يخافون الفرس السذي كانوا يستعدون آنذاك لمهاجمة الإمبراطورية. كما كان هناك رعب أيضاً من اللوندال، والأيزوريين Isaurians، والعرب، واتحاد القبائل الأثيوبية Ethiopian. ومن ثم فقد خضع الرومان (البيزنطيون) لمطالب أتتلا بهدف تنظيم أنفسهم لمواجهة الآخرين عن طريق جمع القوات وتعيين القادة الحربيين⁽⁵⁶⁰⁾. ومن هذا المنطلق فإننا يجب علينا أن ندرك أن النجاحات العسكرية لأتتلا ضد بيزنطة تعود إلى أن قوات الإمبراطورية كانت تحارب في جبهات عدة ولذلك كانت منهكة، ولم تكن متمركزة في جبهة واحدة.

ولأن الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني كان قلبه معلقاً دائماً بالحد الشمالي، فقد اتخذ من الإجراءات العسكرية ما يمكن أن يضمن سلامة هذا الحد. ففي ١٢ سبتمبر سنة ٤٤٣، وخلال الشهور الخيرة من القتال، تم إعطاء أوامر صارمة إلى نوموس Nomus، سيد للموظفين، وأحد وزراء الإمبراطور الذين يثق فيهم، بتحصين الحد، المعرض للخطر، بطول نهر الدانوب، لا سيما الأماكن التي عبرت منها الجيوش الهوتية في سنة ٤٤١ و ٤٤٣، وبأن يقوم بإصلاح القلاع الحربية الموجودة هناك، وأن يسلح جميع الفرق العسكرية المتمركزة في هذه المناطق، كي تكون على أهبة الاستعداد. وبالفعل أتم نوموس سنة ٤٤٤م ما أمر به الإمبراطور. ولذلك، بسبب رضاه عنه، عينة قنصلاً سنة ٤٤٥م⁽⁵⁶¹⁾.

وعلى أية حال، فيما يخص الهون، لم نذكر كتب التاريخ المتاحة لنا لا سيما بريسكوس للمعاصر للأحداث، أية معلومات، عن كيفية عودتهم إلى

(559) Priscus: op-cit., vol. II, 243.

(560) Loc. cit.

(561) Thompson: op-cit., p. 96.

مستعمراتهم بعد غزو البلقان، ولا متى عادوا. ولعل ذلك يعود، كما قال بعض المؤرخين، إلى ضياع قسم كبيراً من مؤرخ برينكس⁽⁵⁶²⁾.

وفي غضون ذلك، شيدت الانقسامات الداخلية في المجتمع الهولن وكانت نتيجتها قتل بليدا على يد أخيه أتيل. الأمر الذي أدى إلى انفراد الأخير بحكم الهون حتى وفاته في سنة ٤٥٣م⁽⁵⁶³⁾. ونقد تباينت آراء المؤرخين حول العلام الذي تخلص فيه أتيل من بليدا. فبعض المؤرخين جعل هذه الحادثة في سنة ٤٤٤م⁽⁵⁶⁴⁾. والبعض الآخر جعلها في سنة ٤٤٥م⁽⁵⁶⁵⁾. وتباين الآراء لم يأت من فراغ بل يعود لندوة المصادر. وهذا ما نراه في قول بعض المؤرخين: لم تتبق شهادة معاصرة واحدة تساعد على الادعاء بأن أتيل هو الذي قتل بليدا⁽⁵⁶⁶⁾. ويبقى الأمر معلقاً في محكمة التاريخ حول قضية قتل بليدا.

وقضى أتيل السنوات الأولى من حكمه في تثبيت دعائم ملكه، وتوسيع قبضته على جميع القبائل الموجودة في سكيثيا، بما في ذلك قبائل الهون. وهذا، ويقال، إن تعداد قواته بلغ حوالي ٥٠٠,٠٠٠ ألف جندي. وبعد ذلك فكر في الالتفات إلى الإمبراطورية البيزنطية⁽⁵⁶⁷⁾.

وفي ذلك تقول الأحداث، إن الهون قاموا بغزو أراضي الإمبراطورية البيزنطية في سنة ٤٤٧م⁽⁵⁶⁸⁾. والحقيقة أنه إذا كانت مصادرنا التاريخية لم تذكر

(562) Ibid., p. 97.

(563) Jordan: op-cit., p. 43; Theophanes Confessor: op-cit., p. 159.

(564) Vernadsky G.: op-cit., pp. 141- 142; Bury. J.B.: op-cit., p. 272.

William G. Sinnigen: op-cit., p. 458; Matthew Bunson: op-cit., p. 42, 200.

(565) Thompson: op-cit., p. 97; Thomas Hodgkin: op-cit., p. 51; Previte Orton: op-cit., p. 93; Young: op-cit., p. 88.

(566) Norwish: op-cit., p. 153.

(567) Jordanes: op-cit., p. 43.

(568) Jordan: op-cit., p. 70; Young: op-cit., p. 98; Matthew Bunson: op-cit., p. 42.

لنا سببًا واحدًا بخصوص، لماذا فعل الهون ذلك، فإنه يجب علينا أن ندرك أن سبب ذلك هو اللاجئون، الذين كانوا يشكلون سببًا أساسيًا لقيام أتيلابغزو الأراضي البيزنطية. كما يذكر بعض المؤرخين أن النهب والسلب أصبحا من ضروريات الحياة الاجتماعية لدى الهون في عهد أتيلاب^(٥٦٩).

وعلى أية حال، لقد كان الهجوم الهوني مخططًا على أعلى درجة من الدقة. ولم يكن منفذًا بواسطة الهون فقط، بل شاركت فيه كتائب من الأجناس التي كانت خاضعة لهم مثل الجيبيدي والقوط وغيرها من الأجناس الأخرى وكان الهجوم موجهاً ضد أقاليم سكيثيا العليا ومؤزيا، التي لم تعان كثيرًا خلال الحملات السابقة، ومن ثم فقد تم تدميرها تمامًا^(٥٧٠).

ووسط هذه الأعمال العسكرية المندرة بالسوء للإمبراطورية البيزنطية، وقعت كارثة كبرى، هي الأولى من نوعها بالنسبة إلى الرومان متلاسل من الزلازل ضربت الإمبراطورية في ٢٦ يناير سنة ٤٤٧م. لقد كانت في اعتقاد إيفاجاريوس Evagrius، زلازل فوق العادة، تمثلت نتيجتها في هدم عدد كبير من أبراج مدينة القسطنطينية، بلغت حوالي ٥٧ برجًا، كما تهدمت أسوار أنثيميوس الضخمة. لقد كان الكثير من السكان مطمورين تحت أنقاض المباني التي تهدمت في المدينة. كما أن الكثير من القرى ضاعت معالمها، لأن الأرض تشققت وابتلعتها. كوارث في البر والبحر لا حصر لها^(٥٧١). وإلى جانب نكبة الزلازل التي ضربت المدينة، انتشر فيها - حالًا - وباء الطاعون الذي أودى بحياة الآلاف من سكانها^(٥٧٢).

⁽⁵⁶⁹⁾ Thompson: op-cit., p. 98.

⁽⁵⁷⁰⁾ Thompson: op-cit., p. 99; Bury J.B.: op-cit., p. 275.

⁽⁵⁷¹⁾ والمزيد عن أضرار الزلازل في الأراضي البيزنطية أنظر:

Evagrius Scholasticus: op-cit., pp. 44-45. cf. also, Thompson: op-cit., 99-100; Millington V.: op-cit., p.

⁽⁵⁷²⁾ Thompson: op-cit., p. 100.

ولكن الأكمة قوبلت بنشاط كبير من قبل فلافيوس قنسطنطيوس Flavius Constantius، الوالي اللبريتوري، فتحت إدارته عادت الأسوار في أقل من ثلاثة شهور بعد تدهمها. ولكن إلى جانب إصلاح الأسوار المهدمة، انتهز قنسطنطيوس الفرص ليحول المدينة إلى قلعة أقوى بكثير مما كانت عليه في أيام أنتيميوس. وذلك عندما بنى سوراً آخر، بخندق عريض وعميق أمامه، وهكذا، وضعت مدينة القسطنطينية خلف ثلاثة خطوط دفاعية محمية بحوالي ١٩٢ برجاً، هذا في الوقت الذي كانت فيه الأرض بين السورين، وبين السور الخارجي والخندق، مجهزة للحرب بأعداد لا حصر لها من القوات. إن هذه التحصينات ارتفعت طبقة فوق طبقة واتحدت لتشكل حاجزاً سمكه حوالي ١٩٠-٢٧٠ قدم، وارتفاع يزيد عن ١٠٠ قدم^(٥٧٣)، والحقيقة أن للربع من الهون هو الذي أدى إلى إعادة بناء الأسوار في فترة وجيزة^(٥٧٤).

أما فيما يخص الهون، فبالقرب من نهر أتوس في داكيا- اثمتبوكوا بقيادة أتيليا، مع القوات البيزنطية بقيادة القائد الحظيم ارنجيسكلوس Arnegisclus، الجرمانى، خارج أسوار مدينة مارسيانوبوليس Marcianopolis. وفي هذه المعركة قاتلت القوات البيزنطية قتالاً عنيفاً، وكبدت الهون خسائره فادحة في الأرواح، ولكن النصر كان لحليف الهون، وقتل ارنجيسكلوس يومها، كما تم الاستيلاء على مدينة مارسيانوبوليس، عاصمة إقليم موزيا، وأكبر مدين في تراقيا. ولقد ظلت هذه المدينة مهجورة حتى أعاد الإمبراطور جستنيان بناءها بعد مائة عام^(٥٧٥).

ويذكر بعض المؤرخين أن استيلاء أتيليا على مدينة مارسيانوبوليس أدى إلى تهديد القسطنطينية نفسها؛ التي أصبح الهون قاب قوسين أو أدنى منها^(٥٧٦).

(⁵⁷³) Millingin V.: op-cit., p. 46; Thompson: op-cit., p. 100.

(⁵⁷⁶) Millingin V.: op-cit., p. 47.

(⁵⁷⁵) Thompson: op-cit., p. 101; Treadgold W.: op-cit., p. 95; Matthew Bunson: op-cit., p. 42.

(⁵⁷⁶) Matthew Bunson: op-cit., p. 42.

ورغم ذلك لم يغامر أتيلا بالتوجه نحو المدينة، ولكن لماذا؟، وذلك لأن أسوارها كانت قد تم إعادة بنائها كاملة، ومن ثم فإن أسلحة الهون البدائية ستسرف تقف عاجزة ضدها^(٥٧٧).

ولكن إذا كان للهون لم يتوجهوا نحو مدينة القسطنطينية، فقد دمروا إقليم البلقان بشدة. حيث عانت ألبانيا، تراقيا، داكيا، مؤريزيا، سكيثيا^(٥٧٨). وبعد تخريب شبه الجزيرة البلقان، ولأنها لم يعد يوجد بها ما ينهبه الهون، فقد توجهوا مباشرة ناحية الجنوب داخل بلاد اليونان، حيث توقفوا عند ثرموبلاي Thermopylae. ولكن، كما يذكر بعض المؤرخين، لا توجد هناك تفاصيل عن هذا الغزو^(٥٧٩).

ومهما يكن من أمر، فإن بعض أحداث هذا الغزو، قد تم تسجيلها إلى حد ما، بواسطة كالينيكوس Callinicus، نقلاً عن القديس هيباتئوس St. Hypatius، الذي كان موجوداً في تراقيا، والذي قال: 'إن أمة الهون البربرية التي كانت في تراقيا استولت على ما يقرب من مائة مدينة، وجاءت مدينة القسطنطينية، تقريباً، في دائرة الخطر، وهرب معظم رجالها... وكان هناك الحديد من القتلى وسفك للدماء، لدرجة أن الرؤوس لا يمكن عدها. لقد استولوا على الكنائس والأبيرة وذبحوا الرهبان والراهبات بأعداد لا حصر لها'^(٥٨٠).

وعلى أية حال، يتضح لنا مما سبق أن المقاومة البيزنطية للهون انهارت بعد موقعة مارسيانو بوليس، الأمر الذي أدى إلى إطلاق يد الهون في الأراضي البيزنطية. ويبدو أن الهون من جانبهم، وعندما أصبحوا مثقلين بالتهب والسلب، هادروا أراضي الإمبراطورية طواعية. وهذا ما وجدناه في قول بعض

(⁵⁷⁷) Thompson: op-cit., p. 101.

(⁵⁷⁸) Jordan: op-cit., p. 45.

(⁵⁷⁹) Thompson: op-cit., p. 102; Norwich: op-cit., p. 153.

(⁵⁸⁰) Thompson: op-cit., p. 102; Bury J.B.: op-cit., p. 275; Young: op-cit., p. 88.

المؤرخين؛ وعندئذ ارتد الهون مرة ثانية إلى الدانوب، محملين بالأسرى
وللمنهويان^(٥٨١).

والجدير بالذكر، أن الحملة العسكرية التي قام بها أتيليا على الأراضي
البيزنطية سنة ٤٤٧م تعد آخر الحملات على بيزنطة. ولكن علاقات الهون
بيزنطة لم تكن قد انتهت بعد.

فلم يكد البيزنطيون يفيقوا من حملة أتيليا عليهم سنة ٤٤٧م حتى
وصلتهم سفارة أتيليا في، أواخر سنة ٤٤٨م برئاسة إيدكو Edeco الهوني
ولورستس Orestes^(٥٨٧). ويومها حملت خطابات أتيليا إلى الإمبراطور
ثيودوسيوس الثاني عتابًا شديدًا للبيزنطيين بسبب عدم التزامهم بتسليم اللاجئين.
وعلى سبيل الانتقام منهم هدد بالعودة إلى مهاجمتهم ما لم يقوموا بالآتي:

أولاً: تسليم اللاجئين فوراً.

ثانياً: توقف البيزنطيين عن استصلاح الأراضي التي استولى عليها الهون أثناء
الحروب معهم.

ثالثاً: تنازل الإمبراطور عن المنطقة الواسعة الممتدة بطول للشواطئ الجنوبية
لنهر الدانوب، من سينجيدوم Singidum شرقاً، بداية بانونيا
Pannonia حتى نوبا Nova في ترافيا. وهذه المنطقة تكون مساحتها
مساوية لرحلة رجل على قدميه لمدة خمسة أيام عرضاً ويجب أن تكون
خالية من السكان.

رابعاً: أن تكون مدينة نيسوس (نيس) الحد الفاصل بين الهون وبيزنطة.

Young: op-cit., p. 88. (٥٨١)

(٥٨٢) أورستس Orestes: روماني الأصل كان يعيش في بانونيا الواقعة على نهر سافا.
Priscus: op-cit., vol. II, p. 243. وهو والد الإمبراطور رومولوس أوجستوس

Romulus Augustus، آخر لباطرة الإمبراطورية الغربية. كما أن يكون من
المحتمل أنه والد أودواكر Odovacer، أول ملك من البرابرة في إيطاليا. ننظر:

Gordan C.D.: op-cit., p. 70; Hodgkin: op.cit., p. 56.

خامسًا: نقل الموق التجاري الموجود في مارجوس بأليريا، على الضفة الجنوبية لنهر الدانوب إلى الحدود الهوتية البيزنطية الجديدة عند مدينة نيش^(٥٨٢).

سادسًا: عدم توقف البيزنطيين عن دفع الجزية المقررة عليهم^(٥٨٤).

سابعًا: طالب أتيليا الإمبراطور بأن يرسل إليه سفارة للتفاوض حول ما طالب به، بشرط أن أعضاء السفارة لا يكونون رجالاً يشغلون مراكز من الدرجة الثانية في الدولة، بل يكونون من القناصل أو حتى الذين يشغلون أعلى المناصب السياسية. وإذا تردد الرومان في أمر إرسال هؤلاء القادة، قال أتيليا، "فبانه على استعداد للمفر إلى سارديكا لاستقبالهم هناك"^(٥٨٥).

وعلى أية حال، إن هذه الأوامر شديدة اللهجة قام بترجمتها فيجيلاس Vigilas إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني. وبعد ذلك ذهب إيدكو مع فيجيلاس إلى بيت خريساقيوس، أحد أكثر وزراء الإمبراطور نفوذًا في الإمبراطورية آنذاك، للتشاور معه بخصوص موضوع السفارة. وفي بيت خريساقيوس أتى إيدكو على فخامة القصر الإمبراطوري، وعند ذلك طرأت على خريساقيوس فكرة إمكانية اغتياله أتيليا بواسطة إيدكو، وبعد نقاش طويل بين الرجلين، حصل خريساقيوس على قسم من إيدكو بالمحافظة على ما سوف يقول له، والمنتمثل في قتله أتيليا ثم العودة إلى القسطنطينية.

ونقد وافق إيدكو على القيام بهذه المهمة مقابل خمسين جنيهاً من الذهب، لإعطائها إلى القوة التي سوف تساعد في تنفيذ المؤامرة. كما وافق خريساقيوس على مطالب إيدكو، بأن يصطحب معه فيجيلاس، الذي سوف تكون مهمته في

(582) Priscus: op-cit., vol. II, p. 243. cf. also, Bury: op-cit., vol. I, p. 275;

Gordan: op-cit., p. 70; Gibbon: op-cit., Chapter XXXIV, Net, p. 8;

Jones: op-cit., vol. I, pp. 193- 194; Hodgkin: op-cit., p. 56.

(584) Treadgold W.: op-cit., 95.

(585) Priscus: op-cit., vol. II, p. 243. cf. also, Gordan: op-cit., pp. 71- 72.

الظاهر نقل إجابة أتيليا للرومان فيما يختص بأمر اللاجئين ولكنه مستخدمه بهدف نقل معلومات عن طريق إرسال الموال لأنه لا يستطيع أخذها معه، لأنه مثل الآخرين سيتم استجوابه من قبل أتيليا لمعرفة من أعطاه هدايا، ومعرفة مقدار الأموال التي أخذها من الرومان. ومن ثم فإنه لن يستطيع إخفاء الخمسون جنيه الذهبية. فقبل خريساقيوس هذه الخطة، وأمره بالانصراف بعد العشاء⁽⁵⁸⁶⁾.

وعندما حمل خريساقيوس خطة اغتيال أتيليا إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني وافق عليها، لكن بعد استشارة مارتيالوس Martialis كبير الموظفين، أو رئيس ما يمكن أن نطلق عليه "جهاز المخابرات"، وهو المسئول عن الرسل، والمترجمين والحرس الإمبراطوري. وبعد مناقشة الخطة كان هناك قرار بعدم الاكتفاء بإرسال فيجلاس وإنما إرسال، معه ماكسيمينوس⁽⁵⁸⁷⁾، كسفير إلى أتيليا. ولم يكن ماكسيمينوس على علم بالخطة، وإنما كان للغرض من إرساله هو نقل الخطابات الإمبراطورية إلى أتيليا⁽⁵⁸⁸⁾.

وفي هذه الخطابات أشار الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني إلى أن فيجلاس يعمل مترجمًا، وليس سفيرًا، أما السفير فهو ماكسيمينوس. كما ذكر الإمبراطور بأنه لن يسمح لأحد بالعبور إلى أراضيه، حتى لا يؤدي ذلك إلى كسر معاهدة السلام بين الجانبين. وأضاف ثيودوسيوس مخاطبًا أتيليا: "بالإضافة إلى اللاجئين الذين تم تسليمهم إليك بالفعل، فإني أرسل لك آخر سبعة عشر

⁽⁵⁸⁶⁾ وللمزيد من التفاصيل. أنظر: Priscus: op-cit., vol.

II, pp. 243, 245

⁽⁵⁸⁷⁾ ماكسيمينوس Maximinus: يمتاز بنسبه فقير. عمل مساعدًا إلى أردابوريوس Ardabutius في عقد معاهدة مع القرس سنة ٤٢٢م. أصبح رئيسًا للحجاب أثناء حكم مارقيان، ولذلك كان من ضمن أحد أهم وزراء في للدولة. كان واحدًا من القادة البارزين. ولكن رتبته لم تكن عالية جدًا. أنظر:

Gordan C.D.: op-cit., p. 72; Hodgkin T.: op-cit., p. 59.

⁽⁵⁸⁸⁾ Priscus: op-cit., vol. II, p. 247.

لاجئاً عتدي^(٥٨٩). وإذا كان هذا هو المكتوب فقط في خطابات ثيودوسيوس إلى أثيلا، فإن الأول حمل ماكسيمينوس رسالة شفوية مفادها أن أثيلا ينبغي عليه أن يتوقف عن المطالبة بأن يكون السفراء من أصحاب الرتب والمناصب العالية، لا سيما وأن هذا الإجراء لم يكن معمولاً به في عهد أسلافه، أو عهد أي حاكم مكيشي آخر. "لقد كان الإجراء المتبع"، كما قال الإمبراطور، 'هو إرسال أحد الجنود العاديين'. وبخصوص النقاط موضع الخلاف، فإنه من الأفضل لأثيلا أن يرسل أونجيمسيوس Onagesius إلى الرومان، وذلك لأنه، منذ تم تدمير سارديكا، لم يعد ممكناً له (أي لأثيلا) القدوم إلى هناك لمقابلة رجل يحمل رتبة قنصل^(٥٩٠). وتعليقاً على طلب الإمبراطور هذا يقول بعض المؤرخين، إن مثل هذا الرد يدل على احتقار البلاط البيزنطي للبلاط الهوني^(٥٩١).

وعلى أية حال، لقد تمكن ماكسيمينوس من إقناع بريسكوس -المؤرخ- أن يشاركه هذه الرحلة. وهذا ما عبر عنه بريسكوس نفسه بقوله: "استطاع ماكسيمينوس إقناعي بمرافقته في هذه المهمة"^(٥٩٢). والحقيقة أن هذه السفارة تعد من السفارات الهامة جداً في العصور الوسطى. وذلك لأن بريسكوس قد ضمها معلومات جغرافية هامة عن الأراضي التي نزلها ومعلومات سياسية عظيمة عن بلاط أثيلا.

وعلى كل غادر سفراء الإمبراطور البيزنطي مدينة القسطنطينية وفي رفقتهم سفارة أثيلا، وبعد أسبوعين وصلوا إلى مدينة سارديكا، وبعد استراحة قصيرة هناك، لم يقل بريسكوس كم كان عدد أيامها، غادرت السفارة إلى مدينة نيسوس (نيس) وهناك وجدوا المدينة خالية من سكانها "فقد تركها العدو منذ قتل... إن كل المناطق المتاخمة لضفة النهر (الدانوب) كانت مليئة بعظام الرجال الذين قتلوا في الحرب". وهناك وعلى مقربة من المدينة تمت المقابلة

(⁵⁸⁹) Loc. cit. cf. also, Jordan C.D.: op-cit., p 73.

(⁵⁹⁰) Priscus: op-cit., vol. II, p. 247.

(⁵⁹¹) Hodgkin T.: op-cit., p. 61.

(⁵⁹²) Priscus: op-cit., vol. II, p. 247.

بين السفارة و أجنثيوس Agintheus، قائد قوات الإمبراطورية في ألبانيا، حيث قام بتسليمهم خمسة لاجئين، طبقاً لأوامر الإمبراطور. ومن ديسمبر تمكنت السفارة من عبور نهر الدانوب على السفن الهونية. ولكن بريسكوس يوضح، أن هذه السفن لم تكن تنتظرهم على شاطئ الدانوب لتسقلهم إلى الأراضي الهونية، ولكنها كانت تقوم بنقل قوات بربرية عبر النهر... ففي هذا الوقت أراد أتيليا العبور إلى الأراضي الرومانية معلاً رحلته بأنها رحلة الصيد. ولكن في الحقيقة كانت هذه للرحلة إحدى امتداداته لخوض الحرب ضد الرومان، تحت ادعاء عدم تسليم كافة للاجئين^(٥٩٣).

وبعد عبور نهر الدانوب بدأت المشاكل بين السفارة البيزنطية والهنون، حيث يذكر بريسكوس أنه قد قدم إليهم في خيمتهم كل من إيدكو أورستس ومكوتاس Scottas، وعدد آخر من كبار رجال الدولة الهونية وهؤلاء جميعاً استفسروا منهم عن سبب قدومهم. ولكن أعضاء السفارة البيزنطية رفضوا الإجابة وطالبوا بمقابلة أتيليا نفسه، لأن هذه هي أوامر الإمبراطور، وحق السفراء، كما أن السفراء الهون عندما كانوا يذهبون إلى بيزنطة، كان الإمبراطور يقابلهم، ويناقشهم في الأهداف التي جاؤوا من أجلها، ولم يحدث لهم، كما قال بريسكوس لرجال أتيليا، "الذي حدث لنا وما أكثر بعثات الهون إلى الإمبراطور، لذلك فإنه من حقنا أن نعامل بالمثل وإذ لم يحدث فلماذا لن نذكر الغرض من قدومنا". وعند ذلك عاد رجال أتيليا إليه ثم قدموا إلى السفارة البيزنطية مرة ثانية، ولكن بنون إيدكو، واخبروا رجالها بمغادرة الأراضي الهونية فوراً، ولكن بعد أن أخبرهم بالهدف من قدومهم؛ بل والتفاصيل الدقيقة التي تضمنها خطاب الإمبراطور^(٥٩٤).

^(٥٩٣) وللمزيد من التفاصيل أنظر: Priscus: op-cit., vol. II, pp. 247, 249, 251. cf. also, Jordan: op-cit., pp. 73-75; Hodgkin: op-cit., pp. 60-64. بالذکر، أن المسافة من القسطنطينية إلى سارديكا حوالي ٣٥٠ ميل، ومن سارديكا إلى صوفيا حوالي ١٠٠ ميل. أنظر:

Gibbon: op-cit., Chapter XXXIV, Nel, p. 10.

^(٥٩٤) Priscus: op-cit., vol. II, p. 251, 253.

وقاُزم الموقف، وراح بريسكوس، ماكسيمينوس يستعدان إلى العودة ولكن فيجيلاس أتاها من مهمتها، وأخبرها بأنه من الأفضل لهما للكنب بأن هناك من الأمور ما يحتاج للمناقشة مع أتتلا على العودة دون تحقيق شيء يذكر. ولكن ما لم يكن يعرفه فيجيلاس أن إندكو قد أخبر سيدة بأمر المؤامرة. ولقد نجح بريسكوس في غضون ذلك، في إقناع سكوتاس Scottas أن يدبر لهم مقابلة مع أتتلا. وعندما تم اللقاء بين أتتلا وماكسيمينوس، وسلمه خطابات الإمبراطور ثيودوسيوس، وأبلغه بدعوات الإمبراطور له ولكافة أفراد شعبه أجاب أتتلا بأنه سوف يحقق ما ينشده الرومان. ثم خاطب فيجيلاس بلهجة عنيفة، ثم سأله عن سبب قدمه إليه، على الرغم من أنه يعلم جيدًا شروط معاهدة السلام التي أبرمت سابقًا مع أناتوليوس. ثم أضاف بأنه سبق وأمر بعدم إرسال أي سفراء إليه قبل تسليم كافة اللاجئين من الهون^(٥٩٥). ولا نعرف متى أمر أتتلا بذلك.

وعندما أجاب فيجيلاس بأنه لم يعد هناك لاجئ هوني واحد يعيش بين الرمان، استشاط أتتلا غضبًا وخاطبه قائلاً: "إنه لئيه الرغبة في قتله بالخازوق، ثم تقديمه طعامًا للطيور الجارحة، ولكنه لن يفعل ذلك، حتى لا يخرق قانون للسفراء، وإن كانت هذه العقوبة عادلة عقابًا له على إجابته المتهوررة الوقحة". والحقيقة أن أتتلا كان يعلم عدد اللاجئين الهون في الأراضي البيزنطية، وهؤلاء كانوا مسجلين لديه، ولقد قام أمناء سره بقراءة أسمائهم على ماكسيمينوس^(٥٩٦).

وبعد ذلك أصدر أتتلا أوامره إلى فيجيلاس وإملاس Eslas بالذهاب إلى البلاط البيزنطي، ومطالبة الإمبراطور بتسليم جميع البرابرة الموجودين لديه. ثم خاطب ماكسيمينوس موضحًا له بأنه لن يسمح لخدمة البرابرة بأن يحاربوه، حتى لو كانوا عاجزين عن مساعدة من أسبغ عليهم الحماية (يقصد الإمبراطور ثيودوسيوس)، ووعدهم بحماية أراضيهم، إن هؤلاء لن يتمكنوا من

^(٥٩٥) للمزيد من التفاصيل. انظر: Priscus op-cit., vol. II, p. 253, 255. cf. also,

Gordan: op-cit., pp. 75- 77; Hodgkin: op-cit., pp. 64-68.

^(٥٩٦) Priscus: op-cit., vol. II, p. 255, 257.

الدفاع عن أية مدينة أو حصن تكون لديه الرغبة في الاستيلاء عليه. "ولذلك يجب على الرومان تحديد موقفهم ومعرفة ما إذا كانوا سيقبلون بعودة كافة اللاجئين، أم سيخوضون للحرب من أجلهم". ثم تعطف بعد ذلك وقبل هدأها الإمبراطور وأمر ماكسيمينوس بالبقاء لكي ينقل ربه إلى الإمبراطور ثيونوسيوس⁽⁵⁹⁷⁾.

ويذكاء محسوب، أمر أتيليا إيدكو بأن يزور فيجيلاس في خيمة السفراء، وأن يؤكد له أنه مازال صادقاً فيما يتعلق بالمؤامرة، ولذلك ينبغي عليه أن يحضر الذهب الذي وعد به خريساقيوس. وفي غضون ذلك أصدر أتيليا قراراً بعدم السماح لأعضاء السفارة البيزنطية، بما في ذلك فيجيلاس بشراء أي أسرى رومان، أو عبيد برابرة، أو خيول أو أي شيء آخر سوى الطعام فقط، إلى أن يتم تسوية ما بين الرومان الهون من مشاكل. إن بريمكوس الذي حكى تلك قال: تكمل هذه الأوامر على براعة ودهاء أتيليا لأنه بواسطتها ضمن الإيقاع بفججيلاس بسهولة، حيث أنه (فججيلاس) لن يكون لديه سبباً عقلانياً يفسر به إحضار هذه الكمية من الذهب⁽⁵⁹⁸⁾. وعند ذلك، فإنه، إذا حضر فيجيلاس مبلغ الذهب، سوف يكون فقط ذية أتيليا⁽⁵⁹⁹⁾.

وبعد مغادرة فيجيلاس وإسلاس إلى مدينة القسطنطينية، قام بريمكوس وماكسيمينوس برحلة طويلة لدخل الأراضي الهونية في هنغاريا وغيرها، حضر خلالها بعض الولاثم مع أتيليا، كما تقابلا هناك مع سفارة كانت قادمة من الإمبراطورية للغربية إلى أتيليا⁽⁶⁰⁰⁾.

وفي المقابلة الأخيرة بين أتيليا وأعضاء السفارة البيزنطية، أثار الأول قضية زواج قنسطنطيوس Constantius، أمين سر أتيليا، الذي كان قد أرسله

(597) Ibid., p. 254.

(598) والمزيد من التفاصيل. انظر: Priscus: op-cit., vol. II, pp. 254-259.

(599) Hodgkin: op-cit., p. 70.

(600) للمزيد من التفاصيل. انظر: Priscus: op-cit., p. 259, 261, 263, 265, 267, 269, 271, 273, 275, 277, 279, 281, 283, 285, 287, 289.

إليه انتيوس، من إحدى الأميرات البيزنطيات ذات الثراء الكبير لا سيما وأنه في إحدى سفارات قنسطنطينوس إلى الإمبراطور ثيودومسيوس وعده الأخير بمساعدته على الزواج من إحدى نساء بيزنطة الأغنياء، إذا ساعد في حفظ السلام بين الهون وبيزنطة. وكان الإمبراطور قد وعده بالفعل بالزواج من ابنة ساتورنيوس Saturnilus، ولكن هذا الزواج لم يتحقق، بسبب زواجها من آخر. 'ولذلك على الإمبراطور"، كما قال أتيل، "ألا يخيب ظن قنسطنطينوس، لأنه ليس من شيم الملوك الكذب"^(٦٠١).

وفي النهاية، سمح أتيل لأعضاء السفارة البيزنطية بالعودة، ولكنه أرسل معهم بريكوس Beruchus، مقيراً من قبله إلى الإمبراطور. ويبدو أن بريكوس لم يكن يعرف ما يحمله السفير الهوني ولذلك ذكر أن مهمته كانت تحمل العديد من الأهداف، لكن الهدف الأساسي هو وجوب تلقي هدايا من الرومان^(٦٠٢).

وفي طريق العودة تقابل بريكوس وماكسيميلوس مع فيجيلاس السذي لستمر في طريقه إلى البلاط الهوني. وعن طريق مدينتي فيليبويوليس وأديانويل وصلت السفارة البيزنطية إلى القسطنطينية وفي صحبتها السفير الهوني بريكوس^(٦٠٣).

وعلى الفور عندما وصل فيجيلاس إلى البلاط الهوني تم إلقاء القبض عليه مثلثبناً، وتحت الضغط اعترف بالمؤامرة، ولهذا كاد أتيل يفتك به، ولكنه زج به في الحبس، وبعث بابنه إلى مدينة القسطنطينية ليحضر ٥٠ جنياً من الذهب فدية له. وفي الوقت نفسه بعث إلى القسطنطينية سفارة مكونة من أورستس Orestes وإسلاس^(٦٠٤).

(601) Priscus: op-cit., vol. II, p. 291. cf. also, Hodgkin: op-cit., pp. 90-91.

(602) Priscus: op-cit., vol. II, p. 293.

(603) Loc. cit., cf. also, Hodgkin: op-cit., pp. 92- 93.

(604) Priscus: op-cit., vol. II, p. 295, 297.

وحتى يبين أتيليا إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني ووزيره خريساقيوس أنه عرف بمؤامراتهما ضده، فقد أمر أوريستس بالمثول أمام الإمبراطور وخريساقيوس معلقاً في عنقه الحقيقية التي استخدمها فيجيلاس في حمل الذهب. وأن يسألها إذا ما كانا يعرفانها أم لا^(٦٠٥). ولكن الأهم من ذلك، والذي يدل على مدى احتقار أتيليا للإمبراطور، والنظر إليه نظرة دونية. هو أن أتيليا أمر بإسلاس أن يخبر الإمبراطور "بأنه -أي الإمبراطور- ابناً لأحد النبلاء وكذلك أتيليا، الذي ولد من أصل شريف. ولكن الإمبراطور لم يستطع الحفاظ على أصله النبيل وأصبح عبداً له يدفع إليه الجزية كل عام رغم أنه. ولذلك حاول قتله بالمكر والدهاء كما يفعل العبد الحقير". ثم راح أتيليا يبين للإمبراطور أن الطريقة للوحيدة التي يمكن أن يبرئ بها نفسه. وتجعله يصفح عن عمله الحقير هي تسليم خريساقيوس لكي يعاقبه بطريقة الخاصة^(٦٠٦).

كما أن أتيليا راح يطالب الإمبراطور بالبحث إلى قنسطنطيوس عن زوجة بيزنطية، لأنه هو الذي قد وعده بذلك، وأن العروس التي كان قد اختارها له من قبل ما كان يمكن لها أن تتزوج دون موافقته، ويجب معاقبة الرجل الذي تزوجها" وإلا قيل أن الإمبراطور ليس في إمكانه التحكم في خدمة، وغذ وفي ثيودوسيوس بوعده فإنه على استعداد للتصالح معه. ومن ثم فإنه على الفور قام ثيودوسيوس بمصادرة ممتلكات للفتاة^(٦٠٧). حتى لا يجلب على نفسه غضب أتيليا، الذي يمكن أن يتطور إلى هجوم على الأراضي البيزنطية.

ولأن الإمبراطور ثيودوسيوس كان عليه أن يتصرف بسرعة، فقد بعث بسفارة إلى أتيليا مكونة من أناتوليوس ولوموس، وكانت السفارة مفروضة باستخدام الأموال بحرية لتهدئة أتيليا ضد خريساقيوس، والسعي لإقناع أتيليا بالمحافظة على السلام، والتأكيد إليه أن الإمبراطور سوف يزوج قنسطنطيوس من عروس أخرى، لا سيما وأن عروسه الأولى رافضة للزواج منه. ووفقاً

(605) Ibid., p. 297.

(606) Loc. cit. cf. also, Hodgkin: op-cit., pp. 93- 95.

(607) Priscus: op-cit., vol. II, p. 297.

للقانون الروماني لا يمكن خطبة فتاة إلى أي إنسان دون موافقتها^(٦٠٨). وهكذا، استطاع أتتلا أن يحول الإمبراطور ثيودوسيوس إلى خاطبة.

ولقد ارتضى أتتلا أن يقابل سفارة الإمبراطور ثيودوسيوس عند نهر دراف، وذلك لاحترامه للقائمين بها، وليوفر عليهم مشقة الرحلة الطويلة ومع أنه في بداية المفاوضات كان متعرجاً مع أناتوليوس ونوموس، فقد لأن بعد ذلك، بسبب الأموال والهدايا التي حملها له، وقصاحتها في الحديث معه وعند ذلك أقسم أتتلا بالحفاظ على معاهدة السلام القائمة بين الجانبين. كما وافق على الانسحاب من الأراضي البيزنطية حتى حدود الدانوب التي كان قد سبق وحددها برحلة خمسة أيام عرضاً. كما أنه سيخفف من مطالبه إلى الإمبراطور بتسليم اللاجئين، إذا التزم بعدم استقبال أي لاجئ من سعاة تاريخه. كما سمح بالإفراج عن فيجيلاس بعد دفع مبلغ الخمسين جنيهاً والعديد من الأسرى البيزنطيين، بدون فدية. وفي النهاية، سمح إلى أناتوليوس ونوموس بالعودة، ولكنه أمر قسطنطينوس بالذهاب معهما، فربما ينفذ الإمبراطور ما وعد به^(٦٠٩).

وهكذا، نجحت الدبلوماسية في إخماد نيران الحرب^(٦١٠)، ولكن بعد أن أراقت الإمبراطورية البيزنطية ماء وجهها، ووصلت إلى حالة من الذلة والمهانة ليس لها مثيل^(٦١١).

وفي مدينة القسطنطينية تم إطلاع الإمبراطور ثيودوسيوس على ما دار بين السفراء وأتتلا. أما فيما يخص زواج قسطنطينوس، فقد تم حل المسألة عن

(608) Ibid., p. 299. cf. also, Hodgkin: op-cit., p. 95; Vernadsky G.: op-cit., cit., p. 143; Gibbon; op-cit., Chapter XXXIV, Net, pp. 15-16.

(609) Priscus: op-cit., vol. II, p. 299. cf. also, Hodgkin: op-cit., p. 96; Treadgold W.: op-cit., p. 96, Jones, A.H.M.: op-cit., vol. I, p. 194.

(610) Hodgkin: op-cit., p. 97.

(611) Young: op-cit., p. 91.

طريق عقد قرانه على سيدة أرملة ذات أصل نبيل وثروة طائلة ويبدو أن الإمبراطور عانى كثيراً للحصول على موافقتها^(٦١٢).

وهكذا، فإن آخر قضية من قضايا النزاع بين أتيليا والإمبراطور ثيودوسيوس الثاني تم التغلب عليها^(٦١٣). وعند ذلك أسدل التاريخ ستاره على قصة العلاقات بين الهون وبيزنطة، التي امتدت منذ ٣٧٧م وحتى ٤٥٠م. لا سيما عندما نعرف أن الإمبراطور ثيودوسيوس قد مات في ٢٨ يوليو سنة ٤٥٠م^(٦١٤). وعندما راح أتيليا يطالب بدفع الجزية، كما هو المعتاد، رفض الإمبراطور ماركيان (٤٥٠ - ٤٥٧م) Marcian، الذي اعتلى عرش بيزنطة بعد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، لقد أخبرت للحكومة البيزنطية أتيليا بأنه إذا حافظ على السلام، فإن بيزنطة ستقدم إليه الهدايا الكثيرة، وإذا هدد بالحرب فسواجهونه بقوات وآلات حربية تفوق كثيراً ما لديه". وعند ذلك تحول بقواته ناحية الإمبراطورية الغربية^(٦١٥). وهذه قصة أخرى في حاجة لأن تروى، وللجنير بالذكر أن طبول الفرخ نقت في شوارع مدينة القسطنطينية، وتنفس شعبها الصعداء عندما وصلت الأخبار بانطلاق أتيليا على رأس قواته ناحية غالة وإيطاليا^(٦١٦).

وختاماً للموضوع، فإن أهم ما توصل إليه البحث، هو أن قضية أصل الهون لم يتم حسمها بعد في أروقة محكمة التاريخ.

(٦١٢) Priscus: op-cit., 299.

(٦١٣) Hodgkin: op-cit., p. 97.

(٦١٤) Hodgkin: op-cit., p. 97; Norwich: op-cit., p. 155; Ferdinand Lot: op-cit., p. 217.

(٦١٥) Priscus: op-cit., vol. II, pp. 305, 307. cf. also, Ferdinand Lot: op-cit., p. 218; Treadgold W.: op-cit., p. 98; Norwich: op-cit., p. 155; Roger Collins: op-cit., p. 85; Previte Orton: op-cit., p. 94; Bury J.B.: op-cit., vol. I, p. 276.

(٦١٦) Norwich: Byzantium, p. 155.

كما أنه في رأي بعض المؤرخين، بل ورأى الباحث أيضاً أن الهون هم السبب الرئيسي الذي دفع الإمبراطور فالنز لقبول القوط الغربيين داخل أراضي الإمبراطورية البيزنطية^(٦١٧). وهذا هو أول تأثير عسكري غير مباشر للهون على بيزنطة، أو الإمبراطورية الرومانية الشرقية.

ومن أهم النتائج أيضاً، التي ليس فيها مجال للشك، طبقاً لرأي الباحث، أن الفروسية الهونية هي التي كسبت معركة أدرينوبول، ولكن عدم الاحتكاك المباشر بين الهون وبيزنطة في غضون ذلك، جعل المصادر التاريخية تتسبب هذا الانتصار إلى القوط فقط.

كذلك يمكن القول إن الهون كان لهم وجود في شبه جزيرة البلقان منذ سنة ٣٧٧م، وإن لم يكن قبل ذلك. والدليل هو إنقاذهم إلى القوط الغربيين عندما كانوا تحت حصار الجيش البيزنطي في نفس ذلك العام^(٦١٨).

وأيضاً، تعد معاهدة سنة ٤٠١م، التي عقدت بين أولدس، ملك الهون وأركاديوس، الإمبراطور البيزنطي، أول معاهدة سياسية تعقد بين هؤلاء البرابرة وبيزنطة، وهذا يعد اعترافاً من قبل بيزنطة بهم، بل لا يكون للباحث قد تعوى الصواب إذا قال إن هذه المعاهدة جعلت من الهون قوة إقليمية كبرى.

ومن النتائج أيضاً أن الهون لم يتنازلوا عن بدويتهم، وكانوا يجدون في أعمال النهب والسلب داخل الأراضي البيزنطية إحدى الحلول لمشاكلهم الاقتصادية. ولكن هذا كان يتم تحت ستار أن بيزنطة لم تدفع الجزية، ولم تسلّم اللاجئين لديها من الأراضي الهونية.

زد على ذلك، أن أتيلاً أنه سياسي من الطراز الأول، ولقد ظهر ذلك واضحاً خلال مفاوضاته مع سفراء بيزنطة، كما أثبت هذا الرجل أنه يعي حقوق السفراء، من حيث أنهم لا ينبغي التعدي على حياتهم، ولقد ظهر ذلك واضحاً مع فيجيلاس. وهكذا، أثبت أتيلاً أنه لا يعيش بعقلية العصور الوسطى الباكرة.

(٦١٧) Jordan C.D.: op-cit., p. 58.

(٦١٨) Ammianus Marcellinus: op-cit., vol. III, pp. 435, 437, 439.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأجنبية:

- 1) Ammianus Marcellinus: Tr. By John C.R. Olfc, 3 vols, (London, 1935).
- 2) Eunapius: in Fragmentary Classicising Historians of the later Roman Empire, Tr. By R.C. Blockcey, vol. II, (N.Y., 1983).
- 3) Evagrius Scholasticus: The Ecclesiastical, Tr. By Michael Whitby, (Liverpool uni., 2000).
- 4) Jordanes: The Origin and Deeds of the Goths, Tr. By Charles C. Mieroue, Net.
- 5) Olympiodorus: In Fragmentary Classicising Historian of the Later Roman Empire, Tr. By R.C. Blockley, (G.B., 1983).
- 6) Priscus: in Fragmentary Classicizing Historian of The Later Roman Empire, Tr., by R. C. Blockley (G.B.,1983).
- 7) Procopius: History of the wars, with an English Tr., by U.B. Dewing, Books I and II, (London, N.D.).
- 8) Sozomen: The Ecclesiastical History, Tr., from The Greek by D. Hartranft, in www.eccl.org/father.
- 9) Theophanes Confessor: The Chronicle, Byzantine and near Eastern History A. D. 284-813, Tr. By Cyril Mango and Roger Scott, (Oxford, 1997).
- 10) Theophylact Simocatta: The History, Tr. By. Michael and Hary Whitby, (Oxford, 1986).
- 11) zosimus: New History, Tr., by Green w. and Chaplin, (London, N.D.).

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- 1) Alexander P. Kazhdan and other: The Oxford Dictionary of Byzantium, vol. 2, (N. Y. 1991).
- 2) Alexander Van Millingen, Byzantine Constantinople, (London, 1899).
- 3) Benjamin Isaac, The limits of Empire, The Roman Army in The East, (Oxford, 1990).
- 4) Bury J.B., History of the Latter Roman Empire, Vol. I, (U.S.A. 1958).

- 5) Edward Gibbon, *History of the Decline and Fall of the Roman Empire*, Vol. Iv (London, 1819), and chapter XXXIV (Net).
- 6) Ferdinand Lot, *The End of The Ancient World and The Beginning The Middle Ages*, (N.Y.1960).
- 7) George Vernadsky: *Ancient Russia*, (London, 1951).
- 8) George Holmes: *The Exford Illustrated History of Medieval Europe*, (Oxford, 1988).
- 9) George Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, Tr., by Joan Hussey, (London on, 1968).
- 10) Gordan C.D.: *The Age of Attila*, Tr., by Book E. R. (London, 1966).
- 11) Henry Bradley, *The Goths*, (London, 1887).
- 12) James Westfall Thompson, *The Middle Ages, 300- 1500*, vol. I. (London, 1931).
- 13) John Woodcock: *The Penguin Atlas of Medieval History*. (England, 1961).
- 14) Jones A.J.M., *The Decline of The Ancient World* (London, 1966).
- *The Later Roman Empire, 184- 602*, Vol. I, (Oxford, 1967).
- 15) Jones Julius Norwich, *Byzantium, The Early Centuries*, (N. Y., 1989).
- 16) Louis Brehier, *The Life and Death of Byzantium*, Tr. By Margart Vaugkan, (N.Y., 1977).
- 17) Margaret Deanesly, *A History of The Early Medieval Europe, from 476-911*, (London, 1974).
- 18) Matthew Bunson, *A Dictionary of The Roman Empire*, (N.Y.1991).
- 19) Michael Grant, *From Rome to Byzantium*, (London, 1998).
- 20) Previte Orton C.W, *The Shorter Cambridge Medieval History*, vol. I, (camb., 1953).
- 21) Robcrt s. Hoyt and Other, *Europe in The Middle Ages*, (U.S.A., 1979).
- 22) Roger Collins, *Early Medieval Europe 300-1000*, (U.S.A., 1999).
- 23) Sidney Painter, *A History of The Middle Ages, 284- 1500*, (N. Y.,1953).
- 24) Thomas Hodgkin, *Italy and Her Invaders*, vol. II, (London, N.D.).

- 25) Thomas S. Burns, The Battle of Adrinople, in Mistoria, XXX, (1973).
- 26) Thompson: E.A., The Huns, (U.S.A., 1996).
- 27) Vasiliev A.A., History of The Byzantine Empire 324- 1453, vol. I, (U.S.A., 1958).
- 28) Wallace Hadrill J.M The Barbarian Heat, 400-1000, (N.Y.,1968).
- 29) Warren Treadgold, A History of The Byzantine State and Society, (U.S.A. 1997).
- 30) William G. Simnigen and Arthur F.R. Book, A History of Rome to A.D. 565, (London, 1977).
- 31) Young G.J.: East and West Through Fifteen centuries, (London, 1916).

ثالثاً: المراجع العربية:

- ١) إدوارد بروي وآخرون: تاريخ الحضارات العام، القرون الوسطى، ترجمة يوسف أسعد داغر، فريد م. داغر، (بيروت، ٢٠٠٣).
- ٢) إسحق عبيد (دكتور): العصور الوسطى الأوربية، (القاهرة د.ت).
- ٣) إسمنت غنيم (دكتورة): تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ٣٢٤-١٤٥٣م، (الإسكندرية، ١٩٩٠).
- ٤) أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى طه بدر، (القاهرة، ١٩٥٧م).
- ٥) السيد الباز الحريني (دكتور): الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م، (البلن، ١٩٨٢م).
- ٦) زبيدة محمد عطا (دكتورة): الدولة البيزنطية من قنسطنطين إلى استانسبوس (القاهرة، د.ت).
- ٧) سعدي عبد الفتاح عاشور (دكتور): أوروبا العصور الوسطى، ج١، (القاهرة، ١٩٨١م).
- ٨) عمر كمال توفيق (دكتور): تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، (الإسكندرية، ١٩٦٧م).
- ٩) قنر هـ.أ.ل.: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زبادة، السيد الباز الحريني، (القاهرة، ١٩٥٠م).
- ١٠) كانتور. ن.ف.: التاريخ الوسيط، ترجمة قاسم عبده قاسم، (القاهرة، ١٩٨١م).
- ١١) محمود محمد الحديدي (دكتور): روية في سقوط الإمبراطورية الرومانية. (القاهرة، ١٩٩٢).
- ١٢) موسى هـ. سالت ل.ب: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، السيد الباز الحريني. (القاهرة، ١٩٩٨م).

القوط الشرقيون في البلقان

(٤٧٣ - ٤٨٨ م)

أجمعت المصادر التاريخية القديمة والمراجع الحديثة على أن وفاة أتिला (٤٣٤-٤٥٣م) Attila، ملك الهون، في سنة ٤٥٣م أنت إلى تفكك إمبراطوريته. فنظرًا لأن أبناءه ما كان بينهم من هو قادر على الانفراد بالحكم فقد قرروا تقسيم إمبراطوريته بينهم بالتساوي، ومن ثم فإن ذلك كان فرصة لإتباعهم من القبائل الجرمانية لإعلان الثورة عليهم، لأنهم رفضوا أن يتم تقسيمهم كما لو كانوا عبيدًا أو قطعًا من الأغنام. وفي المعركة التي نشبت قرب نهر نيداو Nedao^(٦١٩) سنة ٤٥٤ انتصر الجرمان وقتل من الهون حوالي ٣٠,٠٠٠ ألف رجل، وهرب الباقون إلى جنوب روميا^(٦٢٠).

والجدير بالذكر، أن هزيمة الهون المدوية في موقعة نيداو وتفكك إمبراطوريتهم لعبت دورًا كبيرًا في حصول الشعوب الجرمانية التي كانت خاضعة لهم على حريتها. ومن هذه الشعوب كان القوط الشرقيون، الذين استقروا في هنغاريا عن طريق الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (٣٧٩-٣٩٥م) Theodosius I، فوقعوا تحت الاستعمار الهوني عندما استولى على هنغاريا^(٦٢١).

^(٦١٩) نيداو Nedao: مجرى مائي في جنوب باتونيا، يتفرع - على الأرجح - من نهر ساف Save. انظر:

Wolfram H.: The Roman Empire and It's Germanic Peoples, Tr., by Thomas Dunlop, (London, 1997), P. 129.

^(٦٢٠) والمزيد من التفاصيل. انظر:

Priscus: In Fragmentary Classicising Historians of The Later Roman Empire, Tr., by R. C. Blockley, vol. II, (Great Britain, 1993), p.296;

Jordanes; The Origin and Deeds of The Goths, Tr., by Charles C.

Meirow, (Net), p. 62. Cf. also, Bury J. B.: History of The Later

Roman Empire, vol. I, (U.S.A., 1958), p.296; Hodgkin T.: Italy and

Her Invaders, vol. II, (London, N.D.), pp. 191-194; Bradley H.: The

Goths, (London, 1887), p. 48; Wolfram: op.cit., p. 129; Oliver J. T.

and other: Europe in The Middle Age, (London, 1919), p. 42.

Bradley: op.cit., p. 48; Deanesly M.: A History of Early Medieval ^(٦٢١)

Europe, (London, 1974), p.34; Oliver J.: op.cit., p. 42; William G. S

على أن القوط للشرقيين وجدوا أنفسهم بعد تحررهم من سيطرة الهون في وضع سيء لما لحق بأقاليم الدانوب - في غضون ذلك - من نمار شامل وخراب جعل الإقامة فيها أمراً متعذراً^(٦٢٢). وإلى جانب ذلك كانت هناك عداوات شديدة بين القوط والقبائل الجرمانية الأخرى التي تحررت من سيطرة الهون، ولذلك راح القوط الشرقيون يبحثون عن موطن آخر يستقرون فيه، فبعثوا بسفارة إلى الإمبراطور مارقيان (٤٥٠-٤٥٧م) Marcian، إمبراطور النصف الشرقي من الإمبراطورية الرومانية، أو بتعبير آخر الإمبراطورية البيزنطية، يطلبون السماح لهم بالاستقرار داخل أراضيه، فوافق وسمح لهم بالاستقرار في مقاطعة بانونيا Pannonia^(٦٢٣). ويبدو أن إقامة القوط الشرقيين في بانونيا كانت مكفولة باتفاقية بينهم وبين مارقيان، الذي تعهد بمقتضى هذه الاتفاقية أن يدفع لهم مبلغاً من المال ببدلية كل عام، ليتمكن من الدفاع عن

and other: A History of Roma to A.D. 565, (London, 1977), p. 460;
Hallister W.: Medieval Europe, (U.S.A., 1982), p. 32.

Thompson: The Middle Ages, vol. I, (London, 1931), p. 115. ⁽⁶²²⁾

Jordans: op.cit., p. 63; Priscus: op.cit., vol. II, p. 323. Cf. Also, ⁽⁶²³⁾
Bury J. B.: op.cit., vol. I, p. 411; William G.: op.cit., p. 462.

أما بانونيا: فهي مقاطعة رومانية تقع جنوب نهر الدانوب الأوسط وهي حارة عن منطقة سهلية يحدها من فشرق موزيا العليا، ومن الجنوب دالماشيا، ومن الغرب: نوريكوم. ولقد تم تقسيمها بين عامي ٢٦٣ و ٢٩٦، في عهد الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م) Diocletian، إلى أربعة أقاليم. انظر:

Jordans: op.cit., p. 63. Cf. also, Mourhed J.: Theodric in Italy, (Oxford, 1992), p. 12; Alexander P. K. and other: The Oxford Dictionary of Byzantium, vol. III. (Oxford, 1991), p. 1572.

وبانونيا العصور الوسطى هي التي تضم الآن غربي المجر، وشمالي كرواتيا، وسلوفينا Slovenia وشرق النمسا. انظر:

[History - world - org - Goths.](http://History-world-org-Goths)

مملكتهم، وكذلك ليجيز القوات التي تطلبها الإمبراطورية عندما تقتضي الظروف^(٦٢٤).

وعلى كل، تذكر كتب التاريخ أن قوط بانونيا كان يتولى قيادتهم ملكهم فالامير Valamir وأخواه ثيوديمير Thiudimer وفيديمير Vidimer، الذين عاشوا في مناطق منفصلة، ورغم ذلك ارتبطوا بعلاقات قوية وكانوا يعملون معاً^(٦٢٥). وقد بلغ تعداد قواتهم - طبقاً للتقديرات - حوالي ١٨,٠٠٠ ألف جندي^(٦٢٦).

وتقول الأحداث إنه: كانت هناك جماعة أخرى من القوط الشرقيين بقيادة ترياريوس Triarius لم تنتقل إلى بانونيا مع فالامير وأخويه، يعد تفكك إمبراطورية الهون، ولكنها ذهبت إلى تراقيا Thrace^(٦٢٧)، ولم تكن قليلة العدد، ودخل الكثير منها في خدمة الإمبراطور ماركيان. وعندما مات ترياريوس - تقريباً - بعد عام ٤٥٥م، تولى ابنه ثيودريك أسترابو Theodorics Strabo للحكم دون جنوب أية مشاكل تذكر^(٦٢٨).

Jordanes: op.cit., p. 65, Cf. also, Bradley: op.cit., p. 133; Moorhd: ⁽⁶²⁴⁾

Bury: op.cit., vol. I, p. 41. op.cit., p. 12;

ويفرد بعض المؤرخين بالإشارة إلى أن اتفاقية ماركيان مع القوط الشرقيين عقدت في سنة ٤٥٦م، ولكنه لم يحدد الشهر الذي عقدت فيه. وهذا يرجع بطبيعة الحال إلى صمت المصادر عن ذلك. انظر:

Wolfram H.: op.cit., p. 199.

Jordanes: op.cit., p. 64. ⁽⁶²⁵⁾

Wolfram II: op.cit., p. 140. ⁽⁶²⁶⁾

⁽⁶²⁷⁾ تراقيا Thrace: منطقة شاسعة تقع جنوب نهر الدانوب، وشمال بحر إيجه، وغرب

البحر الأسود وشرق مقدونيا. Matthew B.: A Dictionary of the Roman

Empire, (Oxford, 1995), p.414.

(٢) إقليم تراقيا، (٣) درقية تراقيا. انظر:

Alexander P. K.: op.cit., vol. III, p. 2079.

Wolfram H.: op.cit., p. 140, 197; Treadgold W.: A History of the ⁽⁶²⁸⁾

Byzantine State and Society, (Stanford Uni., Press, 1997), p. 100.

Thomas S. Burns: A History of The Ostrogoths (Indiana Uni., Press, J, p. 52.

واستمرت العلاقات طيبة بين قوط بانونيا والإمبراطور ماركيان، ولكن بعد وفاته تعكر صفو هذه العلاقات، وذلك لأن الإمبراطور ليو الأول (٤٥٧-٤٧٣م) Leo I، نقض الاتفاقية التي كانت قائمة بين الطرفين، وذلك عندما توقف عن دفع الإعانة المالية إلى قوط بانونيا وراح يدفعها إلى قوط تراقيا، بناء على رأي أسبار، الذي كانت تربطه علاقات قوية بشيودريك امسترايو^(٦٢٩).

ولقد حاول الملك فالامير استمالة ليو الأول بشتى الطرق السلمية، لكي يعيد إليه الإعانة المالية التي كان يدفعها سلفه، ولكن محاولاته ضاعت سدى^(٦٣٠). وعند ذلك استشاط فالامير وأخواه غضبًا، كما قال المؤرخ جوردانير^(٦٣١)، "وحملوا السلاح وتقدموا على رأس قواتهم داخل الليريا Illyria^(٦٣٢) فجعلوها خرابًا، للبحث عن الغنائم، ولقد أدى ذلك إلى تغير موقف ليو الأول، الذي وجد أن صداقة فالامير خير من عداوته".

وعلى وجه السرعة أرسل الإمبراطور ليو الأول سفارة إلى فالامير جددت معه الاتفاقية التي عقدت في عهد الإمبراطور ماركيان، ويومها وافق ليو على الآتي:

أولاً: أن يدفع راتبًا عبارة عن ٣٠٠ جنيه من الذهب في بداية كل عام إلى فالامير.

يذكر بعض المؤرخين أن ثيودريك بن ثرياريوس، المدعو سترابو "أي الأحول" في اللغة اللاتينية لم يكن عريق الأصل ولكنه ارتبط بعائلة ثيوديمير عن طريق الزواج.

Bury, J. B.: op.cit., vol. I, p. 412.

Jordanes: op.cit., 65. Cf. also, Bradley: The Goths, . 133; Treadgold: ⁽⁶²⁹⁾ op.cit.p. 151.

Bradley: op.cit., p. 134. ⁽⁶³⁰⁾

The Origin and Deeds of The Goths, Cf. also, Priscus: op.cit., vol. ⁽⁶³¹⁾ II, p. 371; Bradley: op.cit., p. 134; Burns: op.cit., p. 53.

⁽⁶³²⁾ الليريا (دالماتيا) منطقة تمتد من شمال شرق إيطاليا حتى مقدونيا ومن لحد الموزي بطول الدانوب حتى ألبيروس. انظر:

Matthew Bunson: A Dictionary of Roman Empire (Oxford, 1995), p. 202.

ثانياً: القيام بدفع المتأخرات التي قطعت من قبل.

ثالثاً: وعد ليو الأول بدفع هذا الراتب في المستقبل دون تأخير.

وفي المقابل تعهد فلانير بالآتي:

أولاً: الدفاع عن الحدود الدانوبية للإمبراطورية.

ثانياً: إرسال ثيودريك بن ثيوديمير - الذي كان عمره آنذاك سبع سنوات - إلى

مدينة القسطنطينية كرهينة لضمان تنفيذ الشق المتعلق بالقوط في

الاتفاقية^(٦٣٣). وتقريباً وقعت هذه الاتفاقية ما بين عامي ٤٦١

و ٤٦٢ م^(٦٣٤).

هذا، ويذكر بعض المؤرخين أن ألب ٣٠٠ جنيه الذهبية التي كان

فالامير يحصل عليها من الإمبراطور ليو الأول قد مكنته من مكافأة أتباعه كلاً

طبقاً لمكانته، وجعلته يحافظ على السلام^(٦٣٥).

ومما هو جدير بالذكر، أن ثيودمير كان رافضاً أن يرسل ابنه ثيودريك

إلى مدينة القسطنطينية، كرهينة، لصغر سنه، ولكن فالامير جعله يغير رأيه،

مبيناً له مدى الفائدة التي سينالها بسبب التعليم الذي سيثقله في القصر

الإمبراطوري، وحتى يتقرر السلام بين الجانبين. وبناء على ذلك تم إرسال

ثيودريك إلى مدينة القسطنطينية، وهناك حاز على حب الإمبراطور ليو بسبب

جمال طلعه^(٦٣٦). وبقي عشر سنوات في القسطنطينية. ويبدو أنه كان يعامل كما

لو كان ابناً لأحد رجال الرومان ذوي المناصب الرفيعة؛ فمعظم الأمماتذة

Jordanes: op.cit., p. 65. Cf. also, Burns: op.cit., p. 53; Bradley: ⁽⁶³³⁾

op.cit., p. 134; Heather: The Goths, (U.S.A., 1996), p. 152.

Heather: op.cit., p. 152; Burns: op.cit., p. 53; Bradley: op.cit., p. ⁽⁶³⁴⁾

134; Oliver J.: op.cit., p. 45; Bury: op.cit., vol. I, p. 411.

⁽⁶³⁵⁾

Burns: op.cit., p.53.

Jordanes: op.cit., p. 65; Cf also, Bradley: op.cit., p. 134; Cam. Med. ⁽⁶³⁶⁾

Hist., vol. I, (London, 1911), p. 437; Moorhed: op.cit., p. 13.

المشهورين في العاصمة كانوا مجتدين لتعليمه، ورغم ذلك ظل حتى نهاية حياته لا يكتب^(٦٣٧).

وفي غضون ذلك، اشتبك القوط الشرقيون في حروب طاحنة مع الشعوب الجرمانية المجاورة، فكسبوا نصراً حاسماً على السويفي Suavi والسكيري Saire، ولكن هذا النصر كلف فالامير حياته، وعند ذلك انتقلت قيادة الجماعة القوطية التي كان يقودها إلى أخيه ثيوديمير، واستعد الطرفان لخوض جولة ثانية من المعارك، وراح كل طرف من الأطراف المتصارعة يتوسل المساعدة من الإمبراطور ثيو الأول، الذي ضرب بنصيحة أسبار عرض الحائط وقدم المساعدة إلى الحلف للجرماني بقيادة السكيري، ولكن في المعركة الدموية التي نشبت بين الطرفين سنة ٤٦٩م انتصر القوط، وفرضوا سيادتهم على ومط الأذانب^(٦٣٨).

وعند ذلك وجد الإمبراطور ثيو الأول أنه من الناحية السياسية يجب التمسك بصداقة القوط الشرقيين، لاسيما وأن تقديمه المساعدة العسكرية للحلف المناوئ لهم قد أدى - بالتأكيد - إلى تعكير صفو علاقتهم معه، ولذلك أقدم على إطلاق سراح ثيودريك، وسمح له بالعودة إلى شعبه محملاً بالهدايا^(٦٣٩).

ويعلق على ذلك بعض المؤرخين المعاصرين موضحاً أن إطلاق سراح ثيودريك كان رغبة من ثيو الأول في التمسك بالسلام القائم مع القوط، ويمتطرد

John of Nikiu: Chronicle, Tr., by Roger Pears, (Net. 2002), p.7. Cf. ^(٦٣٧)
also, Bradley: op.cit.,p.135; Hoyt R.S. and other: Europe in the
Middle Ages (U.S.A.,1976),p. 69;

موسى حسن: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق جلوبيد، مراجعة السيد
الباز العربي، (القاهرة، ١٩٩٨م) ص ٩٩. ويذكر البعض أن ثيودريك بن ثيوديمير تعلم
اليونانية واللاتينية في مدينة القسطنطينية.

[History- world.org/Germani/Tribes](http://History-world.org/Germani/Tribes).

Jordanes: op.cit., p. 66, Priscus: op.cit., vol, II, p. 353. Cf. also, ^(٦٣٨)

Bury: op.cit., vol. I, p. 412; Treadgold: op.cit., p. 153.

Jordanes: op.cit., p. 68; Cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 413. ^(٦٣٩)

نفس المؤرخ موضعاً أن يطلق مراح ثيودريك تم سنة ٤٦٩م، ولكنه ليس متأكداً من ذلك، لأننا نجد أنه يستخدم كلمة "ربما"^(٦٤٠).

والجدير بالذكر أن التباين بين المؤرخين بخصوص تواريخ هذه الفترة يعود إلى صمت المصادر التاريخية المعاصرة عن الإشارة إلى تلك التواريخ.

وعلى أية حال، يذكر المؤرخ جوردانيز أن ثيودريك قاد حملة عسكرية مؤلفة من ٦٠٠٠ ألف جندي - وبدون علم والده - هاجم بابي Bahai، ملك السارماتيين Sarmatians، في عقر داره، فيما وراء الدانوب، وانتصر عليه انتصاراً ساحقاً، واسترد منه قلعة سينجيدونوم Singidunum^(٦٤١)، التي كان قد استولى عليها آنذاك من بيزنطة، وقل عائدًا إلى بانونيا حاملاً معه بابي وعائلته وكنوزه^(٦٤٢)، ويذكر أحد المؤرخين أن هذه الحملة وقعت في بداية عام ٤٧٠م^(٦٤٣).

والسؤال المطروح، هل كان ثيودريك يعمل لحساب الإمبراطور البيزنطي ليو الأول؟

تشير الشواهد كلها إلى أنه كان يعمل لحساب ليو الأول، وذلك لأنه بمجرد عودته قام بحملته على بابي السارماتي، وبنون إذن من والده. ويؤكد صحة ما ذهب إليه الباحث قول بعض المؤرخين: "إن حرب ثيودريك الأمالي مع السارماتيين، بدأت باسم الإمبراطور (ليو الأول)، وانتهت بآخر حملة للقوط البانونيين"^(٦٤٤).

Wolfram H.: op.cit. p. 198. ^(٦٤٠)

^(٦٤١) سينجيدونوم: هي مدينة بلجراد الحديثة. وهي مدينة رومانية تقع عند ملتقى نهري الساف Sava والدانوب، ذات موقع هام على طريق أجناتيا، وميناء بحري عظيم. تعرضت للدمار والخراب في القرنين الخامس والسادس على يد القبائل للمتبريرة. استولى عليها الأفر في بداية القرن السابع. انظر:

Alexander P.: op.cit., vol. III, p. 1903.

Jordanes: op.cit., p. 68. Cf. also, Wolfram: History of the Goths, p. ^(٦٤٢) 267; Mooched: op.cit., p. 14.

Wolfram H.: The Roman Empire..., p. 198. ^(٦٤٣)

Loc. Cit. ^(٦٤٤)

ولكن بالرغم من علاقات الصداقة التي ربطت بين الإمبراطور البيزنطي ليو الأول وثيودريك، وبالرغم من أنه كان يعمل لحساب ليو، فإن ثيودريك رفض إعادة قلعة سينجيدونوم إلى بيزنطة^(٦٤٥).

وفي ضوء ندرة المعلومات حول سبب موقف ثيودريك هذا، يذكر البعض أن البيزنطيين - ربما - لم يطالبوا ثيودريك بإعادة تلك القلعة، لأن حكام القسطنطينية كانوا مشغولين - في غضون ذلك - بمشاكلهم الداخلية، لهذا لم يفكروا في قلعة بعيدة عن الإمبراطورية^(٦٤٦).

وإذا كان الباحث لا يتفق مع الرأي القائل بأن قلعة سينجيدونوم كانت منعزلة عن أراضي الإمبراطورية - فأراضي الوطن ليس فيها للبعيد والقريب - ولذلك لم يتغلوا بالهم بها، فإنه يتفق مع هذا الرأي بشأن الأوضاع الداخلية في بيزنطة، في تلك الوقت لاسيما العداوات المتأججة بين الإمبراطور ليو الأول وقائد جيوشه أسبار، الذي كان ليو يعمل جاهداً للإطاحة به لنفوذه المتزايدة في الدولة.

والمأمل يرى أن سقوط قلعة سينجيدونوم في يد القوط يعتبر أول احتلال لأراضي بيزنطية منذ استقرارهم في بانونيا في عهد الإمبراطور ماركيان.

وعلى كل، حدث في غضون ذلك ما أدى إلى فتح باب العداوات على مصراعيه بين القوط من ناحية والبيزنطيين من ناحية أخرى، وكانت الشرارة التي أدت لاشتعال الموقف، هي اغتيال أسبار وبعض أفراد عائلته بتحريض من الإمبراطور ليو الأول سنة ٤٧١م^(٦٤٧). وعند ذلك، ثار أتباع أسبار من القوط

Jordancs: op.cit., p. 68. ^(٦٤٥)

Bradley: The Goths, p. 137. ^(٦٤٦)

^(٦٤٧) وللمزيد من التفصيل: انظر:

Candidus: In Fragmentary Classicising Historians of The Later Roman Empire, Tr., by R. C. Blockley, vol. II, (Great Bri., 1983), p. 467,
John Of Antioch: in Gordon C. D.: The Age of Attila, (U.S.A., 1966),
p. 133. Cf. also, Hodgkin: op.cit, vol. II, p. 478.

الشرقيين بقيادة أوستريس Ostrys^(٦٤٨)، واقتحموا للقصر الإمبراطوري في محاولة للاستيلاء عليه، ولكن عندما باءت محاولتهم بالفشل وقتل منهم الكثير، وشعر أوستريس بشبح الهزيمة هرب بأتباعه إلى تراقيا، ولقد اصطحب معه جارية أسبار القوطية^(٦٤٩). وربما هذه الجارية - كما أطلقت عليها المصادر - هي زوجة أسبار، ونظرًا لأنها قريبة ثيودريك استرابو فقد أخذها أوستريس معه.

وفي تراقيا ضم أوستريس قواته إلى قوات ثيودريك استرابو، وقاموا بأعمال النهب والسلب في المنطقة، ويبدو أن ذلك قد أدى إلى ارتفاع نجم ثيودريك فاخترته الفرق الجرمانية القوطية ملكًا عليها سنة ٤٧٣م^(٦٥٠). وهكذا، أصبحت بيزنطة أمام قيادة قوطية أخرى كان عليها أن تتعامل معها، كما تتعامل مع قوط بانونيا.

ويبدو أن الإمبراطور ثيو الأول شعر بخطورة الموقف في تراقيا، فأرسل ثلوجيوس Tologius - كاتم سره - إلى ثيودريك استرابو، الذي استقبله بحفاوة بالغة، ويبدو أنه كانت هناك أكثر من سفارة متبادلة بين الجانبين، وهذا ما عبر عنه مالخوس^(٦٥١) Malchus بقوله: "وتبادلوا - قوط ثيودريك استرابو - الرسل مع الإمبراطور - ثيو الأول -، في محاولة لكسب صداقته".

^(٦٤٨) أوستريس: أحد القادة القوط المقربين إلى أسبار، عمل في قواته بتراقيا سنة ٤٦٧م، ويبدو أنه تعرف هناك على ثيودريك ابن ثرياريوس. انظر:

Pachale: Chronicon 284- 628 AD, Tr., by Michael Whitby and Mary Whitby, (Liverpool Uni., 1989), p. 89, (Not., 289).

Pachal: op.cit., p. 89. Cf. also, Treadgold: op.cit., p. 155.^(٦٤٩)
وينفرد المؤرخ البيزنطي ثيوفانيز بالقول: إن ثيودريك بن ثرياريوس صهر أسبار اشترك مع أوستريس في الهجوم على مدينة القسطنطينية بقواته للانتقام لأسبار. انظر:

The Chronicle, (Oxford, 1997), p. 183.

Hcathcr: op.cit., vol. I, p. 32, Jones H. M.: The Later Roman Empire ^(٦٥٠)
284-602, vol. I, (G. B., 1964), p. 223.

In Fragmentary Classicising Historians of The Later Roman Empire, ^(٦٥١)
Tr., by R. C. Blochley, vol. II, (G. B., 1983), p. 407.

وعلى أية حال، في إحدى المقابلات التي تمت بين ليو الأول وإحدى سفارات ثيودريك استرابو، راحت السفارة تطالب بالآتي:

أولاً: حصول ملكهم ثيودريك على جميع الممتلكات التي تركها أسبار، لأنه كان زوجاً لابنة عم ثيودريك.

ثانياً: السماح لثيودريك بالإقامة في تراقيا مع قواته.

ثالثاً: أن يتولى ثيودريك القيادة العامة للقوات التي كان يتولاها أسبار⁽⁶⁵²⁾.

ولكن الإمبراطور ليو في الوقت الذي رفض فيه - وبشدة - المطالبين الأول والثاني وافق على المطالب الثالث فقط المتعلق بتعيين ثيودريك استرابو قائداً للجيش، ولكن ليو وضع شرطاً لهذه الموافقة هو "أن يصبح ثيودريك صديقاً له، وأن يتعهد بعدم خيانتة"، وعند ذلك سمح ليو لسفارة ثيودريك بمغادرة مدينة القسطنطينية⁽⁶⁵³⁾.

وعندما استقبل ثيودريك استرابو سفارته، وسمع منها رد الإمبراطور ليو استشاط غضباً، وقرر الانتقام منه، فأرسل على الفور، قسماً من قواته للاستيلاء على مدينة فيليببي Philippi⁽⁶⁵⁴⁾، أما هو فقد عسكر بباقي القوات أمام مدينة أركاديوبوليس Arcadiopolis، وفرض عليها حصاراً شديداً، حتى استطاع في النهاية الاستيلاء عليها عن طريق استسلام أهلها، الذين أصابهم الجوع، ولم تصل إليهم أية مساعدات من الإمبراطور ليو. أما بخصوص مدينة

⁽⁶⁵²⁾ Malchus: op.cit., vol. II, p. 407, 409. Cf. also, Cam. Med. His., vol. I, p. 471.

وينفرد بعض المؤرخين بالإشارة إلى أن ثيودريك استرابو طالب الإمبراطور ليو الأول بأن يتنازل لعهده عن نصف تراقيا. انظر:

Jones: op.cit., vol. I, p. 223.

⁽⁶⁵³⁾ Malchus: op.cit., vol. II, p. 409. Cf. also, Bury J. B. op.cit., vol. I, p. 413.

⁽⁶⁵⁴⁾ فيليببي: مدينة حصينة تقع على سفح جبل هيموس، إلى الجنوب الشرقي من صوفيا، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها فيليب وولد الإسكندر المقدوني. وتسمى اليوم بلوفديف Plovdiv. انظر:

Lavallee: Hitoire De L'Emprie Ottoman, (Paris, 1855). p. 142.

فيليبى فقد اكتفت القوات التي أرسلت لاحتلالها بإشعال النار في ضواحيها، ولم تتمكن من احتلالها^(٦٥٥).

ومهما يكن من أمر، فإنه على الرغم من الكوارث التي أتزلها قوط ثيودريك استرابو بترافيا فقد عانوا معاناة شديدة من المجاعة التي أطبقت عليهم، ومن ثم أرسلوا إلى الإمبراطور ليو يسألونه السلام. ونظرًا لأن الأخير لم يكن يمانع، فقد تم التوصل لاتفاق بين الجانبين، أقسم عليه كل طرف، ونص على الآتي:

أولاً: حصول ثيودريك على مبلغ ٢٠٠٠ جنية من الذهب كل عام.

ثانياً: تعيين ثيودريك قائدًا عامًا للقوتين العسكريتين اللتين تلازمان الإمبراطور دائماً، وبمعنى آخر سيد الجند في حضور الإمبراطور.

ثالثاً: تم الاعتراف بثيودريك حاكمًا عامًا للقوط.

رابعاً: وافق ثيودريك على أن يقاثل جميع من يأمره الإمبراطور بقتالهم عدا الوندال.

خامساً: عدم استقبال الإمبراطور ليو الأول لأي قوطي هارب من قبل ثيودريك^(٦٥٦).

وبخصوص التاريخ الذي وقعت فيه الاتفاقية فقد ذكر بعض المؤرخين أنها وقعت في سنة ٤٧٣م^(٦٥٧).

والمأمل في الاتفاقية - سألقة الذكر - يرى أن ثيودريك استرابو تنازل عن ممتلكات أسبار، وعن حق امتلاك أراضي بيزنطية في ترافيا مقابل الإعانة

Malchus: op.cit., vol. II, p. 409. Cf. also, Treadgold: op.cit., p. 155; ^(٦٥٥)
Jones: op.cit., vol. I, p. 223.

Malchus: op.cit., vol. II, p. 409. Cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 413. ^(٦٥٦)
ولكن بيوري يذكر أن المبلغ المقرر لثيودريك سنويًا هو مائتي جنية فقط.

Wolfram H.: op.cit., p. 129; Bury: op.cit., vol. I, p. 320. ^(٦٥٧)
ويذكر غورون أن هذه الاتفاقية تم توقيعها مع استرابو في سنة ٤٧٤م. انظر:
The Age of Attila, p. 161.

السوية التي وافق ليو على دفعها إليه. كما أن هذه الاتفاقية تعد أول اتفاقية رسمية بين قوط تراقيا وبيزنطة، والتي اعترف البيزنطيون بمقتضاها بثيودريك استرابو حاكمًا شرعيًا لجميع القوط الشرقيين الموجودين في البلقان، الأمر الذي يدل على أن قادة القوط كانوا يبحثون عن الزعامة - في ذلك الوقت - والتي لن يحصلوا عليها إلا باعتراف إمبراطوري، أما عدم الاشتباك في حرب مع الوندال - طبقًا لما قاله ثيودريك - فلا يعود إلى أصلهم الجرمانى المشترك بقدر ما يعود إلى بعد المسافة والأخطار الناجمة عن الهجوم عليهم^(٦٥٨).

والجدير بالذكر، أنه على الرغم من أن الإمبراطور ليو الأول قد أنعم على ثيودريك استرابو بلقب "سيد الجند في حضور الإمبراطور" فإنه لم يسمح له بدخول مدينة القسطنطينية^(٦٥٩). وربما لأنه خشي إن دخلها لا يخرج منها.

وعودة إلى قوط ثيوديمير، فإننا نرى أنهم راحوا يفكرون في مغادرة بانوليا في سنة ٤٧٣م، ولقد تعددت الأسباب التي جعلتهم يفكرون في ذلك، فالمؤرخ القوطي جورداثيز^(٦٦٠) ذكر أنه نظرًا لأنهم يعيشون على ما تكسبه أيديهم من الحروب فقد كانوا يكرهون السلام، ولما كانت الحروب قد حطت أوزارها بيئتهم وبين الشعوب المجاورة فقد بدأت غنائم الحرب التي حصلوا عليها سابقًا في النفاد، وبدأوا يحتاجون إلى الملابس والأكل. ولذلك عقدوا النية على مغادرة بانونيا. كما يذكر بعض المؤرخين أن المنطقة التي كانوا يعيشون فيها لم تعد قادرة على استيعاب أعدادهم الآخذة في الزيادة^(٦٦١). كما أنه لا ينبغي علينا أن نغفل المكاسب الكبيرة التي حصل عليها قوط تراقيا من الإمبراطور ليو سنة ٤٧٣م، والتي كانت لابد أن تجعل قوط بانونيا يفكرون في الحصول على مثلها، وبطبيعة الحال لن يتأتى ذلك إلا بمغادرتهم بانوليا. ويؤيد ذلك ما قاله المؤرخ بيتر هيث^(٦٦٢) أنه عندما تحرك ثيوديمير من بانوتيا كان يدور في ذهنه

Gordon: op.cit., p. 160. ^(٦٥٨)

Treadgold: op.cit., p. 160. ^(٦٥٩)

The Origin and Deeds of The Goths, p. 68. ^(٦٦٠)

Bradley: The Goths, p. 136. ^(٦٦١)

The Goths, p. 155. ^(٦٦٢)

انتزاع المكانة السامية التي حصل عليها القوط التراقيون، الذين كانوا يحصلون على إعانة مالية سنوية تعادل سبعة أضعاف ما كان قوط بانونيا يحصلون عليه منذ عام ٤٦٠م، كذلك كان ثيوديمير يرغب في مشاركة ثيودريك استرابو الرعاية الكبيرة الموجودة في البلاط البيزنطي.

وعلى أية حال، عندما تزايدت توصلات القوط لثيوديمير بالرحيل بهم من بانونيا والتوجه إلى أي مكان يرغب فيه، استدعى أخاه فيديمير، وبعد إجراء القرعة- كما تقول المصادر التاريخية- تقرر أن يذهب فيديمير إلى إيطاليا، أما ثيوديمير فنظرًا لأنه الأقوى كان عليه للتوجه نحو الإمبراطورية البيزنطية القوية^(٦٦٣).

وهنا يجب علينا أن ندرك أن قرار إعلان الحرب على الإمبراطورية الشرقية والغربية لم يخضع لعملية التنجيم القائمة على إجراء القرعة، ولكنه أخذ بتردد، فلقد كان معروفًا أن الإمبراطورية الشرقية أقوى بكثير من الغربية، كما كانت هناك قوة أخرى موجودة في البلقان هي قوة قوط تراقيا، ولذلك توجه ثيوديمير- لأنه الأقوى- إلى بيزنطة.

وعلى كل، قاد فيديمير قسمًا من الشعب القوطي تجاه إيطاليا، ولكن الإمبراطور جليسيريس (٤٧٣-٤٧٤م) Glycereius استماله- عن طريق الهدايا- للذهاب إلى غالة، وهناك انضم بجماعته إلى القوط الغربيين^(٦٦٤).

أما ثيوديمير فقد عبر بقواته نهر Savus واستولى على مدينة نيسوس Naissus^(٦٦٥)، أول مدينة في إقليم الليريا بالبلقان، ومن هناك أرسل ابنه ثيودريك وقائديه أساتات Astat وأنفيليا Invilia فاستوليا على مدينة أولبانا

Gordanes: op.cit., p. 68. Cf. also, Hodgkin: op.cit., vol. II, p. 481. ⁽⁶⁶³⁾

Jordanes: op.cit., p.68. Cf. also, Moorhed: op.cit., p.15; Jones: ⁽⁶⁶⁴⁾
op.cit., vol.I, p. 223.

⁽⁶⁶⁵⁾ نيسوس: مدينة رومانية تقع على نهر نيشافا Nisava، قرب مدينة نيش Nis الحديثة في جنوب شرق يوجوسلافيا، كان يطلق على هذه المدينة في العصور الوسطى اسم نيسوس Nais (s)os أو Nisos. لنظر:

Alexander P.: op.cit., vol. II, pp. 1433- 1434.

Ulpiana، بدون مقاومة تذكر، كما استوليا أيضاً على مدن مثل مستوبي Stobi^(٦٦٦) - التي رغم مناعتها، استسلمت بمجرد وصول القوط إليهما - وهيراكليا Heraclea^(٦٦٧)، ولاريسا Larissa^(٦٦٨)، وعندما شاهد ثيوديمير تساقط المدن البيزنطية الواحدة تلو الأخرى في يده - وبدون مقاومة - فقد انفتحت شهيته أكثر، وانطلق من مدينة نيسوس تاركاً فيها حامية قليلة للدفاع عنها، وتقدم نحو مدينة تسالونيكا Thessalonica (في مقدونيا على طريق أجناتيا) يحدوه الأمل في الاستيلاء عليها^(٦٦٩).

وراح الإمبراطور ليو الأول يعمل على وجه السرعة لإنقاذ مدينة تسالونيكا فأرسل البطريق هيلاريانوس Hilarianus على رأس قوات لمواجهة ثيوديمير قرب المدينة، ولكن عندما وجد هيلاريانوس أنه لن يتمكن من صد الهجوم القوطي، فقد جتح إلى المعلم، وأرسل سفارة إلى ثيوديمير، وامتناع - عن طريق الهدايا - إنقاذ المدينة من الاحتلال، وتوصل الطرفان إلى اتفاقية تتنازل بمقتضاها للبيزنطيون إلى ثيودريك عن مدن كيروس Cynthus، وسيلا Pella^(٦٧٠)، يوروبيوس Europus، ميثوني Methone^(٦٧١)، بيدنا Pydna،

^(٦٦٦) مستوبي: مدينة رومانية في شمالي مقدونيا، في وادي الفردار Vardar، على الطريق الذي يربط مدينة تسالونيكا بوسط الدانوب. انظر: Alexander P.: op.cit., vol. III, pp. 1958- 1959.

^(٦٦٧) هيراكليا: مدينة تقع على الشاطئ للشمالي لبحر مارمارا Marmara. عند نقطة اتصال طريق أجناتيا Via Egnatia وطريق البلقان الرئيسي للمودي إلى نيسوس. انظر: Alexander: op.cit., vol. I, pp. 915- 916.

^(٦٦٨) لاريسا: مركزاً إدارياً وكنيسياً في شمالي Thessaly، يقع على الضفة اليمنى لنهر بنوس Peneios، عند نقطة اتصال الطرق للتسالية الرئيسية. انظر: Alexander: op.cit., vol. I, p. 1180.

Jordanes: op.cit., p. 69. ^(٦٦٩)

^(٦٧٠) بيلا: مدينة مشهورة، لأنها كانت مسقط رأس الإسكندر المقدوني. انظر: Bradley: op.cit., p. 137.

^(٦٧١) ميثوني أو (مودون Modon): مدينة تقع في أقصى الناحية الجنوبية الغربية من البيلوبونيز. وهي مركز بحري هام على الطريق بين بحر إيجه وإيطاليا. انظر: Alexander: op.cit., vol. II, p. 1356.

بيرويا Beroea^(٦٧٢) وديوم Dium، وعند ذلك وضعت الحرب أوزارها بين ثيوديمير وبيزنطة^(٦٧٣).

وهكذا، يمكن القول أن القوط الشرقيين قد انتقلوا من إقليم باتونيا إلى مقدونيا Macedonia في سنة ٤٧٣م.

ويعلق بعض المؤرخين قائلاً: إن الإمبراطور نيو الأول عندما وجد أنه غير قادر على الدفاع عن أراضيه تنازل عن أجزاء منها لقوط ثيوديمير للإقامة فيها^(٦٧٤).

وبذلك يمكن القول أن قوط ثيوديمير حققوا الهدف الذي غادروا من أجله بالونيا، كما أثبتت الأحداث أن الإمبراطورية البيزنطية كانت ضعيفة جداً - آنذاك - من الناحية العسكرية.

ولكن الأجل لم يطل بثيوديمير، فقد هاجمه المرض في مدينة كيروس، وعندما شعر بقرب نهايته جمع قومه، وعين ابنه ثيودريك وريثاً لمملكته، ثم فارق الحياة^(٦٧٥).

ويدهي أن ذلك كان في نهاية سنة ٤٧٣م أو بداية ٤٧٤م، وليس في عام ٤٧٥م كما ذكر أحد المؤرخين^(٦٧٦) أو ٤٧١م في رأي البعض^(٦٧٧).

وعلى أية حال، إن الأعمال العسكرية التي قام بها ثيودريك في الأراضي البيزنطية - بعد وفاة والده - يوجد بشأنها نقص كبير في المعلومات، وهذا يعود إلى صمت المصادر التاريخية عن تكرر ذلك.

^(٦٧٢) بيرويا: مدينة تقع في الطرف الغربي من السهل المقدوني وترتبط بإقليم مقدونيا. لُطقت عليها للمصادر في بعض الأحيان اسم بيرو - ستارا زاجورا - Beroe Stara Zagora. نظر:

Alexander: op.cit., vol. I, p. 284.

Gordanes: op.cit., p.69. Cf. Also, Jones: op.cit., vol.I, p.223, ^(٦٧٣)

Mourhed: op.cit.,p.35.

Treadgold: op.cit., p. 155. ^(٦٧٤)

Gordanes: op.cit., p. 69. Cf. also, Heather: op.cit., p. 158. ^(٦٧٥)

Oliver J.: op.cit., p. 46. ^(٦٧٦)

Cam. Med. His., vol. I, p. 471. ^(٦٧٧)

ورغم قلة المعلومات يذكر بعض المؤرخين أن ثيودريك قد غادر بشعبه المدن التي تنازل لهم عنها ليو الأول وتوجه إلى الدانوب، حيث مؤيزيا السفلى Lower Moesia^(٦٧٨)، وكان مركز المحاولة الثانية- الأولى كانت في بانونيا- لإقامة مملكة قوطية هو مدينة نوبا Nova^(٦٧٩)، وهناك بقى ثيودريك بن ثيوديمير حتى سنة ٤٨٨م، عندما توجه بقومه لإيطاليا^(٦٨٠).

والحقيقة، أنه لا يوجد هناك دليل على أن الإمبراطور ليو الأول وافق على انتقال القوط إلى مدينة نوبا، ولكن يبدو- أيضًا- أن ليو لم يقم بأية محاولة- آنذاك- لمنع هذا الاستيطان^(٦٨١). وهذا يعني أن هذه المحاولة تمت في نهاية سنة ٤٧٣م أو بداية ٤٧٤م، لأنها تمت في عهد ليو الأول، الذي مات في ٣ فبراير سنة ٤٧٤م.

وفي غضون ذلك، لحب كل من ثيودريك امسترابو وثيودريك بن ثيوديمير دوراً في الصراع الدائر على العرش البيزنطي. وفي ذلك تقول الأحداث، أن الإمبراطور ليو الأول مات في ٣ فبراير سنة ٤٧٤م، فخلفه حفيده، الذي يدعى- أيضًا- ليو، وكان طفلاً في السابعة من عمره، فانتقلت النيابة- بطبيعة الحال- لوالده زينو، الذي أنعم عليه ابنه بالتاج الإمبراطوري في ٩ فبراير من نفس العام، ولذلك عندما مات ليو الطفل، انفرد زينو بالعرش الإمبراطوري في ١٧ نوفمبر ٤٧٤م^(٦٨٢).

^(٦٧٨) مؤيزيا السفلى: ألفت الأقسام للشرقية من إقليم مؤيزيا، الذي يقع على حدود نهر الدانوب من فلوريا حتى لبحر الأمود. انظر:

Matthew Bunson: op.cit., pp. 281-282.

^(٦٧٩) نوبا: مدينة رومانية تقع في مؤيزيا السفلى (الثانية)، على الضفة اليمنى لنهر الدانوب: تقع قرب سوبشتوف Svistov الحديثة في بلغاريا وهي مركزاً عسكرياً حصيناً، انظر:

Alexander P.: op.cit., vol. II, p. 1497, Heather: op.cit., p. 158.

Wolfram: op.cit., p. 199; Bury: op.cit., vol. I, p. 412. ^(٦٨٠)

Bury: op.cit., vol. I, p. 412. ^(٦٨١)

^(٦٨٢) للمزيد من التفاصيل انظر:

Candidus: op.cit., vol. II, p. 467; Theophanes: op.cit., pp. 185-186; Pachale: op.cit., pp. 91-92. Evagrius S.: The Ecclesiastical History,

ولكن المقام لم يطلب لزينو في مدينة القسطنطينية، فقد حدث ضده انقلاب ساهمت فيه الإمبراطورة فرينا Verina، أرملة الإمبراطور ليو الأول، وأخوها باسيليسكوس، وثيودريك استرابو، وفي ٩ يناير ٤٧٥ هرب زينو من المدينة إلى ايزوريا (بأسيا الصغرى) فاعتلى باميكليسكوس العرش البيزنطي^(٦٨٣).

والحقيقة، أن الكتب المتاحة للباحث فكما لم تقدم له معلومات كافية عن نوعية المساعدة التي قدمها ثيودريك استرابو لمختصي العرش من الإمبراطور زينو، فإنها أيضاً لم تشر إلى نوعية العلاقة التي قامت بين الإمبراطور باسيليسكوس، للمختصب، وثيودريك استرابو، سوى ذكر أن ثيودريك حكم برتبة بطريق، والقائد العام للجيش الإمبراطوري، والحصول على بعض الأموال. ويبدو أن ذلك كان كل ما أنعم به باسيليسكوس على استرابو، ولكن العلاقات ما لبثت أن سادت بين الرجلين، لاسيما عندما سحب باسيليسكوس رتبة قائد للجيش وأنعم بها على أرماتئوس Amatus، أحد أفكاره^(٦٨٤).

والجدير بالذكر، أن جميع محاولات باسيليسكوس العسكرية للقضاء على زينو في ايزوريا قد باءت بالفشل، ودخل الأخير القسطنطينية - بدون مقاومة تذكر - في أغسطس سنة ٤٧٦م، ونفى باسيليسكوس وعائلته إلى كبادوكيا Cappadocia (بأسيا الصغرى)، حيث مات هناك، بسبب الجوع، في إحدى قلاعها^(٦٨٥).

Tr., by Michael Whitby, (Liv., Uni., 2000), pp. 99-100, Cf. also,

Bury: op.cit., vol. I, pp. 322-323, 389.

⁽⁶⁸³⁾ للمزيد من التفاصيل انظر:

Valesiani A.: Tr., by John C. Rolfo, in Ammianus Marcellinus, vol. II, p.

467; Candidus: op.cit., vol. II, p. 467; Theophanes: op.cit., p. 187. Cf.

also, Bury: op.cit., vol. I, pp. 390-391; Jones: op.cit., vol. I, p. 225.

Wolfram: op.cit., pp. 199-200; Jones: op.cit., vol. I, p. 225; Bradley: ⁽⁶⁸⁴⁾

op.cit., p. 139; Bury: op.cit., vol. I, p. 391; Cam. Med. His. Vol. I, p.

437.

Candidus: op.cit., vol. II, p. 469; Theophanes, op.cit., pp. 191-192; ⁽⁶⁸⁵⁾

Evagarius: op.cit., pp. 142-143; Valesiani: op.cit., vol. 3, p. 535, Cf.

also, Bury: op.cit., vol. T, pp. 392-393.

والمؤكد، أن زينو طلب المساعدة من ثيودريك بن ثيوديمير. وفي ذلك قالت إحدى المصادر: "إن الإمبراطور زينو عندما قوى في إقليم إيزوربا، أرسل - عند ذلك - إلى مدينة نوفاء، حيث ثيودريك، قائد القوط، وابن فالاميريكوس Valamericus كان يقيم، واستدعاه لكي يقدم له النجدة ضد باسيليسكوس"^(٦٨٦).

لكن ما هو دور ثيودريك بن ثيوديمير في إعادة زينو إلى العرش البيزنطي؟ هذا ما أغفلته المصادر تمامًا، وبالتالي أكد أمده ببعض القوات.

وعلى كل، كان لابد للإمبراطور زينو أن يصب غضبه على ثيودريك استرابو فجرده من جميع الامتيازات التي حصل عليها من قبل^(٦٨٧)، وفي الوقت نفسه أنعم على ثيودريك بن ثيوديمير بلقب بطريق، وكنصل، وولفق على إقامته مع شعبه في الأراضي التي استولى عليها في مؤيزيا السفلي، ووعدته براتب سنوي كبير، كما تبناه كإبنه، وأنعم عليه بالقيادة العليا للجيش الإمبراطوري^(٦٨٨). وهكذا، نرى أن قادة القوط أصبح لهم دورًا في السياسة الداخلية البيزنطية، هذا من ناحية. كما أن زينو جلب على نفسه عداوة ثيودريك استرابو من ناحية أخرى.

وكان لابد لثيودريك استرابو أن يرد ردًا عمليًا عتفًا على السياسة التي اتبعها الإمبراطور زينو ضده، فأقم على نهب منطقة تراقيا، كما تقدم إلى مدينة القسطنطينية فنهب ضواحيها حتى مصب البحر الأسود، ولم يثنه عن التوقف عن هذه الأعمال التخريبية سوى ما قاله بعض المؤرخين من أنه

Valesiani A.: op.cit., vol. 3, p. 535; Cf. also, Moorhed: op.cit., p. 16; ⁽⁶⁸⁶⁾

Brian Croke: Count Marcellinus and His Chronicle, (Oxford, 2001),

p. 62. Cf. also, Norwich J.J: Byzantium, (N.Y., 1981), p. 179.

Wolfram: op.cit., p. 200. ⁽⁶⁸⁷⁾

Valesiani: op.cit., vol. 3, p. 539; John of Nikiu: op.cit., vol. I, p. 7. ⁽⁶⁸⁸⁾

Cf. also, Bradley: op.cit., p. 139; Bury: op.cit., vol. 1, p. 413; Cam -

Med. His., vol., 1, p. 437, 474; William G. S.: op.cit., p. 463; Feather:

op.cit., p. 158.

تعرض لمؤامرة من قبل أقاربه-- لا نعرف الهدف منها- فعاد وتمكن من القضاء عليها^(٦٨١).

ويذكر البعض أن ثيودريك ارتكب أعمال إجرامية فظيعة في تراقيا، مثل قطع اليد اليمنى للأمرى الذين وقعوا في قبضته، حتى لا يعودوا للقتال ضده مرة أخرى^(٦٩٠).

ولكن عندما بدأت الأمور التي نهبها ثيودريك استرابو- من التراقيا- في النفاد، ولاح في الأفق أنه سيكون من الصعب الحصول على الطعام للجيش، والرواتب لقادته، فقد أرسل سفارة للإمبراطور زينو لطلب السلام وتولي قيادة الجيش، وبومها راحت السفارة تذكر الإمبراطور بأن الضرر الذي سببه ثيودريك استرابو للإمبراطورية كان أقل بكثير من الضرر الذي سببه ثيودريك بن ثيونيمير مع أنه قائد وصديق^(٦٩١).

وعندما طرح زينو مسألة السلام على ثيودريك استرابو على مجلس الشيوخ، طالبوا التصيحة، أجابوا عليه بأن خزنة الدولة لا توجد بها مولود مائية تكفي لتقسيم الإعانات والأجر إلى الثيودريكين، ثم تركوا له الأمر ليقرر أي القرين يجب عليه أن يختاره كصديق وحليف، وعند ذلك، استدعى زينو قواته، ومحاولة لإثارة حماسهم، وجه خطبة نارية إليهم ضد ثيودريك استرابو، ومن جملة ما قاله: "لقد استدعيتكم الآن راجعاً في سماع وجهة نظركم في تلك المسائل، لأنني على يقين من أن الأباطرة الذين يتقاسمون الرأي مع جندهم يعملون بأمان"، فأجاب الجنود بأن ثيودريك استرابو ومن يقف إلى جانبه الأعداء

Theophanes:

(689)

op.cit., p. 194.

الذي يذكر أن هذه الأحداث وقعت سنة ٤٧٧/٤٧٨.

Bradley: op.cit., p. 139. (690)

Malchus: op.cit., vol. II, p. 421. Cf. also, Jones: op.cit., p. 225; (691)

Heather: op.cit., p. 159.

للرومان^(٦٩٢). وهكذا، فقد رفض زينو للسلام مع ثيودريك استرابو، وتمسك بتحالفه مع ثيودريك بن ثيوديمير.

ومهما يكن من أمر، فإن زينو لم يقطع محادثات السلام مع ثيودريك استرابو على وجه السرعة، وعند ذلك، كتب ثلاثة من أصدقاء استرابو تقريراً له عما يحدث داخل القسطنطينية، كما أرسلوا له خطابات أخرى باسم موظفين كبار في المدينة، في محاولة منهم للإيحاء بأن له العديد من الأصدقاء هناك، وعندما اكتشفت المسألة ألقى القبض عليهم وعوقبوا بالجلد والنفي^(٦٩٣).

ويعلق أحد المؤرخين المعاصرين على رفض زينو للسلام مع استرابو موضحاً أن زينو اعتقد أن رغبة استرابو في السلام كانت علامة على ضعفه، ولهذا رفض العرض الذي تقدم به، وأعطى أوامر إلى قادته بمتابعة القتال ضده، ولكن قوط استرابو قاوموا بكل قوة، وتمكنوا من هزيمة القوات الرومانية^(٦٩٤).

وهنا عندما وجد زينو أن قوة ثيودريك استرابو أخذت في الزيادة لاسيما عندما انتف حول جمع غفير من القوط- في ذلك الوقت- وأنه أصبح يمثل خطراً على القسطنطينية- هذا في الوقت الذي راحت فيه قوة ثيودريك بن ثيوديمير تتضاءل- لجأ لإقامة السلام مع ثيودريك استرابو، فأرسل إليه سفارة تعرض عليه الآتي:

أولاً: إرسال ابنه إلى مدينة القسطنطينية كرهينة.

ثانياً: لتتلك المنطقة التي استولى عليها في تراقيا، بشرط الامتناع عن القيام بأية أعمال نهب وسلب في المستقبل.

(٦٩٢) وللمزيد من التفاصيل انظر:

Malchus: op.cit., vol. II, P. 421, 423. Cf. also, Bury: op.cit., vol. I, pp. 413-414; Treadgold: op.cit., p. 158; Wolfram: op.cit., p. 186; Heather: op.cit., pp. 158-159.

Malchus: op.cit., vol. II, p. 423. (٦٩٣)

Bradley: op.cit., p. 140. (٦٩٤)

ثالثًا: أن يعيـش (استرابو) على ممتلكاته كموطن وقائد عسكري مميز بين شعبه.

رابعًا: يمكنه (استرابو) أن يعيش في سلام، وإن يتعرض لأي اعتداء طالما أنه لن يتسبب في ضرر لأحد^(٦٩٥).

ولكن رد استرابو جاء مخيبًا للأمال، فقد رفض عروض الإمبراطور زينو، موضحًا أنه لن يسلم ابنه كرهينة، كما أنه لن يستطيع أن يعيش على ممتلكاته فقط، لأنه المسئول عن الإنفاق على جميع قومه، ومن ثم، فإن تلك الممتلكات لن تكفي، ولهذا سيقفل إلى جانب شعبه، لتوفير لهم حياة كريمة^(٦٩٦).

وتعليقًا على رفض استرابو لشروط السلام التي عرضها عليه زينو، يقول المؤرخ برادلي^(٦٩٧): إن هذا الرفض لم يأت من فراغ بل يعود إلى شعور استرابو بمدى قوته، بسبب تزايد عدد قوطة، كما أنه كان لديه بعض من الأصدقاء في القسطنطينية، ولذلك لن يكون من الصعب عليه دخولها واعتلاء العرش البيزنطي، عندما يسعى إلى ذلك.

وعلى أية حال، راح الإمبراطور زينو يعد العدة لحملة عسكرية ضخمة ضد استرابو، فاستدعى القوات من جميع أنحاء الإمبراطورية، ولكنه استبعد قائده إيلوس Illus ومارتينيانوس Martinianus من تولي قيادتها، لعجزهما عن التحكم فيها. وعند ذلك، أرسل سفارة إلى ثيودريك بن ثيودمير بطالبه بالقيام بواجباته كقائد روماني، وأن يتقدم على رأس قواته ضد ثيودريك استرابو، فرد ابن ثيودمير بسفارة موضحًا لزينو أنه لن يقوم بأي عمل عسكري ضد استرابو ما لم يقسم هو ومجلس الشيوخ على عدم عقد معاهدة سلام مع استرابو، وعند ذلك أقسم أعضاء مجلس الشيوخ وكبار رجال الدولة بأنهم لن يقوموا بذلك ما لم

Malchus: op.cit., vol. II, p. 427. Cf. also; Bury: op.cit., vol. I, p. 414; ^(٦٩٥)
Heather: op.cit., p. 159.

Malchus: op.cit., vol. II, p. 427; Jordan: op.cit., pp. 163-164. Cf. ^(٦٩٦)
also, Heather; op.cit., p. 159.

The Gothes, p. 140. ^(٦٩٧)

يكون زينو موافقاً، كما أقسم زينو على عدم كسر اتفاقه مع ثيودريك بن ثيوديمير ما لم يتم هو بذلك^(٦٩٨).

وهكذا نجد أن الإمبراطور زينو كان يسعى لجعل المواجهة قوطية قوطية وليست قوطية بيزنطية، لقد كان يهدف إلى أن يقضي القوط بعضهم على بعض.

ومهما يكن من أمر فقد صدق ثيودريك بن ثيوديمير وعود الإمبراطور زينو، وتحرك تجاه ترلقيا بقواته التي كانت محتشدة حول مدينة مرقيانوبوليس Markianopolis^(٦٩٩). ولقد كان مقرراً - طبقاً لاتفاق زينو مع سفراء ثيودريك - أن يقابله قائد القوات التراقية بألفي فارس وعشرة آلاف جندي مشاة عند وصوله ممر جبل هاموس Haemus، وعندما يعبر إلى تراقيا فسوف تنضم إليه قوة أخرى عند مدينة أديانوبل Adrianople، تتألف من عشرين ألفاً من المشاة وستة آلاف فارس، وإذا دعت الضرورة فسوف ترسل إليه قوات إضافية. ولكن أثناء تقدم ثيودريك بن ثيوديمير لم تقابله أية قوات، وكانت المفاجأة أنه عندما وصل إلى المنطقة السهلية التي يحيط بها جبل سونديس Sondis وجد نفسه وجهاً لوجه مع ثيودريك امترابو، الذي كان فوق الجبل^(٧٠٠). وهكذا، اتضحت خطة زينو.

وإجابة على سؤال حول سبب عدم مقابلة القوات البيزنطية لثيودريك بن ثيوديمير - كما كان متفقاً عليه - فقد تبين أن آراء المؤرخين في ذلك. فجونز^(٧٠١) أشار أنه ولأسباب غير معروفة لم تظهر القوات البيزنطية. في حين يقول

Malchus: op.cit., vol. II. P. 427, 429. Cf. also Burey: op.cit., vol. I, ^(٦٩٨) p. 414.

^(٦٩٩) مرقيانوبوليس: مدينة رومانية تقع في بلغاريا في Reka Devnia، على بعد ٣٠ كم غرب فارنا Varna على الطريق إلى الدانوب. انظر:

Alexander: op.cit., vol. II. Pp. 1301-1302.

^(٧٠٠) وللمزيد من التفاصيل. انظر:

Malchus: op.cit., vol. II, 429. Cf. also, Burns: op.cit., pp. 57-58; Heather: op.cit., p. 159; Bradley: op.cit., p. 141.

The Later Roman Empire, vol. I, p. 226. ^(٧٠١)

مؤرخ آخر: إن عدم مقابلة القوات البيزنطية لثيودريك إما أن يكون نقصاً في التدريب أو خيانة^(٧٠٢). والباحث من جانبه يتفق مع الرأي الأخير. فبدون شك كان عدم ظهور القوات البيزنطية مقصوداً، لقد كان زينو يأمل في التخلص من الرجلين بضرية واحدة. وهذا ما عبر عنه أحد المؤرخين بقوله: إن النزاع بين قادة القوط وصل إلى ذروته في سنة ٤٧٧-٤٧٨م، عندما وجدا نفسيهما مخدوعان بواسطة الإمبراطور زينو في تراقيا^(٧٠٣).

وعلى أية حال، كان ثيودريك بن ثيوديمير في وضع لا يحمد عليه، فقد كان من الصعب بل والمستحيل مهاجمة استرابو على قمة الجبل، كما كان من الصعب الارتداد بسبب الظروف الصعبة لقواته، ولذلك بقي لعدة أيام دون اتخاذ قرار، وربما كان الأمل ما يزال يراوده في وصول قوات الحلفاء البيزنطيين^(٧٠٤).

ومهما يكن من أمر، فعلى الرغم من حدوث بعض الاشتباكات بين الجانبين، وحدث أعمال نهب وسلب، فقد مال ثيودريك استرابو إلى السلم، ولذلك على مدى يومين متعاقبين كان يقترب من معسكر ثيودريك بن ثيوديمير ويتحدث بأعلى صوته موضحاً له أن اقتاده إلى الخيرة قد أودى بشعبه إلى التهلكة، كما أنه لا يفهم عقلية الرومان لأنهم في الوقت الذي يحتفظون فيه بالسلم، يرغبون في أن يمزق القوط كلاهما الآخر.....". ثم راح يسأله عن سبب ترميل النساء، وعن الفقر الذي حل بأغنياء شعبه، ثم صاح في النهاية قائلاً: لماذا، أيها المجرم، تعمل على تحطيم الشعب الذي أنتسب إليه؟^(٧٠٥).

إن مثل هذه الكلمات كانت لا بد وأن تؤدي إلى حدوث توتر بين قوط ثيودريك بن ثيوديمير، ولذلك كان مضطراً - نزولاً على رغبتهم - لعقد اتفاقية سلام مع ثيودريك استرابو، نصت على عدم دخول كلاهما في حرب ضد

Cam. Med. His., vol. I, p. 474. ⁽⁷⁰²⁾

Croke B.: op.cit., p. 62. ⁽⁷⁰³⁾

Bradley: op.cit., p. 141. ⁽⁷⁰⁴⁾

Malchus: op.cit., vol. II, p. 429, 431. Cf. also, Bradley: op.cit., p. ⁽⁷⁰⁵⁾

141; Bury: op.cit., vol. I, p. 415; Jones: op.cit., p. 226.

الأخر، وأقسما على الالتزام بهذه الاتفاقية^(٧٠٦). ويذكر المؤرخ بيوري^(٧٠٧) أن هذه الاتفاقية وقعت سنة ٤٧٨م.

وهكذا، جاءت الرياح بما لا تشتهي سفن الإمبراطور زينو، ففي الوقت الذي كان ينتظر فيه قدوم أخبار عن معركة حاسمة بين القوطيين، جاءت الأخبار باتفاقهما معاً، وأصبح لكلاهما مطالب لديه، بل وأصبح واضحاً للعيان أن "الكلب لن يأكل الكلب"، كما قال بعض المؤرخين المحدثين^(٧٠٨).

وهكذا استطاع الثعلب للعجوز أن يقنع الأسد للشاب أن عملهما يقتضي اتحادهما معاً^(٧٠٩).

وفي سنة ٤٧٨م^(٧١٠) وصلت سفارتي ثيودريك بن ثيوديمير وثيودريك استرابو إلى القسطنطينية، ويومها اتهم ابن ثيوديمير الإمبراطور زينو بعدم أمانته، وأخبره أنه لم يتوصل لاتفاق مع استرابو إلا بعد عدم تلقيه القوات التي وعدت بها بيزنطة، وطالب بالآتي:

أولاً: أن يخصص له الإمبراطور منطقة في البلقان يعيش فيها مع شعبه.

ثانياً: أن يزوده بكميات كافية من القمح لإعائته قواته حتى موعد الحصاد للتالي.

ثالثاً: أن يحصل على نصيبه من دخل الدولة - وأقصى سرعة ممكنة - باعتباره قائد روماني، ولوعز أنه - في حالة عدم تنفيذ هذه المطالب - لن يكون قادراً على كبح جماح جنوده عن النهب، لكي ينفقوا على أنفسهم^(٧١١).

Malchus: op.cit., vol. II, p. 431. ⁽⁷⁰⁶⁾

History of The Later Roman Empire, vol. I, p. 415; William G.: ⁽⁷⁰⁷⁾

op.cit., p. 463.

أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى طه بدر، (القاهرة، ١٩٥٧م) ص ٥٠. ⁽⁷⁰⁸⁾

هامرتن أ. ج: تاريخ العالم، ترجمة قسم لترجمة بوزارة لثربية والتعلیم ج ٤: (القاهرة، ⁽⁷⁰⁹⁾

د.د.ص، ص ٢٧٣.

Moorhed: op.cit., p. 16. ⁽⁷¹⁰⁾

Malchus: op.cit., vol. II, p. 431; Gordon: op.cit., p. 166. Cf. also, ⁽⁷¹¹⁾

Jones: op.cit., p. 226.

أما بخصوص ثيودريك استرابو فقد طالب بالآتي:

أولاً: تنفيذ الاتفاقية التي عقدت مع الإمبراطور ليو الأول سنة ٤٧٣م حرفياً.

ثانياً: حصوله على مستحقاته المالية التي لم يحصل عليها منذ سنة ٤٧٦م، والاستمرار في دفعها بعد ذلك.

ثالثاً: أن يتم تسليمه كل أقاربه الموجودين في القسطنطينية، وإذا كانوا قد ماتوا فيجب على القائد إوس ورفاقه أن يقسموا على ذلك^(٧١٢).

وعلى كل، في الوقت الذي صممت فيه كتب التاريخ عن الإشارة إلى رد زينو على مطالب ثيودريك استرابو^(٧١٣)، فقد ذكرت أن الإمبراطور الخائن لم يكن أمامه سوى اللجوء لرشوة أحد الحلفاء ليخون الآخر^(٧١٤)، وهذا الحليف هو ثيودريك بن ثيوديمير، الذي رد عليه زينو متهمًا إياه بالخيانة، لأنه وعد بدخول الحرب متفردًا ضد استرابو، ثم طلب قوات رومانية، ولكنه تصالح سرًا معه^(٧١٥). والحقيقة، أن الإمبراطور هنا يحاول أن يبرر موقفه لثيودريك بن ثيوديمير.

ومهما يكن، فقد وعد الإمبراطور يكو ثيودريك بن ثيوديمير بأنه إذا أعلن الحرب على استرابو، فإنه سيعطيه - إذا انتصر عليه - ١٠٠٠ جتية من الذهب، و ٤٠٠٠٠ ألفاً من القضة، وإعانة مالية سنوية تقدر بحوالي ١٠,٠٠٠ آلاف نوميزماتا Nomismata^(٧١٦)، ويد ابنة أوليبيروس، أو أية سيده أخرى يرغب في الزواج منها من نساء الطبقة الأرستقراطية، ثم أنعم زينو على

^(٧١٢) Malchus: op.cit., vol. II, p. 431.

أقاربه هم عائلة أسبار. انظر:

Cam. Med. Hist., vol. I, p. 475.

Bury: op.cit., vol. I, p. 415; Gordon: op.cit., p. 167. ^(٧١٣)

Bradley: op.cit., p. 142. ^(٧١٤)

Malchus: op.cit., vol. II, p. 433. ^(٧١٥)

^(٧١٦) النوميزما Nomisma: كلمة تعني في الغالب "عملة" ولكنها تستخدم بصفة خاصة لقبول العملة الذهبية بـ ٢ قران، وهي التي شكلت أساس العملة في نهاية الإمبراطورية الرومانية وبيزنطة. انظر:

Alexander: op.cit., vol. II, p. 1490.

أعضاء السفارة ببعض الرتب، وبعث بعد ذلك سفارتين ثيودريك بن ثيوديمير لاستمالة إلى جانبه، ولكن جهوده ضاعت سدى^(٧١٧).

وعند ذلك راح زينو يستعد للحرب، وأعلن عن توليه القيادة بنفسه، وراح يحث الجنود على القتال، ومن ثم، فإن هذا الهدف خلق حماساً شديداً بين الجنود، الذين نجحوا - آنذاك - في إلقاء القبض على جواسيس ثيودريك بن ثيوديمير. ولكن في اللحظة الأخيرة تراجع زينو عن قيادة الجيش، فهدوا بإعلان الثورة وخلعه، ولم ينقذ الموقف سوى عودة القوات لسكناتها الشتوية^(٧١٨). وعن سبب تخلي الإمبراطور زينو عن قيادة الجيش، يقول بعض المؤرخين: "إنه كان متردداً، جُبِلَ على الجبن الذي كان يميز شخصيته"^(٧١٩). وربما وجد - أيضاً - أن المواجهة مع القوط - متحدين - لن تكون في صالحه.

وعندما سرح زينو قواته، وجد أنه من الواجب عليه تطييب خاطر ثيودريك استرابو، وعقد اتفاقية سلام معه بالشروط التي يوافق عليها، ولذلك عندما وصلت سفارة زينو إلى ثيودريك استرابو، عُقد السلام بين الطرفين بالشروط الآتية:

أولاً: أن يتمهد زينو بتقديم المؤن والرواتب لثلاثة عشر ألفاً من أتباع ثيودريك.

ثانياً: أن يتم تعيين استرابو قائداً لفرقتي الحرس الإمبراطوري Scholae، وبمعنى آخر منصب سيد الجند في حضور الإمبراطور.

ثالثاً: يتسلم استرابو جميع أملاكه السابقة.

رابعاً: يتم تعيينه حاكماً عسكرياً.

^(٧١٧) Malchus: op.cit., vol. II, p. 433; Bury: op.cit., vol. I, p. 415; Cam. Med. His., vol. I, p. 476.

يذكر بيوري أن ابنه أوليبيوس - الإمبراطور الغربي - هي جوليانا Juliana.

^(٧١٨) Malchus: op.cit., vol. II, p. 433; Gordon: op.cit., pp. 167-168.

^(٧١٩) Malchus: op.cit., vol. II, p. 433.

خامساً: فيما يتعلق بأقارب استرابو، فقد ذُكر أنهم إذا كانوا قد ماتوا، فالمسألة تعدّ منتهية، أما إذا كانوا أحياء فيجب أن تعطي لهم كل ممتلكاتهم، وأن يستوطنوا المدينة التي يحددها لهم زينو^(٧٢٠).

ولم يتوان زينو عن تنفيذ هذه الاتفاقية، فقام على الفور بعزل ثيودريك بن ثيوديمير من منصبه "كسيد للجند" وعين استرابو بدلاً منه، كما أرسل الأموال - على وجه السرعة - إلى قوات استرابو^(٧٢١).

وتعليقاً على هذه الاتفاقية يقول أحد المؤرخين المحدثين: عندما فشل زينو في شراء ابن ثيوديمير ضد استرابو سعى لشراء استرابو، وفي هذه المعاملة كلل بالنتجاء، فثيودريك استرابو الذي تحدث عن الجهل والخبث والبيع للأعداء والحرب بين الإخوة، لم يكن يمانع في التحالف مع بيزنطة ضد قومه، إذا كان السعر المعروض مغرياً^(٧٢٢). والباحث من جانبه يرى أن الإمبراطور زينو كان يسعى بكل قوة لعدم حدوث تحالف بين الثيودريكين، لاسيما وأن ذلك سيمثل خطورة عسكرية على الأراضي البيزنطية في البلقان، ومن ثم، كان يلعب مع الطرفين بالمال والمناصب التي كان يشتهيها القوط.

وطبعي كان لا بد أن يؤدي اتفاق ثيودريك استرابو مع الإمبراطور زينو إلى غضب ثيودريك بن ثيوديمير، بسبب خيانتته من قبل زينو^(٧٢٣). فتقدم على رأس قواته إلى المنطقة القريبة من جبال رودوب Rodope، وأعمل الذهب والسلب في أراضي الفلاحين وقتل الكثير منهم. والجدير بالذكر أنه عندما علم ثيودريك استرابو بذلك قال: 'إنني سعيد بما يحدث حتى الآن، لاسيما وأن الشخص الذي يرتكب هذه الأفعال كان يسمى، يوماً ما "صديق" و"ابن"^(٧٢٤).

Op.cit., vol. II, p. 435. Cf. also, Burns: op.cit., p. 58; Jones: op.cit.,⁽⁷²⁰⁾
vol. I, p. 226.

Malchus: op.cit., vol. II, p. 435. Cf. also, Bury: op.cit., p. 416.⁽⁷²¹⁾

Bradley: The Goths, p. 142.⁽⁷²²⁾

Burns: op.cit., p. 58.⁽⁷²³⁾

Malchus: op.cit., vol. II, p. 435.⁽⁷²⁴⁾

ولكن تحت ضغط القوات الرومانية، التي سببت خسارة كبيرة لثيودريك في الأرواح، فقد تقدم إلى مقدونيا خلفاً وراءه الخراب والدمار، فانقض على مدينة ستوبي (في شمال مقدونيا)، أول مدينة قابلته هناك، وقام بذبح حاميتها، لأميما عندما قاومتها، ثم تقدم تجاه مدينة سالونيك، التي اشتعلت للثورة بها- آنذاك- لأن سكانها أيقنوا أن زينو يرغب في تسليم مدينتهم إلى القوط، وانتهت الثورة بعزل يوحنا، حاكم المدينة، وتسليم مفاتيحها إلى كبير الأساقفة، واستعدوا للدفاع عنها^(٧٢٥). وهذا دليل واضح، كما ذكر بعض المؤرخين، على أن شعب مدينة سالونيك فقد الثقة في الحاكم العلماني، ولذلك اعتبروا رجال الكنيسة هم الذين يمكن أن يدافعوا عنهم ضد الظلم الإمبراطوري^(٧٢٦).

وعندما شعر زينو بخطورة الموقف في البلقان، سعى لعقد اتفاقية مرضية مع ثيودريك بن ثيوديمير، فبعث إليه سفارة، وبعد عتاب طويل من قبل أعضاء السفارة له على عدم محافظته على ثقة الإمبراطور فيه، طالبوه بالتوقف عن التخريب في أراضي الإمبراطورية، وإرسال سفارة لكي تهدئ غضب الإمبراطور، فاستجاب لرأي السفارة، ولكن على الرغم من أنه كبح جماح قواته عن النهب والسلب والقتل، فقد حدثت بعض التجاوزات، بسبب حاجة القوط إلى المؤن. في غضون ذلك، نجت مدينة هيركلية والأراضي المجاورة لها من منبحة مروعة، وذلك لأن أسقف المدينة قدم لثيودريك وقواته الكثير من الهدايا، عندما وصلوا إلى هناك^(٧٢٧).

أما بخصوص سفارة ثيودريك بن ثيوديمير التي وصلت إلى القسطنطينية- في ذلك الوقت- فقد استجاب الإمبراطور زينو لمطالبها المتعلقة بإرسال سفارة- على وجه السرعة- لثيودريك لوضع النقاط على الحروف. ولذلك عندما تقابل أدمانتوس Adamentius، سفير زينو، مع ثيودريك-

Op.cit., vol. II, p. 437. Cf. also, Burns: op.cit., p. 58. ⁽⁷²⁵⁾

Bury: op.cit., vol. I, p. 416. ⁽⁷²⁶⁾

Malchus: op.cit., vol. II, p. 437; Gordon: op.cit., p. 170. Cf. also, ⁽⁷²⁷⁾

Croke B.: op.cit., p. 62.

ويذكر أحد المؤرخين أن هذه الحوادث وقعت سنة ٤٧٩م. انظر:

Treadgold: op.cit., p. 159.

بالتقرب من سالونيكاً- عرض عليه الاستقرار في بوتاليا Pautalia^(٧٢٨)،
والحصول على مائتي جنيه من الذهب لمعونة قواته خلال عام ٤٧٩م، لأنه لن
يكون هناك حصاد في غضون ذلك^(٧٢٩). وهذا يعني أن هذه الأحداث وقعت في
النصف الثاني من عام ٤٧٩م.

والسؤال: لماذا اختار الإمبراطور بوتالي لكي يتنازل عنها لثيودريك بن
ثيوديمير؟

يجيب على هذا السؤال المؤرخ البيزنطي مالخوس^(٧٣٠)- مؤرخ هذه
الفترة- موضحاً أن هدف زينو من اختيار بوتاليا كان لوضع ثيودريك بن
ثيوديمير على مقربة من ثيودريك امترابو، فإذا ما ثار الأخير تصدى له الأول،
كما أنه إذا نقض بن ثيوديمير اتفاقه مع بيزنطة وأعلن الثورة فسيكون من السهل
القضاء عليه، لوقوعه بين القوت الأليزية والتراقية.

وعلى أية حال، لقد رفض ثيودريك بن ثيوديمير عروض الإمبراطور
زيلو، وذلك لأنه كان يدرك أن الأراضي التي تتناسبه للاستقرار فيها توجد
بساحل الأدرياتيك، وذلك لجودتها^(٧٣١).

وعندئذ، بحث ثيودريك بن ثيوديمير إلى سيديموند Sidimund- قوطي
كان يعيش في منطقة أيبروس Epirus^(٧٣٢)- يطلب منه مساعدته في الاستيلاء
على مدينة أيداملوس Epidamnus، (ديراخيوم Dyrhachium) (دوراز

⁽⁷²⁸⁾ بوتاليا: مدينة تقع على الطريق بين ستوبى ومرديكا، في إقليم داردانيا، ولم تكن إقليمًا.
انظر:

Malchus: op.cit., vol. II. P. 460 (not. 47).

Malchus: op.cit., vol. II, 439. Cf. also, Burns: op.cit., p. 59; Bury: ⁽⁷²⁹⁾
op.cit., vol. I, pp. 416-417; Bradley: op.cit., p. 143.

In Fragmentary Classicising Historians, vol. U, p.439. Cf. also, ⁽⁷³⁰⁾
Gorden: op.cit., p. 171.

Burns: op.cit., p. 59. ⁽⁷³¹⁾

⁽⁷³²⁾ أيبروس: إقليم روماني يقع في جنوب غرب اليونان، على ساحل للبحر الأيوني،
Ionain. انظر:

Matthew Bunson: op.cit., p. 147.

(Durazzo)، على ساحل الأدرياتيك، ليأخذها موطناً له، بسبب حصانها وبالفعل تمكن سيديموند من إقناع أهلها - عن طريق الخديعة - أن الإمبراطور زينو تترك عن مدينتهم للقوط، فقاموا بإخلائها على وجه السرعة^(٧٢٢).

وعندما وصل سفير سيديموند إلى ثيودريك بن ثيوديمير، ليخبره أن للمدينة أصبحت مهياة لاستقباله، غادر المنطقة على الفور، ولكن بعد أن حرق قسماً كبيراً من مدينة هيراكلية، لاسيما بعد أن رفض سكانها تزويده بالمؤن. ثم تقدم على رأس قواته عبر طريق اجنتيا، الذي يخترق جبال سكاردوس Scardus، فوصل إلى ليكنيدوس Iychnidus^(٧٢٤)، ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها بسبب حصانها، ومقاومة أهلها، ورغبة في عدم التأخير، فقد واصل معبره، حيث امتولى على مدينة سكامبه Scampae^(٧٢٥). وفي النهاية، عندما وصل إلى مدينة ابيدامنوس، فقد امتولى عليها بسهولة، لاسيما وأن حاميتها التي كانت تقدر بحوالي ٢٠٠٠ جندي كانت قد غادرتها آنذاك^(٧٢٦).

وعلى كل، عندما علم أدامانتيوس باحتلال ثيودريك بن ثيوديمير لمدينتي سكامبه وأبيدامنوس، أرسل إليه سفارة على وجه السرعة، حيث أخبره أنه ما كان يجب عليه أن يقوم بأية أعمال مناقضة لوعوده السابقة، كما طالبه بالتوقف عن أعماله العدوانية والبقاء في مكانه حتى يصل إليه، وطالبه أيضاً بأن يرسل إليه سفارة لتقديم الالتزامات بضمن سلامته (سلامة أدامانتيوس)^(٧٢٧).

Malchus: op.cit., vol. II, p. 439, 414. Cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. ⁽⁷²³⁾ 414; Heather: op.cit., p. 161.

⁽⁷²⁴⁾ ليكنيدوس (ليكاندوس Ijkanodos): قلعة في جبال أنتيكروروس Antitaurus جنوب شرق البيستان Elbistan - Alexander: op.cit., vol. II, p. 1258. في حين يقول للبعض أنها مدينة بنيت في موضع حصين على ساحل بحيرة أوكريدا Ochrida. انظر: Bury: op.cit., I, p. 417. (not. 2).

⁽⁷²⁵⁾ سكامبه: مدينة هامة جداً تقع بين ليكنيدوس وديرلخيوم. انظر: Bury: op.cit., vol. I, p. 417.

⁽⁷²⁶⁾ والمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث. انظر:

Malchus: op.cit., vol. II, p. 441, 443; Gordon: op.cit., pp. 171-173. Cf. also, Burns: op.cit., p. 59; Bury: op.cit., vol. I, 417.

Malchus: op.cit., vol. II, p. 443; Gordon: op.cit., p. 173. ⁽⁷²⁷⁾

غادر أدامانتئوس مدينة تسالونيكيا، فصول إلى مدينة الرها Edessa^(٧٣٨)، وعندما تقابل هناك مع سابينيانوس Sabinianus سلمه منشوراً من قبل زينو لتعيينه قائداً عسكرياً لألبيريا بدلاً من أونولف Onulf. وخلال المناقشات التي دارت بين أدامانتئوس وسابينيانوس اتضح عدم إمكانية مهاجمة ثيودريك بن ثيودمير دون حشد جميع القوات المبعثرة في الإقليم، ومن ثم صدرت الأوامر باستدعاء تلك القوات. وفي غضون ذلك كان السفير الذي أرسله أدامانتئوس قد عاد وبصحبته سفير ثيودريك، الذي وعد أدامانتئوس بضمان سلامته^(٧٣٩).

ولكن يبدو أن أدامانتئوس كان يشك في نوايا ثيودريك بخصوص ضمان سلامته، فأرسل إليه سفارة تطالبه بأن يقبله في مكان قريب من ليكنيدوس، أما إذا رغب في أن تكون المقابلة في مدينة أبيدامنوس فعليه أن يرسل بعض الرهائن إلى مدينة ليكنيدوس، على أن يتم إطلاق سراحهم بعد عودته، فوافق ثيودريك، ولكن بشرط أن يقسم سابينيانوس على ضمان عودة الرهائن، غير أن سابينيانوس رفض، ولذلك لم يرسل ثيودريك الرهائن وتآزم الموقف بين الطرفين^(٧٤٠).

والحقيقة، أنه إذا كان مالخوس^(٧٤١) قد ذكر أن السبب في عدم قيام سابينيانوس بإداء اليمين هو أنه لم يقسم من قبل بخصوص أي موضوع، وأنه لن يغير مبادئه، كما قال سابينيانوس نفسه، فربما يكون ذلك هو السبب المعلن فقط، أما السبب الخفي فهو رغبة سابينيانوس في قتل مساعي أدامانتئوس لإقامة السلام مع ثيودريك، ورغبة أيضاً في خوض الحرب ضد القوط، حتى ينال الرعاية من قبل زينو.

⁽⁷³⁸⁾ لارها: تقع في جنوبي مقدونيا على طريق أجناتيا، وتتحكم في الدخول إلى الجبال. كانت في القرن السابع عبارة عن أسقفية. ظهر اسمها السلافي الحديث فودينا Vodena لأول مرة عندما استولى باسيل الثاني على حصن فروريون Phourion سنة ١٠٠١ م. انظر:

Alexander: op.cit., vol. III, p. 2185.

Malchus: op.cit., vol. II, p. 443. ⁽⁷³⁹⁾

Op.cit., vol. II, p. 445. Cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 418. ⁽⁷⁴⁰⁾

In Fragmentary Classicising Historians..., vol. II, p. 443, 445. ⁽⁷⁴¹⁾

ولكن كيف تخلص أدامانتيوس من هذا المأزق؟. تقول الرواية التاريخية أن الرجل اصطحب معه مائتي جندي، ومع غروب الشمس، تملق ممرات وعرة لم تطأها حوافر الخيل من قبل، حتى وصل إلى إحدى القلاع الحصينة، والتي كان يفصلها عن مدينة أيدامنوس خندق عميق يتدفق الماء خلاله، وإلى هناك - وبناء على رسول أدامانتيوس - وصل ثيودريك بن ثيوديمير، في عدد قليل من رجاله إلى الضفة الأخرى للخندق^(٧٤٢).

ودارت بين الرجلين محادثة، لن نخوض في تفاصيلها الطويلة، وخلصتها أن ثيودريك بن ثيوديمير ألقى باللائمة على الإمبراطور زينو، لأنه لم يف بوعوده معه، لاسيما الوعود الخاصة بحملته ضد ثيودريك استرابو، ولذلك كان مضطراً لإقامة السلام معه. أما أدامنطيوس فقد راح يذكر ثيودريك بالوظائف التي أنعم بها زينو عليه، والتي لا يحصل عليها سوى القادة الرومان الكبار، كما اتهمه أيضاً بأنه تصرف بحماقة عندما استولى على المدن البيزنطية في الوقت الذي كان ينتظر فيه قدم سفارة زينو، وفي النهاية راح أدامانتيوس يطالب ثيودريك بمغادرة جميع المدن التي امتولى عليها، بما فيها، أيروس والاستقرار في داردانيا Dardania، بإقليم ألبانيا، حيث توجد هناك منطقة واسعة تربتها خصبة، وخالية من السكان، وستكون كافية لمساعدة قواته^(٧٤٣).

وبالتأكيد، كان البيزنطيون يسمون لإبعاد القوط الشرقيين عن المدن الواقعة بالبalkan، على السواحل الشرقية للأدرياتيك، لأن ذلك ربما يفصل بينهم وبين إيطاليا.

وعلى أية حال، في الوقت الذي أبدى فيه ثيودريك استعداد له لقبول عرض أدامنطيوس، فقد ذكر أن أتباعه - وبسبب الأخطار الجديدة التي تعرضوا لها - سيمسكون بقضاء الشتاء في أيروس، وهو من جانبه لن يسمح لهم بالإشارة على أية مدن أخرى، كما عرض ثيودريك أنه إذا سُمح له بقضاء

⁽⁷⁴²⁾ Malchus: op.cit., vol. II, p. 445; Gordon: op.cit., pp. 174-175.

⁽⁷⁴³⁾ والمزيد من التفاصيل انظر:

Malchus: op.cit., II, p. 445, 447, Gordon: op.cit., pp. 175-176. Cf. also,

Bury: op.cit., vol. I, pp. 418-419.

القتاء في أبيدامتوس فإنه سيرحل إلى داردانيا في الربيع التالي^(٧٤٤). وأضاف أنه على استعداد أن يترك أمتعته والمدنيين من قومه في أية مدينة يختارها الإمبراطور زينو، وأن يقدم والدته وأخته كرهائن - لإظهار حسن نيته - وذلك في مقابل السماح له بخوض الحرب ضد ثيودريك استرايوا بس ٦٠٠٠ آلاف من خيرة قواته وبمساعدة الجيش البيزنطي، ولكن بشرط، أنه عندما يقضي على قوط استرايوا في تراقيا، فيجب أن يُعين قائداً عسكرياً بدلاً من استرايوا، وأن يستقبل في مدينة القسطنطينية كما لو كان مواطناً رومانياً. كما عرض أنه مستعد - إذا أمر زينو - أن يذهب إلى دالماتيا Dalmatia، لإعادة الإمبراطور للغربي نيبوس (٤٧٣-٤٧٥م) Nepos، المنفي هناك بواسطة أورمستيس Orestes، الذي استولى على العرش الإيطالي آنذاك. وعلى كل، لم يكن أدامنتوس قادراً على أن يعد بشيء، حيث كانت الضرورة تقتضي أن يرسل سفيراً لزينو لاستشارته، وهكذا، انتهت المقابلة^(٧٤٥). وإذا كانت لم تسفر عن أية نتائج تذكر، فقد أظهرت مدى الكراهية المتبادلة بين قوط تراقيا وقوط مقنونيا في البلقان.

ولكن ثيودريك بن ثيودمير تعرض، في غضون ذلك، لضربة موجعة، حيث ذكرت المصادر التاريخية أنه أثناء التفاوض مع أدامنتوس، انقض مابيديانوس بقولته على مؤخرة الجيش القوطي، التي كان يتولى قيادتها، ثيوديموند، أخ ثيودريك، والتي لم تكن قد وصلت بعد إلى مدينة أبيدامتوس (ديراخيوم)، فأنزل بها هزيمة قاسية، واستولى على أمتعتها، وعلى عربات النقل

Gordan: op.cit., p. 176. Cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 420; Jones: ⁽⁷⁴⁴⁾ op.cit., vol. I, pp. 226-227.

Matchus: op.cit., vol. II, p. 447. Cf. also, Jones: op.cit., p. 227; ⁽⁷⁴⁵⁾ Burns: op.cit., p. 63; Norwich: op.cit., pp. 171-172.

ويغرد أحد المؤرخين المحدثين بذكر، أن ثيودريك عرض على أدامنتوس استخدام الـ ٦٠٠٠ ألف جندي لإعادة الاستيلاء على إيطاليا من لودواكر. انظر:

Heather: op.cit., p. 161.

التي بلغت ٢٠٠٠ عربية، وأسر حوالي ٥٠٠٠ آلاف. ويومها أفلت ثيوديموند ووالدته من الوقوع في الأسر بإعجوبة^(٧٤٦).

وبعد القضاء على مؤخرة الجيش القوطي، تلقى الإمبراطور زينو سفارتين، إحداهما من ادامانتيوس، تعرض اقتراحات ثيودريك ابن ثيوديمير، والأخرى من القائد سابينيانوس بالغت في انتصاره، وأعلنت للإمبراطور أنه ليست هناك حاجة لإقامة سلام مع القوط، وذكرت له السبب، وهو إما طردهم من البلقان، أو إضعافهم لأقصى درجة^(٧٤٧).

واختار زينو طريق الحرب، وذلك لأنه - كما ذكر بعض المؤرخين المحدثين - لم تكن لديه نية لاستبدال قائد قوطي بآخر^(٧٤٨). كما أن الحرب أفضل له بكثير من السلام المعزى^(٧٤٩)، فأصدر أوامره إلى سابينيانوس بمواصلة القتال ضد ثيودريك بن ثيوديمير، واستدعى ادامانتيوس من مدينة ليكنيدوس^(٧٥٠).

وبالعمل استطاع سابينيانوس محاصرة ثيودريك بن ثيوديمير في أبيروس، حتى تم اغتياله في سنة ٤٨٢م بأمر زينو نفسه^(٧٥١).

ويعلق بعض المؤرخين على اغتيال سابينيانوس موضحاً، أن الإمبراطورية حُرمت من مجهود أحد القادة الرومان العظام، الذي كان يمكن أن يخلصها من القوط، لقد كان سابينيانوس بمثابة الشمعة المضيئة في النفق المظلم

Malchus: op.cit., vol. II, p. 447, 449, Cf. also, Bradley; op.cit., p. ⁽⁷⁴⁶⁾

143, Wolfram: op.cit., p. 275; Burns: op.cit., p. 63.

ويذكر بعض للمؤرخين أن هذه الأحداث وقعت سنة ٤٧٩م. انظر:

Bury: op.cit., vol. I, p. 42.

ولكن ما هو مصير أخت ثيودريك؟ هذا ما لم تشر إليه كتب التاريخ، ويبدو أنها وقعت في الأسر.

Gordon: op.cit., p. 178. ⁽⁷⁴⁷⁾

Burns: op.cit., p. 63. ⁽⁷⁴⁸⁾

Malchus: op.cit., vol. II, p. 449. ⁽⁷⁴⁹⁾

Loc.cit. Cf. also, Croke B.: op.cit., p. 62. ⁽⁷⁵⁰⁾

Burns: op.cit., p. 63. ⁽⁷⁵¹⁾

في ذلك الوقت^(٧٥٢). وربما كان زينو لا يرغب في قائد عسكري قوي، يمكن أن يقوم بثورة ضده في يوم ما.

وفي سنة ٤٧٩ قاد مارقيان Marcian^(٧٥٣) ثورة في مدينة القسطنطينية كان الهدف منها الإطاحة بالإمبراطور زينو، ولكن بعد نجاح لم يدم سوى الليل تم القضاء عليها^(٧٥٤).

والمؤوال الذي يطرح نفسه الآن، هل كان ثيودريك استرابو ضالغاً في هذه الثورة؟.

لقد أجاب الكثير من المؤرخين بأن ثيودريك استرابو كان ضالغاً في ثورة مارقيان، حيث وجد أنه من الأفضل للتحالف معه بدلاً من زينو. ولكن المؤرخين لم يبينوا لنا نوع المساعدة التي قدمها ثيودريك إلى مارقيان. وبسببه أن ذلك يعود إلى صمت المصادر التاريخية. وفي الوقت نفسه يجب علينا أن ندرك أن ما دفع المؤرخين للقول بأن ثيودريك كان ضالغاً في ثورة مارقيان، هو هروب أخويه بركوبوس Procopius ورومولوس Romulus، إلى ثيودريك، عندما تم القضاء على ثورة مارقيان^(٧٥٥)، هذا من ناحية. وكذلك تقدم ثيودريك إلى القسطنطينية عندما سمع بالثورة، من ناحية أخرى^(٧٥٦).

John of Antioch · In Gordon: op.cit., p. 181. Cf. also, Croke B. ⁽⁷⁵²⁾

op.cit., pp. 65-66; Wolfram: op.cit., p. 200.

⁽⁷⁵³⁾ مارقيان: هو ابن الإمبراطور الغربي أنثيموس (٤٦٧ - ٤٧٢) Anthemius، وزوج

ليونيا Leontia، ابنة الإمبراطورة فرينا والإمبراطور ليو الأول. انظر:

Theophanes: op.cit., p. 193; Evagarius: op.cit., p. 161. (Not. 81).

⁽⁷⁵⁴⁾ للمزيد من التفاصيل. انظر:

Candidus: op.cit., vol. II, p. 469; Theophanes: op.cit., p.193; Evagarius:

op.cit., p.161.

Heather: op.cit., p. 162; Bury: op.cit., vol. I, p. 421; Corke B.: ⁽⁷⁵⁵⁾

op.cit., p. 63; Jones: op.cit., vol. I, p. 227; Treadgold: op.cit., p. 159;

Cam. Med. His., vol. I, p. 476.

Malchus: op.cit., vol. II, p. 451. ⁽⁷⁵⁶⁾

والجدير بالذكر، أن ثيودريك استرابو عندما تقدم على رأس قواته تجاه القسطنطينية أعلن "أنه يرغب في الدفاع عن الإمبراطور والمدينة" وهذا يكون السبب المعلن، أما السبب الخفي فهو "مهاجمة المدينة والإمبراطور"، ولقد كان الجميع يعلم هذه الحقيقة^(٧٥٧).

وفي غضون ذلك، معى زينو لمنع ثيودريك استرابو من دخول القسطنطينية، فبعث إليه برسول لكي يشكره على مروءته ويطلبه بالعودة إلى تراقيا، لأنه لم يعد في حاجة إلى مساعدته، لاسيما وأن دخوله المدينة سوف يزيد من مشاكلها الداخلية، ولكن ثيودريك الذي رد بأنه سينفذ طلبات الإمبراطور، راح يماطل متعللاً بأن قولته مجهدة، وأنه مسعود، ولكن بعد حصولها على قسط من الراحة. ولم يكن هذا هو السبب الحقيقي في مماطلة ثيودريك في العودة، بل السبب هو للتأني، فربما يتمكن من الاستيلاء على القسطنطينية، ولقد كان زينو يدرك هذه الحقيقة. وفي النهاية أمكن شراء ثيودريك استرابو بالأموال، ففعل عائدًا، ولاسيما عندما أدرك أن دخوله المدينة سيؤدي لإشعال النار فيها من قبل الأيزوريين، بسبب كراهيتهم للقوط^(٧٥٨)، وهكذا تمكن الإمبراطور زينو من إنقاذ مدينة القسطنطينية من خطر حقيقي محقق بها.

والحقيقة، أن مدينة القسطنطينية كان مقدراً لها- كما نرى- أن تعيش في خطر دائم. فقد حدث وقتئذ أن طلب الإمبراطور زينو من ثيودريك استرابو أن يسلمه بروكبيوس ورومولوس ولكنه رفض مدعيًا أنه ليس من المناسب أن يسلم من لجأ إليه، ثم طلب من زينو أن يتغاضى عن هذا الموضوع، "لاسيما وأنهما لن يسببا له ولا لأي شخص آخر أية متاعب طول حياتهما"^(٧٥٩).

Loc. Cit. ⁽⁷⁵⁷⁾

Malchus: op.cit., vol. II, p. 451, 453; Evagarius: op.cit., p. 16. (Not. ⁽⁷⁵⁸⁾ 78).

Malchus: op.cit., vol. II, p. 453; Gordon: op.cit., p. 179. Cf. also, ⁽⁷⁵⁹⁾ Cam. Med. His., vol. I, 477; Heather: op.cit., p. 162.

والناظر يرى أن السبب الحقيقي في عدم تسليم بروكوبوس ورمولوس ليس هو طلبهما اللجوء لدى القوط، كما ادعى ثيودريك ولكن الحقيقة أن ثيودريك أراد الاحتفاظ بهما كورقة ضغط على الإمبراطور زينو يستخدمها عند الطلب، وهذا يدل دلالة قاطعة على أن العلاقة بين الإمبراطور زينو وثيودريك استرابو كانت واهية ويمكن أن تسوء في أية لحظة.

وعلى كل، لقد جاء رد زينو سريعاً، فعندما وجد عدم حسن النية لدى ثيودريك عزله من مركز قيادة الجيش، الأمر الذي دفعه للتحالف مع ثيودريك بن ثيوديمير، وتم الاتفاق بينهما على مهاجمة الأراضي البيزنطية^(٧٦٠). وتعليقاً على هذا التحالف، يقول أحد المؤرخين المحدثين: ربما خطط استرابو، بالتحالف مع عدوه القديم، لطرده زينو من مدينة القسطنطينية بمساعدة الجرمان الموجودين داخلها^(٧٦١).

وبنهيي، فقد أدى تحالف استرابو وابن ثيوديمير إلى شعور الإمبراطور زينو بالخطر، ولذلك - كما ذكر المؤرخ يوحنا النيقى - طلب المساعدة من اللينغاريين الموجودين في منطقة الدانوب الأدنى، ولكن ثيودريك استرابو انتصر عليهم، وعند ذلك تقدم بقواته تجاه مدينة القسطنطينية، سنة ٤٨١م، وكان يمكن أن يستولى عليها بسهولة، لو لم يتمركز إلوس بقواته على أبوابها قبل وصوله، ولذلك فشلت هجماته الأولى والثانية عليها، بسبب دفاع إلوس عنها. ومن ثم حاول العبور إلى بيثينيا Bithynia^(٧٦٢)، ولكنه فشل، بسبب هزيمته البحرية^(٧٦٣). وربما كان يأمل في مهاجمة القسطنطينية من خلقدونية

John of Antioch. Fr. 211, in Gordon: op.cit., p. 180. Cf. also, ^(٧٦٠) Heather: op.cit., p. 162; Jones: op.cit., vol. I, p. 227; Bury: op.cit., vol. I, p. 421.

Burns: op.cit., p. 64. ^(٧٦١)

^(٧٦٢) بيثينيا: إقليم روماني في آسيا الصغرى، يقع بين آسيا جاليثيا والبحر الأسود. انظر:

Matthew Bunson: op.cit., p. 57.

John of Antioch. Fr. 211, in Gordon: op.cit., p. 180; Evagarius: ^(٧٦٣) op.cit., p. 160 (Not. 78). Cf. also, Treadgold: op.cit., p. 159.

Clalcedon^(٧٦٤). ولكن القسطنطينية لم يكن من السهل الاستيلاء عليها بواسطة القوط، حتى ولو خربوا شبه جزيرة البلقان^(٧٦٥).

وعندما فشل ثيودريك استرابو في الاستيلاء على مدينة القسطنطينية، عاد إلى تراقيا، ومن هناك توجه إلى بلاد اليونان عن طريق أجناتيا، ولكنه قتل سنة ٤٨١م في المكان المسمى ستابولا ديوميديس (Stabula Diomedis) (بين فيليبس وماكسيميانوبوليس (Maximianoples)). فخلقه ابنه ريسينانتش Recitach وعماه في قيادة قوطه، الذين يقال أن عددهم كان حوالي ٣٠,٠٠٠ ألف رجل^(٧٦٦).

ولقد تبينت آراء المؤرخين حول النتائج التي تترتبت على وفاة ثيودريك استرابو. فقال أحدهم: لقد تراجعت أخطار للغزو القوطي في البلقان إلى حد ما^(٧٦٧). في حين ذكر آخر، أن وفاة ثيودريك استرابو كانت تعني نهاية القيادة القوطية المزدهجة^(٧٦٨). كما تحرر ثيودريك بن ثيوديمير من منافسه الخطير

Heather: op.cit., p. 162. ^(٧٦٤)

وخلقدونية: مدينة تقع في إقليم بيلغيا، على ساحل البوسفور، أمام مدينة القسطنطينية مباشرة.
انظر:

Matthew Bunson: op.cit., p. 82.

^(٧٦٥) هامرتن: للمرجع السابق، ج٤، ص ٢٧٣.

John of Antioch. Fr. 211, in Gordon: op.cit., p. 18. Cf. also, Heather: ^(٧٦٦)
op.cit., p.163.

وتذكر كتب التاريخ أن ثيودريك استرابو سقط من فوق جواده على الرمح الذي كان مغروساً، وسنه لأعلى، أمام خيمته، فأصابه في جنبه، الأمر الذي أدى لوفاته. وللمزيد من التفاصيل، انظر:

Evagarius: op.cit., p. 160. Cf. also, Cork B.: op.cit., 63.

ولكن المؤرخ بورنس يذكر أن ثيودريك استرابو مات في إحدى المعارك سنة ٤٨١م، ولكن هذا الرأي بعيداً عن الصواب. انظر:

History of The Ostrogoths, p. 63.

في حين يذكر أحد المؤرخين المحدثين أن ثيودريك مات سنة ٤٨٤م. انظر:

Ostrogorsky.: History of The Byzantine State, Tr., by Joan Hussey,
(Oxford, 1968), p. 63.

Treadgold: op.cit., p. 160. ^(٧٦٧)

Wolfram: op.cit., p. 201. ^(٧٦٨)

والمزعب، كما قال مؤرخ ثالث^(٧٦٩). كما ذكر البعض أنه منذ وفاة ثيودريك استرابو فصاعداً أصبح ثيودريك بن ثيوديمير الحاكم الأوحده للقوط الشرقيين في البلقان ولذلك أصبح ذات سلطة مرعبة، ومن ثم كان من الضروري للإمبراطور زينو أن يعامله باحترام^(٧٧٠).

ومن ناحية أخرى يجب علينا أن ندرك أن الإمبراطور زينو قد تخلص أيضاً من أحد الزعماء القوط، الذي كان يحلم أن يجلس على العرش الإمبراطوري. وإذا كان زينو لن يجد الآن من يستخدمه ضد ثيودريك بن ثيوديمير، فعلى الأقل سوف يواجه عدو واحد.

وعلى أية حال، تقول كتب التاريخ، أن ريسيتاش بن ثيودريك استرابو تخلص من صبيه، ومن ثم حكم منفرداً في تراقيا، "وقام بالعديد من أعمال النهب والسلب، ربما أكثر من والده"^(٧٧١).

وعلى الجانب الآخر، كان الإمبراطور زينو على موعد مع ثيودريك بن ثيوديمير. قبعد موت القائد العظيم سابينيانوس سنة ٤٨٢م انطلق ثيودريك من عقله وأعمل النهب والسلب في مقدونيا وThessaly^(٧٧٢)، واستولى على مدينة لاريسا Larissa. ويومها لم يتمكن يوحنا السكيثي وموسكيانوس Maschainus، قائدا الإمبراطور زينو - اللذان أرسلهما ضده - من كبح جماحه^(٧٧٣). وربما يكون زينو قد تذكر - آنذاك - أنه أخطأ في التخلص من قائده العظيم سابينيانوس.

Bradley: op.cit., p. 143. ^(٧٦٩)

William G.: op.cit., p. 460; Cam. Med. Hüs., vol. I, p. 438. ^(٧٧٠)

John of Antioch. Fr. 213, in Gordon: op.cit., p. 181. Cf. also, Bury: ^(٧٧١) op.cit., vol. I, p. 421; Heather: op.cit., p. a63; Cam. Med. His., vol. I, p. 477.

^(٧٧٢) ثيسالي: تسمى باللاتينية ثيساليا Thessalia: إقليم يقع في وسط بلاد اليونان وجنوب مقدونيا، وشمال هيلاس Hellas، وإلى الشرق من أبيروس. وعاصمة مدينة لاريسا Larissa. انظر:

Alexander B.: op.cit., vol. III, p. 2073; Matthew B.: op.cit., p. 414. John of Antioch. Fr. 213: in Gordon, op.cit., pp. 180-181. Cf. also, ^(٧٧٣) Bury: op.cit., vol. I, p. 421; Croke B.: op.cit., p. 63; Heather: op.cit., p. 163.

ونظرًا لخطورة الموقف في اليونان ومقدونيا فقد أيقن الإمبراطور زينو أنه لابد من التوصل إلى حل مع ثيودريك فاستقدمه إلى القسطنطينية سنة ٤٨٣م، وتوصل معه إلى اتفاقية سلام نصت على الآتي:

أولاً: التنازل لثيودريك وأتباعه عن أراضي في مؤيزيا السفلى وداكيا ريبنسيس Dacia Ripensis^(٧٧٤).

ثانياً: تعيين ثيودريك سيداً للجنود وبطريقاً.

ثالثاً: تعيينه أيضاً قنصلاً لعام ٤٨٤م^(٧٧٥).

وتعليقاً على هذه التنازلات التي قدمها الإمبراطور زينو لثيودريك، يقول بعض المؤرخين المحدثين: أنها كانت بسبب الأوضاع الداخلية في بيزنطة آنذاك حيث كانت هناك ثورة من قبل إليوس ضد زينو^(٧٧٦). ولكن لا يجب علينا أن ننسى أن، هذه التنازلات كانت - أيضاً - بسبب الدمار والخراب الذي لحق بالأراضي البيزنطية في مقدونيا وبلاد اليونان.

وعلى كل حال، عندما خطط زينو لإرسال ثيودريك على رأس قواته ضد إليوس في إيزوريا بآسيا الصغرى، طالب ثيودريك بأن يستخلص أولاً من

^(٧٧٤) داكيا ريبنسيس: إقليم روماني يقع على الضفة الجنوبية لنهر الدانوب بين مؤيزيا الأولى والثانية. من أهم مدنه راتياريا Ratiaria وأوسكوس Ocseus. انظر:

Alexander: op.cit., vol. 1, p. 577.

John of Antioch Fr. 213, in Gordon: op.cit., p. 181; Jordanes: op.cit., ^(٧٧٥)

p. 16. Cf. also, Wolfram: op.cit., p. 201; Heather: op.cit., p. 163.

Norwich: op.cit., p. 179.

تذكر إحدى المصادر التاريخية أن ثيودريك كان مستعداً للقسطنطينية في سنة ٤٨٤/٤٨٥م. انظر:

Theophanes: op.cit., p. 201.

William G.: op.cit., p. 463. ^(٧٧٦)

إن الاشتقاق بين إليوس والإمبراطور زينو، والذي بدأ سنة ٤٨١م بلغ ذروته سنة ٤٨٣م. ولم يتلق إليوس مساعدات من خارج إيزوريا، وبعد حصار طويل في إحدى قلاعها، تم القبض على قادة الثورة وأعدموا سنة ٤٨٨م. للمزيد من التفاصيل، انظر:

Candidus: op.cit., vol. II, p. 469, 471; Theophanes: op.cit., p. 196, 199;

Evagarius: op.cit., pp. 162-163.

ريسيناتش بن ثيودريك، الذي كان في القسطنطينية آنذاك، "لأنه لن يترك" كما قال، "مذافسه حراً في الساحة بأوروبا أثناء غيابه" فوافق زينو على ذلك، لاسيما أنه رأى أن ريسيناتش كان معادياً له أكثر من والده. ومن ثم، سمح لثيودريك أن يتخلص منه^(٧٧٧).

ولقد نتج عن اغتيال ريسيناتش أن انضم قوطه إلى ثيودريك بن ثيونيمير، وبذلك توحد القوط في البلقان^(٧٧٨). وهنا يمكن القول أن ثيودريك بن ثيونيمير أصبح أشد خطراً على الإمبراطورية البيزنطية من ذي قبل.

لما عن الدور الذي لعبه ثيودريك ضد إلوس، فكل ما نكر في المصادر التاريخية القديمة وكتب التاريخ الحديثة أنه وافق على الوقوف إلى جانب زينو مقابل مبلغ من المال. ولكن عندما وصل بقواته إلى مدينة نيقوميديا Nicomedia^(٧٧٩)، استدعاه زينو لعزم ثقته فيه، أما قواته فقد بقيت إلى جانب الجيوش الرومانية حتى سنة ٤٨٤م، عندما هرب إلوس وبعض قادته إلى إحدى قلاع إيزوريا، المسماة Cherris، وعند ذلك، سحب زينو القوات القوطية - على وجه السرعة - تاركاً القوات الرومانية تحاصر القلعة^(٧٨٠).

John of Antioch. Fr. 214 (3). In Gordon: op.cit., p. 181. Cf. also, ⁽⁷⁷⁷⁾
Moorhed: op.cit., p. 16.

ولكن كيف جاء ريسيناتش إلى مدينة القسطنطينية ولماذا؟ هذا ما لم نتحدث عنه كتب التاريخ سوى قولها: أنه قتل في نهاية ٤٨٢م أو بداية ٤٨٤م. انظر:

Heather: op.cit., p. 163.

Heather: The Goths, p. 164. ⁽⁷⁷⁸⁾

⁽⁷⁷⁹⁾ نيقوميديا: مدينة تقع في بئنيا على بحر مرمرة Marmara، تبعد حوالي ٦٠ ميلاً عن القسطنطينية، تعد من أعظم المدن أهمية في آسيا الصغرى، أسماها الإمبراطور نيقوميديس الأول Nicomedes I حوالي ٢٦٤ ق.م، انظر:

Matthew B.: op.cit., pp. 295- 296; Alexander: op.cit, vol. III, p. 1483.

John of Antioch. Fr. 214(4) in Gordanes: op.cit., p. 181. Cf. also, ⁽⁷⁸⁰⁾

Treadgold: op.cit., p. 161; Moorhed: op.cit., p. 17; Bury: op.cit., vol.

I, p. 398; Jones: op.cit., vol. I, p. 229.

وينفرد المورخ ثيوفيلدز يذكر أن ثيودريك بقي إلى جانب قولته حتى هرب إلوس إلى قلعة Cherris. انظر:

The Cronicle, p. 201.

ويذكر بعض المؤرخين أن ثيودريك غضب بشدة من الإمبراطور زينور، لأنه لم يسمح له بقيادة قواته ضد إلويس^(٧٨١)، ولذلك - في محاولة لامتنصاح غضبه، وكشكر له على ما قدمه من مساعدة - أمر زينور أن يقام له تمثال، عبارة عن جواد بمتعليه فارس في أحد ميادين القسطنطينية سنة ٤٨٦م^(٧٨٢).

غير أن ثيودريك لم يكن يرغب في أن يعيش البلقان فترة من الهدوء، كما أنه - في نفس الوقت - لم يكن راضيًا عن المكاسب التي حصل عليها من الإمبراطور زينور^(٧٨٣)، ولذلك تقدم على رأس قواته من نوقا، سنة ٤٨٦م، إلى ترولقيا، وقام بعملية نهب وسلب واسعة النطاق، وفي سنة ٤٨٧م بدأ هجومه الشر من فاستولي على رجيوم Regium، وخرّب الأراضي المجاورة لها، وبصفة خاصة مدينة ميلانتيا Melantias (على بعد ثمانية عشر ميلاً من رجيوم)^(٧٨٤). كما فرض حصاراً شديداً على مدينة القسطنطينية، وقطع قنوات المياه التي كانت تغذيها، ولأن الإمبراطور زينور كان يعلم الرد المناسب، فقد بعث إليه أخته أمالافريدا Amalafida ببعض الهدايا القيمة ومبلغ كبير من المال، وعند ذلك عاد إلى نوقا^(٧٨٥). وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن ثيودريك لم يكن يقصد من حصاره لمدينة القسطنطينية الاستيلاء عليها، ولكنه كان يرغب فقط في الحصول على الهدايا والأموال، والدليل أنه عاد إلى نوقا بمجرد ما أن تحقق هدفه.

Jones: op.cit., vol. I, p. 229. ⁽⁷⁸¹⁾

Jordanes: op.cit., p. 69. Cf. also, Wolfram: op.cit., p. 201; Bradley: ⁽⁷⁸²⁾
op.cit., p. 144; Cam. Med. His., vol. I, p. 438.

Croke B.: op.cit., p. 64. ⁽⁷⁸³⁾

John of Antioch. Fr. 214(7.8). in Gordon: op.cit., pp. 181-182. Cf. ⁽⁷⁸⁴⁾
also, Bury: op.cit., p. 421.

John of Antioch: op.cit., p. 182; Theophanes: op.cit., p. 201. Cf. ⁽⁷⁸⁵⁾
also, Moorhed: op.cit., p. 17.

ويذكر بعض المؤرخين أن أمالافريدا أخت ثيودريك، ربما كانت رهينة في مدينة القسطنطينية. انظر:

Burns: op.cit., p. 64.

وفي نهاية المطاف، عندما وجد الإمبراطور زينو أن ثيودريك سيظل يمثل له قلقاً شديداً في البلقان، فقد رأى أن الحل الوحيد لمشكلته هو إزالته وقومه من هناك، ولذلك اقترح عليه، في سنة ٤٨٨م، غزو إيطاليا، وحكمها بدلاً من أودواكر Odovakar، ونياية عن الإمبراطور، وعند ذلك، غادر ثيودريك البلقان متوجهاً لإيطاليا^(٧٨٦). وهذا موضوع آخر جدير بالدراسة.

وبديهى أن تكون الأسباب التي دفعت ثيودريك على الذهاب إلى إيطاليا

هي:

أولاً: إن منطقة البلقان لم تعد قادرة على تقديم المون اللازمة لكفاية القوط الشرقيين، فلقد أصابها الدمار والخراب.

ثانياً: الاستقرار في البلقان ولقائمة وطن فيه للقوط كان أمراً عسيراً، بسبب قوة الإمبراطورية البيزنطية.

ثالثاً: الاستيلاء على مدينة القسطنطينية كان ضرباً من ضربوب المستحيل، بسبب حصانتها وقوة دفاعاتها.

رابعاً: كان الاستيلاء على إيطاليا والاستقرار فيها أمراً سهلاً، لأن الذي يحكم هناك لم يكن إمبراطور بل قائداً جرمانياً.

خامساً: كان ثيودريك يتطلع أن يصبح ملكاً على شعب مستقر ذي حضارة^(٧٨٧).

John of Antioch. Fr. 214(8). Op.cit., 182; Valesiant: op.cit., vol. 3, ⁽⁷⁸⁶⁾
p. 539; Theophanes: op.cit., p. 201; Ostrogorsky: op.cit., p. 63;
Norwich: op.cit., p. 178.

أودواكر هو قائد إحدى فرق للجيش الجرمانية، العاملة ضمن الجيوش الرومانية. ثار ضد الإمبراطور رومولوس أوجوستولوس (٤٧٥ - ٤٧٦م)، في ٢٨ أغسطس سنة ٤٧٦م وعزله وتولى بدل منه في إيطاليا، نياية عن الإمبراطور زينو. للمزيد من التفاصيل، انظر:

Gordanes: op.cit., p. 57; Candidus: op.cit., vol. II, p. 469.

Bradley: op.cit., p. 144. ⁽⁷⁸⁷⁾

أما عن أهم نتائج البحث، فقد تمتثلت في أن الصراع بين قادة القوط الشرقيين في البلقان وعدم اتحادهم معاً كان من حسن حظ الإمبراطورية البيزنطية، التي غذى أباطرتها هذا التنافر، مطبقين أسلوب "فرق تسد".

ومن النتائج أيضاً، أن الشعب القوطي، وليس قادة القوط، كان يدرك أن اتحادهم فقط هو الذي سيمكنهم من الوقوف في وجه الإمبراطورية البيزنطية، ولذلك انضموا إلى ثيودريك بعد اغتيال ريميتانتس سنة ٤٨٣م، ومن ثم أصبحوا أشد خطراً على الإمبراطورية أكثر من ذي قبل^(٧٨٨).

وكذلك لقد أثبتت الأحداث أن زينو مهنماً بارعاً في تعامله مع قادة القوط، فعن طريق المال والمناصب استطاع أن يروض هذه الخيول الجامحة، وأن ينقذ مدينة القسطنطينية من خطرهما، لذلك يمكن أن تضع زينو في قائمة أباطرة بيزنطة الكبار.

وأيضاً نجاح زينو في توجيه القوط الشرقيين لإيطاليا أنفذ الإمبراطورية البيزنطية من خطرهم، وبذلك بقيت مستقلة، وأنهى وجودهم من البلقان للأبد، وجعله يعيش فترة سلام حقيقي حتى وفاته منذ ٤٩١م^(٧٨٩).

Heather: op.cit., 164. ⁽⁷⁸⁸⁾

William G.: op.cit., p. 463; Bradley: op.cit., p. 144; Ostrogorsky: ⁽⁷⁸⁹⁾
op.cit., p. 63; Treadgold: op.cit., p. 162, 164; Cam. Med. His., vol. 1,
p. 479.

عمر كمال توفيق تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، (القاهرة، ١٩٦٧م) ص ٣٧، حسين محمد
ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، (القاهرة، ١٩٨٣م) ص ٤٤.

- (1) Candidus: in Fragmentary Classicising Historians of The Later Roman Empire, Tr., by R.C. Blochley, vol. II, (Great Britain, 1983).
- (2) Evagarius Scholasticus: The Ecclesiastical History, (Liverpool University, 2000).
- (3) Gordanes: The Origin and Deeds of The Goths, Tr., by Charles C. Mierow (Net).
- (4) John of Antioch: in Gordon C.D.: The Age of Attila, (U.S.A., 1966).
- (5) John of Nikiu: Chronicle, (London, 1916), Tr., by Roger Pearse, (Net. 2002).
- (6) Malchus: in Fragmentary Classicising Historians of The Later Roman Empire, Tr., by R.C. Blochley, vol. II, (Great Britain, 1943).
- (7) Paschal: Chronicon 284-628 A. D., (Liverpool University, 1989).
- (8) Priscus: in Fragmentary Classicising Historians of The Later Roman Empire, Tr., by R.C. Blochley, vol. II, (Great Britain, 1983).
- (9) Theophanes Confessor: The Chronicle, Tr., by Cyril Mango and Roger Scott, (Oxford, 1997).

- (10) Valesiani A.: Tr., by John C. Rolfe, in *Ammianus Marcellinus*, vol. 3, (London, 1935).

"العلاقات السياسية بين روما، قرطاجة
والقسطنطينية"

٤٤٤٥٤ - ٤٧٦ م

شهدت الأوضاع السياسية في النصف الغربي من الإمبراطورية الرومانية اضطرابًا هائلًا في سنة ٤٥٤م، كان له أثرٌ كبيرٌ عليها، ففي هذا العام تم اغتيال القائم العظيم إتيوس^(٧٩٠) Aetius على يد الإمبراطور فالنتينيان الثالث (٤٢٥-٤٥٥م) Vallentinian III^(٧٩١).

ولقد تضاربت آراء المؤرخين حول الأسباب التي دفعت فالنتينيان للتخلص من إتيوس. فهناك من يقول: إن السبب يعود إلى الكراهية المتأصلة لدي كل من بيترونيوس ماكسيموس Pertronius Mascimus^(٧٩٢) وهو

(٧٩٠) إتيوس: روماني الأصل من سيلستريا Silistria، ولد حوالي سنة ٣٩٠م، وكان والده يدعى جودنتيوس Gaudentius، قائد سلاح الفرسان في الإمبراطورية الغربية. خدم إتيوس في مقتبل حياته في وظيفة الولي البريتوري؛ اتخذ كرهينة مرتين، إحداهما لدى الأريك، ملك القوط الغربيين؛ والأخرى لدى الهون. وفي سنة ٤٢٩م أصبح إتيوس قائدًا لسلاح فرمان في غالة، ثم قائدًا عامًا للجيش للرومانية؛ وفي سنة ٤٣٢م تم ترقيته لرتبة قنصل لمدة عام. ثم حصل، بعد ذلك على لقب بطريق من قبل بلاسديا. ومنذ سنة ٤٣٠م وحتى وفاته سنة ٤٥٤م كان الحاكم الفعلي للمغرب.
Cam.Med.Hist., Vol. II, Book III, tr. By H.L.B. Dewing (London,N.D), p. 27.

والمزيد من التفاصيل عن بعض جوانب حياة إتيوس وصفاته انظر:

Gregory of Tours: Tr., By Lewis Thrope, (London, 1979), pp. 118-119.

John of Antioch: in Priscus, The Fragmentary Classicising⁽⁷⁹¹⁾
Historians of the Later Roman Empire, Tr., by R.C. Blockley, vol. II,
(Great Britain, 1983), p-327. cf. also, John Moorhead: Theoderic in
Ataly, (Oxford, 1992), pp- 6-7; Ostrogorsky g.: History of the
Byzantine Statem, Tr., by John Hussy, (Oxford, 1968), p. 57.

(٧٩٢) بيترونيوس ماكسيموس: واحدٌ من أعظم الثيلاء والسيناتورات الأقوياء المتمسطين بتولي منصب الولي لمدينة روما مرتين في سنة ٤٢٠ - ٤٢١م، وولي بريتوري لإيطاليا مرتين، كما تولى منصب القنصل مرتين الأولى في سنة ٤٣٣ والثانية ٤٤٣م. ومن المحتمل أنه حصل على هيبته ونفوذه نظرًا لثروته الضخمة أكثر منها إلى عائلته أو سيرته المهنية، والحقيقة أن أصله غير معروف. في سنة ٤٥٤م اقترب من عامة الستين انظر:

Bury J.B: Later Roman Empire From the Death of Theodosius to the
Death of Justinian, vol. 1, (N.Y.1958), pp. 298-299, p. 298 (Not.1).

أكليوس Heracleius - كبير الحجاب في البلاط الإمبراطوري - إنتيوس - وذلك لأن كليهما كان يرغب في تولي منصب بطريق الذي كان يشغله إنتيوس^(٧٩٢). في حين يرى البعض الآخر من المؤرخين أن السبب في ذلك يعود إلى الخوف الذي كان يسيطر على الإمبراطور من قوة إنتيوس، وخوفه من القضاء عليه بسبب أطماعه في المنصب الإمبراطوري، ولذلك قام بقتله على الرغم من أنه لم تكن توجد هناك تهمة واضحة يمكن أن ينسبها ضده^(٧٩٤). وهناك من يرى أيضاً أن الإمبراطور فالنتيان قد اغتصب زوجة ماكسيموس، ولذلك عقد ماكسيموس النية على التخلص منه، ولكن وجود إنتيوس كان عقبة في سبيل تحقيق ذلك، ومن ثم كان لابد من التخلص من إنتيوس أولاً^(٧٩٥). وفريق آخر من المؤرخين يقول: إن إنتيوس كي يثبت دعائم قوته داخل الإمبراطورية، فقد سعى في سنة ٤٥٠م إلى إجبار الإمبراطور فالنتيان الثالث على خطبة ابنته إلى ابنه جودنتيوس Gaudentius، ومن ثم فإن ذلك أثار غضب الإمبراطور، الذي عقد النية على الانتقام منه؛ لأنه لم يحتمل أن يبرى زواج إحدى بناته من ابن أحد أتباعه^(٧٩٦).

وعلى أية حال، جاءت الفرصة تسعى للإمبراطور فالنتيان للتخلص من إنتيوس، وذلك عندما أوحى إليه ماكسيموس والخصى هيراكليوس بأنه إذ لم يتم بالتخلص من إنتيوس، وعلى وجه السرعة، فإن الأخير هو الذي سينهي حياته. فوافق فالنتيان على هذه المشورة، وعقد النية على التخلص من إنتيوس في القصر الإمبراطوري عندما يأتي ليعرض عليه التقرير المالي الخاص بالإمبراطورية. وبالفعل عندما كان الرجل يضع التقرير المالي أمامه هب

John of Antioch: op.cit., vol II, 327. ⁽⁷⁹³⁾

Gregory of Tours: op.cit., p- 119; Theophanes Confessor: ⁽⁷⁹⁴⁾

Chronical, in Priscus, the Fr., vol II, p. 333.

Nicephori Callisti: Ecclesiasticae Historia, Patrologiae Graecae, ⁽⁷⁹⁵⁾

Tomus 147, p. 35; Procopius: op.cit., vol II, Book III, pp. 39- 41.

Norwich, J.J: Byzantium, the Early Centuries, (N.Y.1989), p. 160; ⁽⁷⁹⁶⁾

Robert S.H. Stanly Chodorow: Europe in the Middle Ages, (U-S-A
1958), p. 68; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 418.

الإمبراطور ولفقاً، واتهمه بالخيانة وقال له بأعلى صوته: "إنني لن أسمح لك بإهانتني بعد اليوم"، وعندما وقف إنتيوس مذهولاً بسبب ثورة الإمبراطور، وفي الوقت الذي سعى فيه لتهدئته، والدفاع عن نفسه، استل فالتنتيان سيفه وانقض على إنتيوس الذي كان في نفس الوقت مهاجم من قبل هيراكليوس، فأردياه قتيلاً^(٧٩٧). ولقد أشار بعض المؤرخين إلى أن إنتيوس تم اغتياله في ٢١ سبتمبر سنة ٤٥٤م^(٧٩٨).

وعلى الفور استدعى فالتنتيان مجلس الشيوخ وراح يكيل الاتهامات إلى إنتيوس، ولعل السبب في ذلك يعود إلى خوفه من ثورة الشعب عليه بسبب هذا العمل^(٧٩٩)؛ وذلك لأن إنتيوس كان الدعامة الأساسية في بقاء الإمبراطورية الغربية أثناء حياته، وإذا كان - كرجل بولة - ربما يلام على إهماله لأفريقيا فإنه في نفس الوقت استطاع أن يحافظ على إيطاليا، في المقابل من نهب الوندال في حال حياته^(٨٠٠).

John of Antioch: op.cit., vol. II, pp. 327- 329; Theophanes ⁽⁷⁹⁷⁾ Confessor: The Chronicle, Byzantine and Near Eastern History AD 284-813, Tr., By Mango and Roger Scott, (oxford, 1997), p. 166, Procopius: op-cit., vol. II, Book III, p. 41. cf- also, Moses Hadas: A History of Rome from its Origins to 529 A.D., (New- York, 1956), p. 241; Stephenson c: Medieval History, (London, 1943), p. 67. Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p-41. cf. alsu, John A.H.M: 'The ⁽⁷⁹⁸⁾ Decline of the Ancient world, (London, 1966), p 89; Livermore H.V: The Origins of Spain and Portugal, (London, 1971), p. 100. وينفرد المؤرخ ثيوفانيز بالإشارة إلى أن إنتيوس تم اغتياله في سنة ٤٥٣م. انظر: The Chronicle, p. 166.

والحقيقة أنه أخطأ في ذلك.

John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 329. ⁽⁷⁹⁹⁾

Gibbon E.: The History of the Decline and Fall of the Roman ⁽⁸⁰⁰⁾ Empire Vol. III, (N.Y, 1815) p. 593; Cam. Med. Hist vol, 1, pp. 418-419.

لقد قتلوا للرجل"، كما قال يوحنا الإنطاكي^(٨٠١) "الذي طالما، واجهه بشجاعة كبيرة، الأعداء في الداخل والخارج. إن أحد رجال البلاط، عندما سئل بواسطة الإمبراطور فالنتينيان الثالث عن رؤيته في وفاة إتيوس، أجابه قائلاً: "سيدي إن الشيء الوحيد الذي أفهمه جداً إنك استخدمت يدك اليسرى لقطع اليمنى"^(٨٠٢).

وبالفعل كان إتيوس اليد اليمنى للإمبراطور فالنتينيان، والرجل الذي يمكن أن يدافع عن إيطاليا ضد الوندال.

ويتمتع المؤرخ بيوري^(٨٠٣) قائلاً من الآن الذي سينفذ إيطاليا من الوندال؟. ويجيب بكل تأكيد لم يكن بيترونيوس ماكسيموس هو الرجل الذي يمكن أن يقوم بهذه المهمة.

وعلى أية حال، لقد وقع الإمبراطور فالنتينيان الثالث رخصة وفاته عندما قتل وزيره إتيوس^(٨٠٤).

وفي ذلك يقول التاريخ إن ماكسيموس، بعد أن تخلص من إتيوس راح يتوعد إلى الإمبراطور فالنتينيان كي يعينه في وظيفة بطريق، ولكن هيراكلوس اعترض على منحه هذا المنصب، وذلك لأنه لم يرغب في أن يتمتع ماكسيموس بنفسه بساوي نفوذه في البلاط الروماني للغربي. وعند ذلك عقد ماكسيموس العزم على التخلص من فالنتينيان، ولذلك استدعى كل من أوبتيلا Optila وثروستيلا Thraustila، وهما من أتباع إتيوس، وفي نفس الوقت من المقربين إلى عائلة الإمبراطور وافق معهما على التخلص من فالنتينيان اتفاقاً لسديهما وفي منتصف مارس سنة ٤٥٥م تم اغتيال فالنتينيان، عندما كان يمارس رمي

John of Antioch: op.cit., vol. II, pp. 329. ⁽⁸⁰¹⁾

Procopius: op.cit., vol. II, Book III, pp. 41-43. also, Grant M.: From ⁽⁸⁰²⁾

Rome to Byzantium, the Fifth Century AD, (London, 1920), p. 82.

Gibbon: op.cit., vol. II, page 593.

Later Roman Empire from the Death of Theodosius I to the Death of ⁽⁸⁰³⁾

Justinian, vol. I, p. 299.

Cam. Med. Hist., vol. I, p. 419. ⁽⁸⁰⁴⁾

النبال في ساحة مدرسة ماركيتوس، على مرأى من حراسه. ولقد سقط معه أيضًا هيراكلوس، ولم ترتفع يد لكي تعاقب القتلة، وذلك بسبب الخوف منهما بسبب أصلهما الهوني^(٨٠٥).

وعلى كل، كان اغتيال إتيوس والإمبراطور فالنتيان الثالث علامة على بداية فترة من الفوضى التي انتهت بعد عشرين عامًا باحتفاء الحكم الروماني في الغرب^(٨٠٦). وذلك لأنه لم يوجد هناك قائد يحل محل إتيوس صمام الأم للإمبراطورية الغربية، هذا في الوقت الذي لم يوجد فيه وريث نكر من بيت ثيودوسيوس ليخلف الإمبراطور فالنتيان الثالث، آخر سلسلة الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير (٣٧٦-٣٩٥م)، ولو أن هناك وريث شرعي لمنع بعض الاضطرابات التي حلت بإيطاليا في السنوات التالية^(٨٠٧).

وعلى أية حال، أصيبت مدينة روما بحالة من عدم النظام والارتباك بعد وفاة الإمبراطور فالنتيان، وذلك عندما انقسم الجيش إلى قسمين: رغب إحداها في تولية ماكسيموس إمبراطورًا، ورغب الآخر في تعيين ماكسيميان Maccimian - ابن تاجر مصري - أما يودوكسيا Eudoxia، أرملة فالنتيان، فقد كانت ترغب في تولية ماجوريانت Majorian. ولكن ماكسيموس استطاع

⁽⁸⁰⁵⁾ وللمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر:

John of Antioch: op.cit., vol. II, pp. 32- 33; Jordanes: Rom 339, In Priscus, The Fr., vol. II, p-333; The Same other: The Origin and Deeds of Goths, Tr., by Charles C. Mierow, p. 56. (Net. 2004), cf. also, Bury: op.cit., vol. I, pp. 299-300; Moorhead j.: Theoderic in Italy, (oxford, 1992), p. 7; Gibbon: op.cit., vol. III, p. 595.

ويغفرد المؤرخ ثيوفيليز برواية عن قتل الإمبراطور فالنتيان، تكون بعيدة عن الحقيقة تمامًا. حيث قال: 'إن واحدًا من البطارقة هو ماكسيموس، دخل القصر وقتل الإمبراطور فالنتيان'.

انظر: The Chronicle, Byzantine., p. 167.

Downey G.: The Later Roman Empire. (London, 1969), p. 82; ⁽⁸⁰⁶⁾

Grant: op.cit., p. 20; Scarre C.: chronicle of The Roman Empire, (London, 1995), p. 231.

Bury: op.cit., vol. I, p. 300; Ostrogorsky G: op.cit: p. 57; Wolgram ⁽⁸⁰⁷⁾

H.: History of the Goths, Tr, by Thomas j. Dunlap, (London, 1990), p. 172; Thorndike: op.cit., p. 83.

جسم هذا الصراع لصالحه عن طريق الرشاوي^(٨٠٨). وتولى عرش الإمبراطورية في الغرب في ١٧ مارس، سنة ٤٥٥ م^(٨٠٩) ثم ما لبث أن تزوج من يودوكسيا بالقوة معتقد أن هذا الزواج سيوفر للحماية إلى منصبه^(٨١٠)، وربما يجعل الإيطاليين يلتفون حوله^(٨١١).

ولكن في الحقيقة كان هذا الزواج تقة عليه، فلقد أودي بحياته^(٨١٢).

ف عندما علم جيزريك، (٤٢٨ - ٤٧٠ م) Geiseric، ملك اللوندال في قرطاجة، بأخبار اغتيال إنتيوس والإمبراطور فالنتيان الثالث، وجد أن الوقت قد أصبح مناسباً لمهاجمة إيطاليا، والاستيلاء على مدينة روما؛ لا سيما وأنه اعتبر أن معاهدة السلام التي عقدها في سنة ٤٤٢ م مع فالنتيان وإنتيوس^(٨١٣)، قد أصبحت لاغية بوفاتهما، هذا من ناحية، كما أن الإمبراطور ماكسيموس، لم تكن لديه قوات كبيرة، تمنعه من دخول روما، من ناحية أخرى^(٨١٤). بل وأعلن جيزريك أنه لن يقبل ولن يعترف بمكسيموس إمبراطوراً في مدينة روما، وذلك لأنه للمسئول، أو على الأقل متواطئ في عملية قتل إنتيوس والإمبراطور،

John of Antioch: op.cit., vol II, p. 331; paschale: Chronicon⁽⁸⁰⁸⁾
Paschales 284- 628 A.D. Tr., by Michael whitby and Mary whitby
(Liverpool university 1989), p. 83.

Bury: op.cit., vol. I, p. 324; Gibbon: op.cit., vol. II, p. 599.⁽⁸⁰⁹⁾

John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 331; Evagrius scholasticus The⁽⁸¹⁰⁾
Ecclesiastical History of Evagrius, Tr., by Michael whit by (Liverpool
un. Press, 2000), p. 88; Gibbon: op.cit., vol. III, pp 600-601.

Bury: op.cit., vol. I, p. 324.⁽⁸¹¹⁾

Nicephori Callisti: op.cit., p. 35. cf. also, Norwich: op.cit., 160.⁽⁸¹²⁾

John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 331.⁽⁸¹³⁾

وعن معاهدة سنة ٤٤٢ م، التي أتت إلى قيام السلام بين جيزريك والإمبراطور فالنتيان الثالث وإنتيوس والتي قسمت أفريقيا بين الجانبين. أنظر:

Wolfram: op.cit., p. 167; Merrills A.H: Vandal, Roman and Berbers,
(U.S.A., 2004), p. 40;

إسحق عبيد: من أارك إلى جستنيان، القاهرة، ١٩٧٧ م، ص ٨٩.

John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 331.⁽⁸¹⁴⁾

والزواج من يودوكسيا بالقوة، ولذلك لا بد من خلعها من المنصب الإمبراطوري^(٨١٥).

ومن الأسباب التي دفعت جيزريك -أيضاً- لغزو مدينة روما، هو قيام ماكسيموس بزواج يودوكيا Eudocia، ابنة الإمبراطور فالنتينيان وينوكسيا، لابنه، علماً بأنها كانت مخطوبة لهونوريك Huneric، بن جيزريك، أثناء إقامته في رافنا Ravenna بين عامي ٤٤٢ و ٤٤٥ -٤٤٦م، وذلك كان لا بد من استردادها^(٨١٦). والحقيقة أن جيزريك كان يعلق أملاً كبيراً على مسألة زواج ابنه من ابنة الإمبراطور فالنتينيان؛ وذلك لأنه وجد أن ما لا يمكن الحصول عليه عن طريق الحرب يمكن الحصول عليه عن طرق المصاهرة لبيت ثيودوسيوس^(٨١٧).

كما تجمع المصادر التاريخية على أن يودوكسيا -أرملة الإمبراطور فالنتينيان- لعبت دوراً كبيراً في غزو جيزريك لمدينة روما، وذلك لأنها كانت في الحقيقة قد تأثرت من جراء هذا الزواج الذي كان يمثل لها فضيحة لم تكن تتوقعها، ومن ثم فقد سعت لوضع حداً لهذه الإهانة التي لحقت بها لا سيما عندما أدركت أن قدم أية مساعدات إليها من القسطنطينية سوف تكون بعيدة المنال، ومن ثم فقد أرسلت إلى قرطاجة تتوسل لجيزريك بأن ينتم للإمبراطور فالنتينيان، وأن ينقذها من زوجها، وذلك لأنها تعاني من سوء المعاملة على يد هذا الطاغية. وفي محاولة منها للتأثير على جيزريك فقد أرسلت إليه الهدايا

Gautier E.F.: Genseric Roi Des Vandals, (Paris, 1935), p. 232; Cam. ⁽⁸¹⁵⁾
Med. Hist., vol. I, p. 308.

Franzius Enno: History of the Byzantine Empire (New York, 1967), ⁽⁸¹⁶⁾
p. 52; Wolfram: H: The Roman Empire and Germanic Peoples, Tr., by
Thomas Dunlop, (London, 1997), pp. 171- 173; Merrilies: op.cit., p. 40;
Cameron A.: The Mediterranean World in Late Antiquity A-D 395 600,
(London, 1993), p. 29;

اسحق عبيد: المرجع السابق، ص ٨٩.

Wolfram: op.cit., pp. 171- 172. ⁽⁸¹⁷⁾

القيمة، وراحت تذكره - أيضاً - بأنه صديق وحليف إلى البيت الإمبراطوري^(٨١٨).

وإجابة على سؤال ما إذا كانت يودوكسيا قد أرسلت إلى جيزريك لإنقاذها أم لا. فإننا نجد أن المؤرخ بيوري لا يستبعد ذلك، ويوضح أن هناك سبباً خاصاً لطلب المساعدة من قرطاجة وهذا السبب هو زواج ابنتها يودوكسيا من بالاديوس Palladius بن ماكسيموس بالقوة، وهي التي كانت مخطوبة إلى هونوريك ابن جيزريك، وهذا في حد ذاته قد من كرامة جيزريك، ولذلك، سوف يأتي لمساعدة يودوكسيا قبل قدوم أية مساعدة من مدينة القسطنطينية^(٨١٩).
والباحث من جانبه يرى أن علاقة الخطوبة التي ربطت بين روما وقرطاجة كفيلاً بأن تتوجه الإمبراطورة يودوكسيا، وعلى وجه السرعة، إلى قرطاجة، لأنها تعلم أن جيزريك لن يتوانى وسوف يهب لمساعدتها، وإنقاذ خطيبة ابنه.

وعلى أية حال، بعد أن استعرض جيزريك العرض الذي تقدمت به الإمبراطورة يودوكسيا قرر إنقاذها على وجه السرعة دون وضع اعتبار لرأي الشعب الروماني نفسه^(٨٢٠).

Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147. p. 35; Procopius: op.cit., vol. ^(٨١٨)
II, Book III, p. 45; 47; Theophanes Confessor: op.cit., p. 167; Evagrius:
op.cit., p. 82- 83; John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 331; Georgu
Cedreni: Compendium Historiarum, p. G. Tom., 121, p. 658; Gibbon:
op.cit., vol. III, p. 601.

وينفرد المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس بالإشارة إلى أن رسالة يودوكسيا إلى جيزريك كانت في ١٧ مارس سنة ٤٥٥م. انظر:

History of the Wars, Book III, p. 47.

Later Roman Empire, vol. I, p. 324. ^(٨١٩)

Livermore: op.cit., p. 101: ونظر أيضاً:

Cam. Med. Hist., vol. I, p. 308, 398.

Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147, p. 35. 38. ^(٨٢٠)

ولكن، هل نفهم من ذلك أن جيزريك ذهب إلى مدينة روما فقط بدافع الانتقام لمقتل الإمبراطور فالنتيان الثالث، وتخليص يودوكسيا من زوجها وإفقاد خطيبة ابنه، أم أن هناك سببًا آخر؟⁽⁸²¹⁾

لقد أجاب الكثير من المؤرخين على هذا السؤال، فأشاروا إلى أن جيزريك لم يذهب إلى إيطاليا فقط من أجل إنقاذ الإمبراطورة يودوكسيا، بل إن السبب الأساسي كان الثورة التي تمتعت بها مدينة روما⁽⁸²²⁾. تلك الثروة التي كانت باعثًا كافيًا لأي زعيم قبيلة بربري للقيام بنهبها⁽⁸²³⁾.

لقد كان قلب جيزريك وعبونه معلقه بإيطاليا، ومدينة روما، وكان الحظ يحالفه بما فيه الكفاية لكي يدعى إلى الأرض التي كان يشاقق لغزوها⁽⁸²⁴⁾. ومن ثم فعندما وجهت إليه الدعوة لم يتوان وذهب إلى مدينة روما⁽⁸²⁵⁾.

والحقيقة أن جيزريك تحرك إلى إيطاليا بدافع الذهب والسنبل لأنه ليس من المعقول أن يتوجه على رأس قواته إلى هناك، دون الحصول على المقابل.

وتقول الأحداث، إنه في شهر مارس، سنة ٤٥٥م كان هناك أسطول ضخم لا يستهان به مجهز بالموثن والعناد يقف في ميناء قرطاج على أهبة الاستعداد للإبحار إلى مدينة روما⁽⁸²⁶⁾. وتشير إحدى المصادر التاريخية إلى أنه كان هناك -أيضًا- عدد كبير من القوات ولكن هذا المصدر لم يذكر كم كان

Procopius: op.cit., Book III, p. 47. Cf. also, Hadas: op.cit., p. 242; ⁽⁸²¹⁾

Cam. Med. Hist., vol. I, p. 421.

Norwich: op.cit., p. 161. Hadas: op.cit., p. 242; Cam. Med. Hist. vol. ⁽⁸²²⁾

I, p. 421.

Lisa Ripperton: The Baldwin Project. (2000- 2006), www. ⁽⁸²³⁾

Mainlesson. Com. P.2.

Theophanes Confessor: op.cit., p. 167. cf. also, Mckilliam A.E.: A ⁽⁸²⁴⁾

chronicle of the Popes, from St. Peter to Pius X, (London, 1912), p. 54.

Georgii Cedreni: op.cit., Tomus 121, p. 659; Gautier: op.cit., p. 232. ⁽⁸²⁵⁾

عدد هذه القوات^(٨٢٦). ومما هو جدير بالذكر أن الأسطول اللوندالي كان يوجد على متنه بعض القوات من المغاربة Moors^(٨٢٧).

وفي مايو سنة ٤٥٥م، أبحر جيزريك على رأس أسطوله من قرطاجة متوجهاً إلى مدينة روما بعزيمة قوية وشعور فياض لاغتنام الفرصة التي أتاحت له للاستيلاء على هذه المدينة^(٨٢٨). ومن حسن حظه أنه لم يواجه بأيّة عقبات خلال تقدمه إلى مدينة روما^(٨٢٩). هذا، ويذكر بعض المؤرخين أن خبر حملة الملك جيزريك قد وصل إلى مدينة روما منذ رحيله من ميناء قرطاجة^(٨٣٠).

ولقد تضاربت آراء المؤرخين حول الميناء الذي رسى فيه الأسطول اللوندالي على نهر التيبر، فيذكر البعض أن جيزريك رسى بأسطوله في ميناء بورتو Porto، في شمال نهر التيبر، وليس في أوستيا Ostia، أو بالقرب منها، وذلك لأن شواطئها رملية الأمر الذي يجعل من الصعب رسو الأسطول^(٨٣١). في حين يذكر البعض الآخر من المؤرخين أن جيزريك توقف بأسطوله في ميناء أوستيا^(٨٣٢). هذا، ويذكر بعض المؤرخين أن جيزريك كان أول أجنبي نزل في هذا الميناء^(٨٣٣).

John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 331. ⁽⁸²⁶⁾

Merrills: op.cit., p. 41; Wolfram: op.cit., p. 172. ⁽⁸²⁷⁾

لقد كان للرومان يطلقون على البربر Berber اسم المغاربة Moors. انظر:

Merrills: op.cit., p. 3.

Bury: op.cit., vol. I, p. 325; Gautier: op.cit., 233; Norwich ⁽⁸²⁸⁾

Byzantium, p. 162; Wolfram: op.cit., p. 172.

Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 47; Hadas: op.cit., p. 242. ⁽⁸²⁹⁾

Bury: op.cit., vol. I, p. 325. ⁽⁸³⁰⁾

Gautier: op.cit., p. 233; Wolfram: op.cit., p. 172; Cam. Med. Hist., ⁽⁸³¹⁾

vol., I, p. 308.

إسحق عيين: المرجع السابق، ص ٨٩.

Norwich: op.cit., p. 162; Deanesly M.: A History of Early Medieval ⁽⁸³²⁾

Europe, from 476 to 911, (London, 1974), p. 76; Gibbon op.cit., vol. III,

p. 602.

إميل لودفيغ: البحر المتوسط، ترجمة عادل زعيتر (القاهرة: ١٩٥٢م)، ص ٣٨١. ⁽⁸³³⁾

وعلى كل، راحت القواتن الوندالية تتقدم تجاه مدينة روما عبر طريق بورتونيسيس Portuensis^(٨٣٤). وأثناء تقدمها ارتكبت أول أعمالها الهمجية وذلك عندما أشعلت النيران في كنيسة القديس هيبوليت Saint-Hippolyte^(٨٣٥).

وعلى الجانب الآخر، فإن الإمبراطور بيترونيوس ماكسيموس، الذي قبع- في البدلية- في قصره، أعلن أنه على جميع رجال روما الأقوياء أن يتحالفوا للدفاع عن الإمبراطورية، ولكنه أشار في الوقت ذاته إلى أن أي شخص يرغب في مغادرة للمدينة فإن له كامل الحرية أن يقوم بذلك متى شاء^(٨٣٦).

ولكن الشيء المؤكد أن مدينة روما لم تكن لديها القدرة في الدفاع عن نفسها، ولذلك ساد الرعب والفرع بين سكانها منذ اللحظة الأولى التي وصل فيها خبر رسو الجيش الوندالي عند مصب نهر التيبر. ومن ثم فقد قرر جميع السكان الهروب من المدينة، يستوى في ذلك الطبقة العليا من الشعب والسفلى. فالتبلاء الرومان- بصفة خاصة- كانوا يعلمون جيداً المصير الذي ينتظرهم عند دخول الجيش لوندالي إلى المدينة^(٨٣٧). ولذلك قام الجميع بإرسال زوجاتهم وأبنائهم خارج المدينة حفاظاً على سلامة أولادهم. لقد كانت الطرق المتجهة إلى الشمال والشرق من مدينة روما تخص بالعربات المليئة بالعائلات الهاربة، وإلى جانب ذلك، كان هناك الكثير من العائلات التي حملت أمتعتها وسارت على أقدامها. إن كل الذين هربوا كان هدفهم الأسمى الحفاظ على أنفسهم من الوقوع أسرى في يد الوندال^(٨٣٨). وهكذا، لقد انهارت الروح المعنوية لسكان مدينة روما فتركوها وهربوا.

Cam. Med. Hist., vol. I, p. 308. ^(٨٣٤)

إسحق عبيد: المرجع السابق، ص ٨٩. ^(٨٣٥)

Norwich: op.cit., p. 162. ^(٨٣٦)

Gautier: op.cit., p. 233; Bury: op.cit., vol. I, p. 325; Norwich; op.cit., ^(٨٣٧)
p. 161.

Norwich: Byzantium, p. 162; Cam, Med. Hist., vol. I, p. 308. ^(٨٣٨)

ولم تكن روح الإمبراطور ماكسيموس بأحسن حال من روح رعاياه فقد نسي الدعوة التي وجهها إلى القدرين من أهالي رومات بأن يتحالفوا للدفاع عنها، فكان من الذين ولوا الأذى. إن هذا الرجل عندما سمع أن جيزريك قد رسي بقواته أمام مدينة روما فكر في الهروب. وعند ذلك تخلى عنه حرسه الخاص، وغيرهم من الأشخاص الأحرار الذين ساندوه في الوصول لعرش الإمبراطورية الرومانية الغربية. ولقد أنهال عليه بالسباب أولئك الذين شاهدوه أثناء هروبه، واتهموه بالخبن. وعندما كان على وشك الخروج من المدينة فنغسه أحد سكانها بحجر في رأسه فأرداه قتيلًا. وعند ذلك انقضت جموع الشعب الروماني الغاضبة على جسده فمزقته إربًا، وهي تصيح بعبارات النصر^(٨٣٩). ومثلت بجثته عبر شوارع مدينة روما، ثم ألقت بها في النهاية في نهر التيبر. وكان ذلك في ٣١ مايو سنة ٤٥٥م^(٨٤٠). وهكذا فقد تخلصت الإمبراطورة الأرملة يردوكسيا من زوجها الإمبراطور ماكسيموس ولكن من ناحية أخرى لا نعرف شعورها عندما رأت الشعب الروماني يغادر مدينة روما هربًا من جيزريك الذي يقف الآن على أبوابها.

وينفرد المؤرخ جوردنيز^(٨٤١) بالإشارة إلى أن الذي اغتال الإمبراطور ماكسيموس كان جندي روماني يدعى أورمسوس Urisus، أما المؤرخ جوتيه^(٨٤٢) الذي يتفق معه حول اسمه، يذكر أنه ذات أصل يورجندي Burgonde.

وبسبب اغتيال الإمبراطور ماكسيموس، اجتاحت مدينة روما إشاعة مفادها أنها أصبحت بلا مدافع بسبب خيانة هذا للبور جندي. ولكن، في الحقيقة

John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 333. cf. also, Bury: op.cit., vol. I, ⁽⁸³⁹⁾

p. 325; Gibbon: op.cit., vol. III, p. 602.

Gautier: op.cit., p. 233; Norwich: op.cit., p. 162; Moorhead: op.cit., ⁽⁸⁴⁰⁾

p. 7, Cam, Med. Hist., vol. I, p. 308.

اسحق عبيد: للمرجع السابق، ص ٨٩.

يذكر بعض المؤرخين أن اغتيال الإمبراطور ماكسيموس وقع في ٢ يونيو سنة ٤٥٥م. لفظر:

Jones: op.cit., p. 89; Livermore: op.cit., p. 100.

The Origin and Deeds of the Goths, p. 56. ⁽⁸⁴¹⁾

Geneseric Roi De Vandals, p. 233. ⁽⁸⁴²⁾

يمكن أن يقال - أيضاً- أن الإمبراطور ثيو لم يقتل لهرب من المدينة شأنه قسي ذلك شأن كل النبلاء الرومان، وبالتأكيد أن أورشوس لم يكن يعمل لحساب أحد سوى أنه شعر بجرح في كرامته بسبب جبن الإمبراطور وتخاذله^(٨٤٣).

ويعد موت الإمبراطور ماكسيموس أصبح البابا ليو الأول (٤٦١م) Leo I هو المسئول السياسي والرسمي، الممثل للسلطة والمدافع عن مدينة روما. ولذلك- على الرغم من أنه كان طاعناً في السن- فقد خرج على رأس سفارة من الأكليروس وتوجه إلى جيزريك للتفاوض معه بشأن المدينة^(٨٤٤).

ولكن البابا ليو الأول كان يقف في غضون ذلك على أرض هشة وذلك لأن جيزريك كان الآن يقف على أبواب مدينة روما، كما أن قواته كانت في قمة صحتها، ولديها من المؤن الكثير، كذلك لم تكن توجد هناك أية خطورة عسكرية على جيزريك وقواته؛ فليست هناك قوات تتقدم من خلفه كما حدث مع أتيليا من قبل، عندما كان على أبواب مدينة روما سنة ٤٥٢م كما أن المعسكر الوندالي كان خالياً من الأمراض^(٨٤٥).

ويبدو أن البابا ليو بدأ مفاوضاته مع جيزريك بمطالبته بمغادرة إيطاليا وعدم دخول مدينة روما، ولكن هذا لم يجد نفعاً. والدليل على ذلك ما قاله بعض المؤرخين من أن الوندال الذين أصبحوا الآن في إيطاليا، رفضوا الرحيل بدون نهب مدينة روما^(٨٤٦).

ولكن إذا كانت سفارة البابا ليو لم تنجح نجاحاً كاملاً في مفاوضاتها مع جيزريك، فإنها لم تقبل فشلاً ذريعاً في نفس الوقت. حيث قاوض البابا جيزريك على أن يسلم له بعض الكنوز النفيسة في كاتدرائية القديس بطرس مقابل العفو عن المدينة، فوافق جيزريك على مطالب البابا ووعد بالآتي:

Gautier: op.cit., p. 233. ^(٨٤٣)

Norwich: op.cit., p. 162; Bury: op.cit., vol. I, p. 325; Ripperton: ^(٨٤٤)
op.cit., p. 2; Gautier: op.cit., p. 234; M Killiam: op.cit., p. 54; Gibbon:
op.cit., vol. III, p. 602.

Norwich: op.cit., p. 162. ^(٨٤٥)

M killiam: op.cit., p. 54. ^(٨٤٥)

أولاً: عدم ممارسة الوندال أي أعمال قتل ضد السكان الذين لن يقاومهم.

ثانياً: لن تكون هناك أية أعمال تعذيب ضد السكان لإجبارهم على كشف مواضع الخزائن المخفية.

ثالثاً: حماية الأسرى من التعذيب.

رابعاً: سوف يلتزم الوندال بالمحافظة على سلامة المباني الحكومية وغير الحكومية^(٨٤٧).

خامساً: التزام الوندال بعدم إشعال النار في المدينة، وإذا حدث شيء من هذا القبيل فلن يكون علماً^(٨٤٨).

ترى هل كان البابا ليو الأول سعيداً بما حصل عليه من تنازلات من قبل جيزريك؟ يقول بعض المؤرخين، ربما تكون وعود جيزريك قد أدت إلى الراحة نوعاً ما، ولكنها، على الأقل، كانت أفضل من لا شيء^(٨٤٩).

وهكذا، ترى أن ذهاب البابا ليو الأول ومقابلته جيزريك كان لها تأثير كبير في إنقاذ مدينة روما من النمار. ولكن للمؤرخ جوتيه^(٨٥٠) يتساءل قائلاً: إن السؤال الذي لا نعرف له إجابة، هو، هل كانت توصلات البابا ليو الأول لجيزريك دافعاً حقيقياً له على الحفاظ على المدينة؟ ولكننا نشك أن هناك مصادر أخرى. إن كل ما يهم، هو أن هذا الحدث بتفاصيله كان يتفق مع رغبات البابا.

Norwich: op.cit., p. 162; wolfram: op.cit., p. 172; Bury: op.cit., vol. ^(٨٤٧)
I, p. 325; Mckilliam: op.cit., p. 54; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 308;
Gibbon: op.cit., vol. III, p. 602.

Karl Baus and other: The Emperial Church from Constantine to the ^(٨٤٨)
Early Middle Ages, Tr. By Anselm Biggs, vol. II, (New york, 1980), p.
605.

Norwich: Byzantium, p. 162. ^(٨٤٩)
Genserik Roi Des Vandales, p. 234; Jacquin A.M.: Histoire De ^(٨٥٠)
L'Eglise, Tom II, (Paris, 1936), p. 417.

وفي ٢ يونيو سنة ٤٥٥م فتحت أبواب مدينة روما أمام جيزريك وقومه فندفعوا داخلها دون أية معارك أو مقاومة تذكر^(٨٥١).

ولقد أفاضت المصادر التاريخية القديمة وكتب التاريخ الحديثة في ذكر أعمال النهب والسلب التي مارسها الجيش الوندالي داخل مدينة روما فأشارت إلى أن أعمال النهب كانت منظمة بطريقة جيدة وفي هدوء تام فخلال أربعة عشر يوما استطاع الوندال تجريد القصور الملكية من محتوياتها النفيسة؛ من ذهب، وكتوز وخزائن وبرونز وغير ذلك، كما استولى جيزريك على النياشين والشارات الإمبراطورية وعلى جزء من سقف معبد الإله جوبيتر كسابيتولين Jupiter Capitolini، إلى جانب بعض التماثيل القديمة وخزائن الذهب التي كان القائد تيتوس Titus كان قد حملها إلى روما من معبد سليمان ببيت المقدس، منذ أربعة قرون. ولم تسلم منازل أهالي المدينة من النهب والسلب، فلقد استولى جيزريك على كل ما تركه الآريك أثناء غزوه لروما سنة ٤١٠م^(٨٥٢). وكما قال أحد المؤرخين: "إن الوندال عندما اختاروا ما سوف يأخذونه من مدينة روما، لم يتبق لأهلها سوى حيطان المباني"^(٨٥٣).

وللتاريخ يقول أحد المؤرخين، لم يكن الوندال فقط هم الذين مارسوا أعمال السلب والنهب في مدينة روما سنة ٤٥٥م، بل شاركهم في ذلك عدد كبير من الجرمان والبرابرة الذين يحملون في المدينة، والذين كان الكثير منهم بدون شك - لا يعرف أبدا النظام^(٨٥٤).

Georgii Cedreni: op.cit., Tomus 121, p. 659; Theophanes: op.cit., p. ⁽⁸⁵¹⁾

167. cf. also, Gautier: op.cit., p. 233; Wolfram: op.cit., p. 172; Cam. Med. Hist, vol. I, p. 308.

Procopius: op.cit., vol. II, book III, p. 47, 49; Theophanes: op.cit., p. ⁽⁸⁵²⁾

167; Georgii Cedreni; Tomus 121, op.cit., p. 659; Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147, p. 38. cf. also, Gautier: op.cit., 235; McKilliam:

op.cit., p. 54; Merrilles: op.cit., 40; Bury: op.cit., vol. I, p. 325; Verrzone p.: The Art of Europe, (New-York, 1967), p. 46; Perkins B.W.: The Fall of Rome and the End of Civilization (Oxford, 2005). P. 17.

Lisa Ripperton: op.cit., p. 2. ⁽⁸⁵³⁾

Grant: op.cit., p. 21. ⁽⁸⁵⁴⁾

ولكن سؤال الملح الآن، ما هو موقف جيزريك وقومه من الكنائس؟ من الواضح أن كنائس مدينة روما قد تم الحفاظ عليها، والحكم بذلك يأتي من صمت المصادر المعاصرة، التي لم تذكر أية إشارة عند ذلك، ولو حتى على سبيل التتويه، فبريسكوس Priscus، المؤرخ المعاصر— وبروكوبيوس Procopius، وباشال Pachale، وغيرهم لم يتحدثوا عن أن الكنائس قد امتدت إليها يد الوندال بعوه.

وهذا ربما يعود إلى أنه كان هناك اتفاق سري بين البابا وجيزريك بعدم التعرض للكنائس. وإلا فما الذي منع جيزريك عن نهب الكنائس؟. لو لم يكن هناك اتفاق بينه وبين البابا.

وعلى أية حال، يذكر بعض المؤرخين أن الكنائس تم الحفاظ عليها^(٨٥٥). ولكن هذا لم يمنع الوندال من القيام بالتعدي على بعض الكنائس^(٨٥٦).

وكان لدى الوندال الكثير من سفن النقل. ويبدو أنهم أحضروا هذه السفن خصيصًا لنقل ما سوف يستولون عليه من مدينة روما^(٨٥٧).

وبعدما فرغ جيزريك من نهب مدينة روما قفل عائداً إلى أفريقيا بالغناتم والرهائن الهامة كالسيناتورات، وأصحاب المهن؛ كالكتبة وخبراء السلاح والآلاف من الأسرى، وكان من ضمن الرهائن التي عاد بها جيزريك إلى أفريقيا يودوكسيا، أرملة الإمبراطور فالنتينيان وابنتها يودوكيا Eudocia وبلاسيديا Placidia، وجونتئوس Gaudentius ابن إتيوس^(٨٥٨).

Cam. Med. Hist., vol. I, p. 308. ⁽⁸⁵⁵⁾

Gautier: op.cit., p. 235; Norwich: op.cit., p. 50; Hoyt: op.cit., p. 68. ⁽⁸⁵⁶⁾

Lisa a Ripperton: op.cit., p. 2. ⁽⁸⁵⁷⁾

Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 47; Theophanes Confessor: ⁽⁸⁵⁸⁾

op.cit., p. 167; Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147, p. 38. cf. also

Wolfram: op.cit., p. 172; Perkins: op.cit., 17; McKilliam: op.cit., p. 54;

Cam. Med. Hist. vol. I, p. 421.

لسحق عبيد: المرجع السابق، ص ٩٠.

لشار المؤرخ باشال إلى أن إحدى بنات بلاسيديا كانت تدعى هونوريا Honoria. انظر:

Chronicon Paschale., p. 83.

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أنه أثناء عودة جيزريك غرقت إحدى سفنه بما عليها من تماثيل، أما باقي السفن فقد وصلت سالمة إلى ميناء قرطاجة^(٨٥٩). ويعلق المؤرخ الكبير إسحاق عبيد^(٨٦٠) على غرق التماثيل الرومانية قائلاً: "ولعل الدارس يرى في هذه الحادثة علامة على غرق حضارة بأكملها". والباحث من جانبه يرى أنه يجب على العالم أن يكدر جهوده للبحث عن هذه الحضارة الغارقة في مياه البحر الأبيض المتوسط.

وعلى أية حال، فقد كان جيزريك صادق الوعد مع البابا ليو الأول وذلك لأنه حافظ على السكان والمباني بدون أي ضرر كما أن الحرق العمد في مدينة روما -متما تماماً- لم يقع^(٨٦١).

والجدير بالذكر، أن الإمبراطورة يودوكسيا كانت تتوقع من الوندال أن يعاملوها معاملة كريمة، ولكن آمالها ضاعت أدراج الرياح، لأن الوندال استولوا على ما لديها من جواهر، بل وحملوها أسيره إلى قرطاجة^(٨٦٢). ولذلك لم يحز جيزريك على ثقتها، بسبب أعماله الغير أخلاقية التي ارتكبها في المدينة^(٨٦٣).

وعلى كل، لقد أثبتت حملة جيزريك على مدينة روما أنه لم يقم بها لتخليص الإمبراطورة يودوكسيا من زوجها الإمبراطور بيترونيوس ماكسيموس، ولكن الهدف من ذلك هو النهب والسلب. كما أثبت مدى النفوذ الذي كانت تتمتع به الليبوية في الغرب، والدور السياسي الذي راحت تلعبه هناك منذ ذلك الوقت. ولقد أثبتت الأحداث - بما لا يدع مجالاً للشك - أن اغتيال القائد العظيم إنتيوس سنة ٤٥٤م على يد الإمبراطور فالنتينيان الثالث كان وبالاً على الإمبراطورية

Procopius: op.cit., vol. II, p. 49. ^(٨٥٩)

من آلاك إلى جستينيان، ص ٩٠. ^(٨٥٥)

Norwich: op.cit., p. 163; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 308. ^(٨٥٦)

يشير المؤرخ ليفالجيروس إلى أن جيزريك أشعل النار في مدينة روما ودمر كل شيء فيها
انتظر:

The Ecclesiastical History of Evagrius., p. 83.

Lisa Ripperton: op.cit., 2. ^(٨٥٢)

Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147, p. 38. ^(٨٥٧)

للرومانية الغربية. كما يذكر بعض المؤرخين أيضاً أن جيزربك أصبح، منذ ذلك الوقت، سيداً للبحر المتوسط، ومحوراً للتاريخ الأوربي^(٨٦٤).

وتقول الأحداث إنه بعد عودة الوندال والمغاربية إلى الشمال الأفريقي فقد اقتسموا الأسرى الرومان فيما بينهم^(٨٦٥). ويذكر البعض من المؤرخين أن الوندال عاملوا يودوكسيا معاملة طيبة بسبب وضعها الاجتماعي^(٨٦٦). ولكن باقي الأسرى عانوا معاناة شديدة بسبب العذاب الذي وقع عليهم من قبل الوندال. ولقد لعب ديوجراتيسياس Deogratias - أسقف مدينة قرطاجنة - دوراً كبيراً في تخفيف آلام هؤلاء الأسرى. حيث يقال أنه باع الأولي المقنعة لكتيسنة لكي يشتري الأسرى، ويعيد الأسر بعضها إلى بعض لاسيما وأن الوندال كانوا قد فرقوا شمل تلك الأسر، عن طريق بيع الأزواج والزوجات والأطفال كل على حدة، وهذه عادة كان الوندال يتصفون بها^(٨٦٧).

ولم يكن أسقف مدين قرطاجنة هو الذي قدم المساعدات فقط للأسرى بل قدمتها أيضاً الإمبراطورة يودوكسيا^(٨٦٨).

وعلى أية حال، احتلى ماركوس ماكيلوس فلاقيوس أباركيوس أفيثوس (٤٥٥ - ٤٥٦م) Marcus Maecilius Flavius Eparchius Avirus عرش الإمبراطورية للرومانية في الغرب وسط هذه المعاناة الشديدة التي كانت تعانيها مدينة روما^(٨٦٩).

Cam. Med. Hist. vol. I, p. 309. ⁽⁸⁶⁴⁾

Jacquin: op.cit., Tom. II, p. 417; Cam. Med. Hist. vol. I, p. 308. ⁽⁸⁶⁵⁾

Perkins: op.cit., p. 17. ⁽⁸⁶⁶⁾

Loc- cit.; Kari Paus and other, op.cit., vol. II, p. 605; Cam. Med. ⁽⁸⁶⁷⁾

Hist., vol. I, p. 308; Gibbon: op.cit., vol. II, p.

سحق عبيد: المرجع السابق، ص ٩٠-٩١.

Nicophori Callisti: op.cit., Tomus 147, p. 39. ⁽⁸⁶⁸⁾

Priscus: Fragment, vol. II, (G.B., 1983), 333; Gregory of Tour: ⁽⁸⁶⁹⁾

op.cit., p. 128; Nicophori Callisti: op.cit., Tomus 147, p. 38.

تمت المنادة بأفيثوس إمبراطوراً في مدينة تولوزا بغلة في ٩ يوليو سنة ٤٥٥م. انظر:

Rvagrius: op.cit., (Not92), p. 83; Scarre: op.cit., p. 231.

وعلى الفور بعث بسفارة إلى القسطنطينية يناشد فيها الإمبراطور البيزنطي مارقيان (٤٥٠-٤٥٧م) Marcian أن يساعده في القيام بهجوم مشترك ضد الوندال في الشمال الأفريقي، وذلك لأنه في حاجة إلى الأسطول البيزنطي^(٨٧٠). ويبدو أنه خلال هذه السفارة راح يطالبه بالاعتراف به إمبراطوراً، ولكن مارقيان رفض؛ لأن اختياره لم يتم عن طريق القسطنطينية^(٨٧١). ولكن البعض يذكر أن الإمبراطور مارقيان اعترف به زميلاً له في الغرب^(٨٧٢).

وبخصوص السفارة التي أرسلها الإمبراطور أفيتوس إلى مارقيان فإن المصادر التاريخية القديمة والمراجع الحديثة لم تقدم لنا أية معلومات حول ما إذا كان مارقيان قد رد على أفيتوس أم لم يرد، ولكن لماذا لم تقم للقسطنطينية بالإشتراك في عمل عسكري مع الإمبراطورية الغربية في عهد الإمبراطور مارقيان؟

وهناك قصة مفادها أن مارقيان عندما كان جندياً في حلمة أسبار سنة ٤٣٢م ضد الوندال في الشمال الأفريقي وقع أسيراً ثم حمل مع مجموعة من الأسرى إلى قصر جيزريك في قرطاجة، ولأنه انتظر هناك لمدة طويلة تحت حرارة الشمس اللافحة فقد غلبه النوم، وبينما كان جيزريك ينظر من النافذة فقد وجد نسياً ضخماً يحوم فوقه ويظلمه بجناحه، وبذلك أدرك على وجه السرعة أن هذا الفتى سيكون له مستقبل باهر. فاستدعاه، وأخبره بأنه سيطلق سراحه في مقابل وعد منه بأنه إذا أصبح أو تولى قي يوم ما إمبراطوراً أو أي منصب آخر

أشار المؤرخ ثيوفانيز إلى أن ماجوريان هو الذي حكم بعد ماكسيموس وليس أفيتوس.

انظر: The Chronicle, p. 167.

وللمزيد من التفاصيل عن تولية ماجوريان انظر:-

Bury: op.cit., vol. I, pp. 326- 327; Wolfram: op.cit., p. 179.

Cam. Med. Hist., vol. I, p. 309. ⁽⁸⁷⁰⁾

Livermore: op.cit., pp. 100- 101. ⁽⁸⁷¹⁾

Bury: op.cit., vol. I, p. 326; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 423. ⁽⁸⁷²⁾

لا يحمل السلاح ضد الوندال مرة أخرى فوافق مارقيان على ذلك وأقسم أنه لن يحمل السلاح مرة أخرى ضد الوندال^(٨٧٣).

والحقيقة أن هذه القصة التي هي عبارة عن أسطورة لا يمكن أن تكون سبباً في عدم قيام الإمبراطور مارقيان بعمل عسكري ضد الوندال ولكن يمكن القول فقط إن ظروف بيزنطة العسكرية لم تكن تؤهلها في ذلك الوقت للقيام بمثل هذا العمل الضخم، وخصوصاً أن بيزنطة كانت منهكة بسبب حربها الطويلة مع الهون.

ومهما يكن من أمر، فإن الإمبراطور مارقيان الذي كان يكن كراهية شديدة إلى جيزريك - وذلك بسبب الأعمال الهمجية التي ارتكبها في مدينة روما - لم يتخل عن قضية روما مع الوندال^(٨٧٤).

فيروي لنا المؤرخ العظيم بريسكوس^(٨٧٥) أن الإمبراطور مارقيان بعث بالسفارات إلى جيزريك يطالبه بالخروج من الأراضي الإيطالية، وإطلاق سراح يودوكسيا - سليلة البيت الإمبراطوري - وبناتها، ولكن هذه السفارات عادت إلى مدينة القسطنطينية فارغة الأيدي، وذلك لأن جيزريك لم يهتم بهؤلاء السنين أرسلهم الإمبراطور مارقيان، ولم يعطهم وعداً بالانسحاب من أراضي الإيطالية، أو إطلاق سراح يودوكسيا وبناتها".

ولم تقتصر علاقات الإمبراطور مارقيان مع جيزريك على السفارات السابق ذكرها، بل بعث إليه بالعديد من الخطابات^(٨٧٦).

والحقيقة أن بريسكوس لم يذكر كم عدد هذه الخطابات، كما أنه لم يوضح ما إذا كان جيزريك قد رد على هذه الخطابات أم لم يرد. ولكن يبدو أن جيزريك لم يعط بالاً للإمبراطور مارقيان.

^(٨٧٣) وللمزيد من التفاصيل عن هذه القصة انظر:

Theophanes: op.cit., 161; Georgii Cedreni, Tomus, 121; cf. also, Norwich: op.cit., p. 165.

Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147; Evagrius op. cit., p. 83. ^(٨٧٤)

Fragments., vol. II, p. 333; Bury: op.cit., vol. p. 327. ^(٨٧٥)

Priscus: op.cit., vol. II, p. 333. ^(٨٧٦)

ولكن مارقيان لم ييأس وبعث بليدا - أحد الأمساقفة الأرثوذكس - إلى جيزريك، ولكن جيزريك لم يهتم بمطالب الإمبراطور مارقيان، عندما أطلعه عليها بليدا، الأمر الذي دفع بليدا لتغيير لهجة حديثه مع جيزريك، فبعد أن كانت تنسم بالورد تحولت إلى للتهديد والوعيد، لقد أخبر بليدا جيزريك "بأنه إذا كان يتبه فرحاً بالنجاح الذي حققه آنذاك، فإنه من مصلحته، والأفيد له ألا يثر إمبراطور الرومان الشرقيين (مارقيان) ومن ثم يجبره على إعلان الحرب عليه بسبب عدم إطلاق سراح الإمبراطورة يودوكسيا وبناتها"^(٨٧٢).

والحقيقة أن جيزريك، كما قال بريسكوس^(٨٧٨)، لم يستمع إلى نصيحة بليدا؛ بإطلاق سراح الإمبراطورة يودوكسيا، ولم يتأثر بتهديداته النارية التي كانت من المفترض أن تجعله يغير من سلوكه تجاه الإمبراطور مارقيان. ولكن جيزريك - في تحدٍ لسافر لمارقيان - قام بطرد بليدا من بلاطه دون تحقيق أي نتائج تذكر.

وعلى الجانب الآخر، بعث الإمبراطور أفينوس سفارة إلى جيزريك مذكراً إياه بالاتفاقات القديمة^(٨٧٩)، وراح يهدده بأنه إن لم يلتزم بها، ويحافظ عليها فإنه سيرسل ضده حملة عسكرية ضخمة، "وأن هذه الحملة لن تكون مؤلفة من قواته فقط بل أيضاً ومن قوات حلفائه"^(٨٨٠).

Ibid, pp. 333-335. ⁽⁸⁷⁷⁾

The Fragment, p. 335. ⁽⁸⁷⁸⁾

⁽⁸⁷⁹⁾ الاتفاقيات القديمة، هي لاتفاقية سنة ٤٣٥م، واتفاقية سنة ٤٤٢م، والأخيرة هي التي قسمت أفريقيا بين الوندال والإمبراطورية الغربية. حيث أعطت للوندال موريتانيا تينجيتانا (مراكش - أي المغرب) Mauretania Tingitana، الواقعة عبر مضيق جبل طارق؛ Byzacena, Proconsularis أو Zuygitana ونوميدا Numidia (الجزائر) في حين أخذت الإمبراطورية موريثانيا للقبصرية، Mauretania, Cirtan Numidi Sitifensis، Caesariensis وطرابلس Triopolis، وللمزيد من التفاصيل عن هذه المعاهدات. انظر: Procopius: op.cit., vol. II, Book, III, p. 137, 39 cf. also, Wolgram: op.cit., p. 166; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 307, 413; Merrilles: op.cit., p. 39; Deanesly: op.cit., p. 76; Karl Baus: op.cit., p. 603. Priscus: op.cit., vol. II, p. 335. c. also. Cam. Med. Hist., vol. I, p. ⁽⁸⁸⁰⁾ 422; Bury: op.cit., vol. I, p. 327.

وعلى ما يبدو أن جيزريك كان قد استولى في سنة ٤٤٥م، وبعد عودته من غزو مدينة روما، على بعض الأراضي التي كانت تخص الإمبراطورية الغربية طبقاً لإتفاقية سنة ٤٤٢م^(٨٨١). وهذه هي الأراضي الإيطالية التي كان الإمبراطور ماركيان مطالب بعودتها من خلال سفاراته وخطاباته إلى جيزريك.

ولكن جيزريك كان صلفاً إلى حد كبير؛ فلقد ازدري كل من الإمبراطور ماركيان - الإمبراطور البيزنطي - وأثينوس - الإمبراطور الغربي - وأرسل أسطولاً لمهاجمة صقلية^(٨٨٢)، والأراضي الإيطالية المجاورة لها، ولقد قامت يومها القوات الوندالية بتخريب تلك الأراضي^(٨٨٣). وعلى أية حال، من خلال الإشارات الغير كافية للمؤرخين يتضح لنا أن حملة جيزريك هذه كانت في عام ٤٥٦م^(٨٨٤). وواقع الأمر أننا لم نجد أية تفاصيل أكثر من تلك عن هذه الحملة.

أما الإمبراطور أثينوس، فقد أرسل، وعلى وجه السرعة قائده العظيم ريكيمر Ricimer^(٨٨٥)، على رأس أسطول ضخم للدفاع عن صقلية والأراضي الإيطالية، ويومها تمكن ريكيمر من هزيمة فرقة عسكرية من الوندال في جزيرة أجريجتوم Agrigentum، المجاورة لجزيرة صقلية ومن ثم كان

Bury: op.cit., vol. I, p. 327; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 422. ⁽⁸⁸¹⁾

صقلية: بثلاث كمرات وتشديد اللام والياء أيضاً شددت، وبعض يقول بالسين وأكثر ⁽⁸⁸²⁾

أهل صقلية يفتحون الصناد وللأم: وبين الجزيرة وبر إفريقيا مائة وأربعون ميلاً. يلقوت

الحموي: معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجدي، ج ٣ (بيروت، ١٩٩٠م)، ص

٤٧٣ ويفصل جزيرة صقلية عن إيطاليا مضيق ميسين. انظر: عزيز أحمد: تاريخ صقلية

الإسلامية، ترجم أمين توفيق، (بيروت، ١٩٨٠م)، ص ٨.

Priseus: op.cit., p. 335. ⁽⁸⁸³⁾

ينكر بيوري أن الأسطول واللدالي كان مكوناً من ستين سفينة. انظر:

The Later Roman Empire, vol. I, p. 327.

Deanesly: op.cit., p. 77. ⁽⁸⁸⁴⁾

ريكيمر Ricimer: رجل ذات أصول جرمانية، فولدته ابنة واليا Wallia ملك القوط ⁽⁸⁸⁵⁾

الغربيين، ووالده سورفي Suevi الأصل، كان يعمل ريكيمر في خدمة الإمبراطورية

الغربية، ولقد عينه الإمبراطور أثينوس سيداً للجنود، منذ ٤٥٦ وحتى وفاته ٤٧٧م. انظر:

Bury: op.cit., vol. I, p. 327; Hadas: op.cit., p. 243.

الوندال مجبرين على الهروب، ولكن ريكيمير تابعهم وأنزل بهم هزيمة بحرية في المياه الكورسيكية^(٨٨٦).

ولقد كان من أهم نتائج حملة ريكيمير البحرية، والانتصار الذي حققه على الأمطول الوندالي قرب جزيرة كورسيكا Corsica والواقعة في غرب البحر المتوسط، قيامه بخلع الإمبراطور أفيتوس من عرش الإمبراطورية في ١٧ أكتوبر سنة ٤٦٥م^(٨٨٧).

والجدير بالذكر، أنه لم يتم اختيار إمبراطورًا جديدًا للإمبراطورية الغربية على وجه السرعة، وهذا في حد ذاته يعد توقف مؤقت للحكم الإمبراطوري، المنفصل في الغرب، ولذلك كان من الطبيعي القول إنه من ١٧ أكتوبر سنة ٤٥٦م وحتى ١ أبريل سنة ٤٥٧م كانت هناك فترة خلو كرسي الملك في الغرب، ولكن لا ينبغي علينا أن نسمى أنه من الناحية النظرية فإن هذه العبارة تكون غير صحيحة، وذلك لأنه من الناحية القانونية فإن الإمبراطور مارقيان كان الحاكم الوحيد للإمبراطورية منذ سقوط أفيتوس في ١٧ أكتوبر سنة ٤٥٦م وحتى وفاته في نهاية يناير سنة ٤٥٧م كما أن الإمبراطور نيو الأول (٤٥٧ - ٤٧٤م) Leo I، الذي تولى بعده كان الحاكم الوحيدة للإمبراطورية في الغرب، ولمدة ثلاثة شهور بعد وفاة الإمبراطور مارقيان^(٨٨٨).

اعتلى ماجوريان (٤٥٧ - ٤٦١م) Majorian عرش الإمبراطورية في الغرب، من قبل مجلس القنيوخ الروماني^(٨٨٩). ولكنه لم يكن معترفًا به

Priscus: op.cit., vol. II, p. 533; Bury: op.cit., vol. I, p. 327; Cam. ⁽⁸⁸⁶⁾

Med. Hist., vol. I, p. 309; Gibbon: op.cit., vol. III, pp. 612- 613.

John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 533, 537. cf. also, Bury: op.cit., ⁽⁸⁸⁷⁾

vol. I, p. 328; Jones: op.cit., p. 89; Bovere M: Mediterranean Cross

Currents, Tr. From Germany, by Louisa Marie, (London, 1938), p. 120;

Gibbon: op.cit., vol. III, p. 613.

Bury: op.cit., vol. I, pp. 328- 329; Cam. ⁽⁸⁸⁸⁾

Med. Hist.

Gregory of Tour: op.cit., p. 128; Nicophori Callisti: op.cit., Tomus ⁽⁸⁸⁹⁾

147. cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 329; Jones: op.cit., p. 98; Gibbon:

op.cit., vol. III, p. 616.

إمبراطوراً من قبل الإمبراطور البيزنطي ليو الأول^(٨٩١). ولذلك فإنه - على الأقل - يكون فاقداً الشرعية، وذلك لأن شرعية أي إمبراطور يقوى الحكم في إيطاليا اعتمدت على كونه معترفاً به كزميل بواسطة الإمبراطور القبايع على العرش في القسطنطينية، وعلى هذا الأساس فإن المؤرخ بيوري، في رأيه أنه لكي يكون حكم أي إمبراطور راسخاً في الغرب، فلا بد من أني نال اعتراف إمبراطور الشرق، وهذا ما حصل عليه الإمبراطور ماجوريان^(٨٩١).

ولقد كان الهدف الأساسي لإمبراطور ماجوريان خلال فترة حكمه استرداد أفريقيا من الوندال^(٨٩٢)، وذلك لأنه كان يرى أن ضياع ليبيا Libya^(٨٩٣) من الإمبراطورية الرومانية للغربية يمثل خسارة كبرى لها، ويحط من هيبتها^(٨٩٤)، وفي نفس الوقت كان يبحث لنفسه عن نور في التاريخ لكي يثبت ذاته ويظهر أنه أهل لمثل هذه الأعمال الكبرى^(٨٩٥).

ويمكن أن تظهر في ذلك الوقت كيداية سعيدة، أنه لم يكذب يمضي على اعتلاء ماجوريان للعرش الإمبراطوري وقت طويل حتى نجحت فرقة من

ارتبكت بعض المصادر التاريخية فجعلت ماجوريان بعد ماكسيموس. انظر:

Georgii Cedreni: op.cit., Tomus 121, p. 659; Evagrius: op.cit., p. 83.

أما المؤرخ جورافيز فقد ذهب أبعد من ذلك عندما قال: 'ولقد تولى بعد الإمبراطور

ماكسيموس ماجوريان، بأمر من الإمبراطور الشرقي ماركيان'. انظر: The Origin and

Deeds of the Gothe, p. 56.

تقريباً لأربع سنوات منذ ١ أبريل سنة ٤٥٧م حتى ٢ أغسطس سنة ٤٦١م.

انظر: Evagrius: op.cit., 83 (Not 92).

Downey: op.cit., p. 84; Grant: op.cit., p. 54; Jones: op.cit., p. 89; ⁽⁸⁹⁰⁾

Treadgold w. : A concise History of the Byzantine Empire Palgrave,

2001), p. 151.

Bury: op.cit., vol. I, p. 329. ⁽⁸⁹¹⁾

Livermore: p. 103. ⁽⁸⁹²⁾

op.cit.,

⁽⁸⁹³⁾ ليبيا Libya: مصطلح كان لليونان يطلقونه على كل ما عرفوه من الشمال الأفريقي

عدا مصر وأثيوبيا. انظر:

زاهر رياض: شمال أفريقيا في العصور الوسطى، (القاهرة، ١٩٨١)، ص ٧ (هامش ١).

Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 65. ⁽⁸⁹⁴⁾

Bury: op.cit., vol. I, p. 331. ⁽⁸⁹⁵⁾

القوات الرومانية في هزيمة بعض القوات الوندالية والمغاربة، التي كان يتولى قيادتها صهر الملك جيزريك وقتلت الكثير منها، ومن ضمنها صهر الملك نفسه، وذلك عندما كانت تقوم بغارة على الجنوب الإيطالي من أجل النهب والعلاب^(٨٩٦).

وفي غضون ذلك، تقدم ماجوريان على رأس جيش ضخم، في شتاء سنة ٤٥٨ - ٤٥٩م إلى عائله، حيث نجح في إخماد التمرد الذي قام به القوط الغربيون والبرجنديون وغيرهم، بسبب سقوط الإمبراطور السابق أفيتوس. كما نجح في تسوية نفس الأمور في أسيانيا، وذلك بهدف استخدامها كقاعدة لإعداد الأسطول في مواتها للهجوم على الوندال^(٨٩٧).

ويبدو أن جيزريك قرأ ما يدور في ذهن الإمبراطور ماجوريان، ومن ثم فقد سعى جاهداً في سنة ٤٥٧م، في التوسط لإنهاء الصراع الدائر بين القوط الغربيين والسويقي في أسيانيا، وذلك بهدف إقامة تحالف ثلاثي ضد الإمبراطورية الرومانية الغربية ولكنه فشل^(٨٩٨)، بسبب التقارب بين القوط الغربيين والإمبراطور ماجوريان^(٨٩٩).

وعلى كل، وصل الإمبراطور ماجوريان إلى أسبانيا في مايو سنة ٤٦٠م، واتخذ من سرقسطه Saragossa مقراً لإقامته^(٩٠٠).

وتشير المصادر التاريخية المعاصرة وغير المعاصرة إلى أن ماجوريان استطاع، في غضون ذلك جمع قوات ضخمة وأسطول مكون من ثلاثمائة

Gibbon: op.cit., vol. III, p. 621; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 309. ⁽⁸⁹⁶⁾

Priscus: op.cit., vol. II, p. 337; John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 339. cf. also, Bury: op.cit., vol. I, pp. 330-331; Wolfram: op.cit., p. 180;

Cam. Med. Hist., vol. I, p. 423.

Wolfram: op.cit., p. 180; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 309. ⁽⁸⁹⁸⁾

Livermore: op.cit., p. 104. ⁽⁸⁹⁹⁾

Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 65; Theophanes: op.cit., p. 184. cf. also, Livermore: op. cit., p. 104. ⁽⁹⁰⁰⁾

سفينة^(٩٠١) جمعت من الساحل الأسباني^(٩٠٢)، ورسبت في ميناء أليكانتيه
Alicante الأسباني، للايجار مباشرة ضد الوندال^(٩٠٣).

وينفرد المؤرخ بروكوبيوس^(٩٠٤) بقصة غريبة ربما يصعب قبولها وهذه
القصة مفادها أن الإمبراطور ماجوريان قبل عبوره إلى أفريقيا رغب في معرفة
قوة عدوه، والوقوف على مدى العلاقة التي تربط بين البربر والرومان من
سكان ليبيا وجيزريك. ولأن ماجوريان رغب في معرفة ذلك بنفسه فقد سافر إلى
الشمال الأفريقي كما لو كان مبعوثاً للإمبراطور. وخوفاً من اكتشافه من قبل
جيزريك غير من هيئته. لدرجة أن جيزريك لم يتعرف عليه عندما قابله، لقد
سعى هذا البربري (جيزريك) بشتى للطرق لإلقاء الرعب في قلبه
(ماجوريان). وعامله بأملوب جذاب وأحضره إلى منزله حيث كانت كل
أسلحته مخزونة هناك. ثم يستطرد بروكوبيوس^(٩٠٥) موضحاً أن ماجوريان
عندما أنهى مهمته عاد إلى أسبانيا، وتقدم على رأس قواته حتى وصل إلى
مضيق جبل طارق بهدف العبور من هناك. وعندما عرف جيزريك - فيما بعد -
أن الذي كان يقف أمامه منذ وقت وجيز كان الإمبراطور ماجوريان، أصابه
للرعب وراح يستعد للحرب.

ومهما يكن من أمر فقد بدأت آمال الشعب الروماني تزداد بمسبب
استعدادات الإمبراطور ماجوريان الضخمة في استرداد الشمال الأفريقي مرة
أخرى من يد الوندال^(٩٠٦).

وعندما شعر الملك جيزريك بأن الخناق يضيق عليه، "أضطر"، كما قال
المؤرخ بريسكوس^(٩٠٧)، "لإرسال السفارات إليه (إلى ماجوريان) محاولاً تسوية

Priscus: op.cit., p. 337; John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 339. ^(٩٠١)

Bury: op.cit., vol. I, p. 331. ^(٩٠٢)

Livemore: op.cit., p. 104, Cam. Med. Hist., vol. I, p. 423. ^(٩٠٣)

History of the Wars, Book III, p. 65. cf. also. Gibbon: op.cit., vol. ^(٩٠٤)

III, p. 623.

Ibid, p. 67. ^(٩٠٥)

Procopius: op.cit., vol. II, Book. III, p. 67, 69. ^(٩٠٦)

The Fragments, vol. II, p. 337. ^(٩٠٧)

للخلافات القائمة بينهما عن طريق المفاوضات وليس الحرب ولكن ماجوريان رفض التفاوض". ولأخذ بالمبدأ القديم للقائم: "بأن روما لا يمكن أن تتعم بالأمان طالما بقيت قرطاجة في حالة عداة"^(٩٠٨). ويبدو أن رفض ماجوريان للتفاوض لم يأت من فراغ بل يعود إلى ثقته في نفسه وقواته التي جمعها، وأنه أصبح قباب قوسين أو أدنى من إعادة الشمال الأفريقي إلى حظيرة الإمبراطورية الرومانية الغربية.

وعلى أية حال، إن يأس جيزريك من إقامة السلام مع الإمبراطور ماجوريان، دفعة إلى القيام بتخريب جميع الأراضي المغربية التي مستنزل فيها قوات الإمبراطور ماجوريان عدد عبورها من أسبانيا^(٩٠٩). وبخصوص هذه النقطة ينكر بروكوبيوس^(٩١٠)، أن جيزريك قام بإزالة جميع أسوار المدن الليبية ماعدا أسوار مدينة قرطاجة حتى لا يتمكن أهل ليبيا من القيام بالثورة ضده، انطلاقاً من إحدى هذه المدن الحصينة حتى ولو تلقوا المساعدات من قبل الرومان؛ وأيضاً لن تتمكن قوات حملة الإمبراطور ماجوريان من الاستيلاء على أية أرض أو مدينة، وأن تقيم بها حامية عسكرية، لأنها سوف تكون عرضة - آنذاك - للهجوم من قبل الوندال. ولم يقتصر نور جيزريك على ممارسة أعمال التخريب، بل سمم جميع آبار المياه الموجودة في المنطقة التي من المنتظر نزول حملة الإمبراطور ماجوريان فيها؛ وطبيعي فإن ذلك كان بهدف حرمان الجيوش الرومانية من المياه^(٩١١). كما دمر جيزريك الموانئ التي تصلح لرسو السفن^(٩١٢).

ومهما يكن من أم، فإن حملة الإمبراطور ماجوريان لم يكن من المستطاع تنفيذها أن ذلك، وذلك لأن الوندال استطاعوا عن طريق خيانة بعض

^(٩٠٨) إنولرد جيبون: إضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها؛ ج ٢، ترجمة محمد سليم سالم مرجعة أحمد نجيب هاشم، (القاهرة، ١٩٩٧م)، ص ٢٠٧.

Loc. cit. ^(٩٠٩)

History of the Wars, vol. II, Book. II, p. 49. ^(٩١٠)

Priscus: op.cit., vol. II, p. 337. cf. also, Cam. Med. Hist. vol. I, p. ^(٩١١)

309.

^(٩١٢) اسحق عبيد: للمرجع السابق، ص ٩١.

قادة الإمبراطور ماجوريان الاستيلاء على عدد كبير من سفن هذا الأسطول الروماني التي كانت ترابط خارج ميناء إبيكانتيه للبحري وأحرقوا وأغرقوا الكثير منها. الأمر الذي أدى لانتهيار مشروع الحملة^(٩١٣). وتخلّى ماجوريان عن القيام بها، في سنة ٤٦٦م^(٩١٤).

وهنا نجد أن المؤرخ يوحنا الأنطاكي^(٩١٥)، الذي ينقل عن بريسكوس، يقول: إن الإمبراطور ماجوريان عقد معاهدة مع جيزريك. "بشروط مخزية" ولم يوضح ما هي هذه الشروط المخزية. ولكن أحد المؤرخين المحدثين يقول: إن ماجوريان اعترف في معاهدته مع جيزريك بحقه، أي جيزريك، في الممتلكات الجديدة التي استولى عليها في الشمال الأفريقي منذ سنة ٤٥٥م^(٩١٦).

ولعل النتيجة الوحيدة التي ترتبت على فشل حملة الإمبراطور ماجوريان ضد جيزريك هي أنه أثناء عودة ماجوريان لإيطاليا تم القبض عليه وقتله بواسطة ريمكيمير في ٢ أغسطس سنة ٤٦٦م^(٩١٧)، ويتهم ويحنا الأنطاكي^(٩١٨) على هذه النهاية المخزية قاتلاً؛ وكانت هذه هي نهاية الإمبراطور ماجوريان. حقاً إنها نهاية مؤسفة.

والواقع، أن جيزريك وجد في سياسة الإمبراطور ماجوريان العدائية ضده ذريعة جديدة لزيادة أعمال الاضطهاد ضد الكاثوليك في الشمال الأفريقي

^(٩١٣) Bury: op.cit., vol. I, pp. 332; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 310.

^(٩١٤) John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 339. cf. also, Treadgold: op.cit., p. 152.

^(٩١٥) The Fragment, vol. II, p. 339.

^(٩١٦) Cam. Med. Hist. vol. I, p. 310.

^(٩١٧) (والمزيد من التفاصيل عن نهاية ماجوريان. انظر:

John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 339; Gordanes: op.cit., p. 56. cf. also,

Bury: op.cit., vol. I, p. 332. Cam. Med. Hist. vol. I, p. 424; Wolgram op. cit., p. 180; Juhn: op.cit., p. 90.

ولكن المؤرخ بروكوبيوس يذكر أن الإمبراطور ماجوريانوس مرض بمرض الدوسنتاريا Dysentery ومات في سنة ٤٦٦م. انظر:

History of the Wars, vol. II, Book III, p. 69.

^(٩١٨) The Fragments., Vol. II, p. 339.

فأمر أتباعه بجمع كل الكتب المقدمه والأواني الكنسية من الكنائس، كما استولى رجاله على ستائر الكنائس وحولوها إلى ملابس يلبسونها، وإمعاناً في زيادة إذلال الكاثوليك، فقد أغلق الوندال نور العبادة الخاصة بهم، وعندما تجمع الكثير من الكاثوليك في إحدى المرات للاحتفال بعيد الفصح^(٩١٩) في كنيسةهم هجم عليهم الوندال وأبادوهم جميعاً في قلب الكنيسة، كما أجبر الوندال عدداً كبيراً من الأساقفة الكاثوليك على اعتناق الأرثوذكسية، أما الذين رفضوا ذلك فقد تم التخلص منهم إما عن طريق القتل أو الحرق^(٩٢٠).

وتقول الأحداث، إنه بعد التخلص من الإمبراطور ماجوريان أنعم ريكيمير بالإرجوان الإمبراطوري على ليبوس سيفيروس (٤٦١-٤٦٥م) Libius severus^(٩٢١).

وكان من المفترض أن نسمع من المؤرخين آية معلومات عن سعي الإمبراطور ليبوس سيفيروس لدى البلاط القسطنطينية للحصول على الاعتراف به إمبراطوراً في الغرب، ولكن كل الذي قاله للمؤرخون هو أن ليبوس سيفيروس لم يتم الاعتراف به في مدينة القسطنطينية^(٩٢٢). ولقد كان الحاكم الحقيقي في مدينة روما هو ريكيمير وليس الإمبراطور سيفيروس^(٩٢٣).

^(٩١٩) عيد الفصح: هو العيد الكبير الذي يقطر فيه المعمييون ويحتفلون فيه بذكرى قيام السيد المسيح من قبره، واجتماعه مع حواريه وتناول للطعام معهم وكلمهم وأوصاهم وأقام في الأرض أربعين يوماً. انظر: قاسم عبده قاسم أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى، (القاهرة، ١٩٢٩)، ص ١٢٠. ونفس المؤلف دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، (القاهرة، ١٩٨٣)، ص ١٠٤.

^(٩٢٠) سحق عيد: المرجع السابق، ص ٩١.

^(٩٢١) Nicophore Callisti: op. cit., Tomus 147, p. 38; Gordames: op. cit., p. 56, cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 332, Gibbon: op. cit., vol. III, p. 625.

يذكر المؤرخ ثيوفانيز أن سيفيروس تولى إمبراطوراً في شهر يولييه سنة ٤٦١م. انظر:

The Chronicle, p. 175.

Evagrius: op. cit., p. 83 (Not 92).

Bury: op.cit., vol. I, p. 332; Croke B.: Count Marcellinus and his ^(٩٢٢)

Chronicle, (oxford, 2001), p. 175. Treadgold: op.cit., p. 152; Downey: op.cit., p. 84.

Bury: op. cit., vol. I, p. 333. ^(٩٢٣)

وعلى أية حال، كانت النتيجة التي ترتبت على تولية الإمبراطور لبيوس سيفيروس هي إعلان الملك جيزريك - وعلى وجه السرعة - التنصل من الاتفاقية التي عقدها مع الإمبراطور ماجوريان، وأرسل قوة من الوندال والمتاربة لممارسة أعمال النهب والسلب في إيطاليا وصقلية^(٩٢٤).

ويبدو، أنه مما شجع جيزريك على مهاجمة جزيرة صقلية، مغادرة الكونت ماركلينوس^(٩٢٥) لها، وذلك بسبب العداء بينه وبين ريكيمير، الذي استطاع عن طريق الرشاوي استمالة أتباع ماركلينوس من الهون للعمل في خدمته. ولأن ماركلينوس كان يعلم أنه لن يقوي على منافسة ريكيمير وخوفاً على نفسه من الاغتيال فقد غادر إلى دالماتيا، حيث حكم تحت سيادة الإمبراطور ليو الأول، وربما كان ذلك بلقب سيد الجند في دالماتيا^(٩٢٦).

ويتحدث المؤرخ بريسكوس^(٩٢٧) عن سفارات أرسلت من قبل الإمبراطور البيزنطي ليو الأول، وريكيمير إلى جيزريك تطالبه بضرورة المحافظة على الاتفاقية التي عقدها مع الإمبراطور السابق ماجوريان، وكذلك الإنسحاب من إيطاليا وجزيرة صقلية، والعمل أيضاً على عودة الإمبراطورة يودوكسيا وبنتيها.

Priscus: op.cit., vol. II, p. 337. cf. also, Cam. Med. Hist., vol. I, p. ^(٩٢٤) 310.

^(٩٢٥) الكونت ماركلينوس: كان ماركلينوس Marcellinus واحداً من رجال إتيوس رقي إلى منصب الجند في دالماتيا Dalmatia. رفض تقديم الطاعة إلى الإمبراطور فالنتينيان الثالث بعد اغتيال إتيوس؛ ولكن عندما اعتلى ماجوريان عرش الإمبراطورية، قدم ماركلينوس الولاء والطاعة إليه، لأنه كان من رجال إتيوس، وذلك فقد أوكل إليه ماجوريان مهمة الدفاع عن صقلية ضد الوندال، ولكن سقوط ماجوريان دفعه إلى الثورة - لا ميمياً بعد ما غادر صقلية إلى دالماتيا - وجعل من نفسه حاكماً مستقلاً لها. كان ماركلينوس وثيقاً، ورجل ميسرة من الطراز الأول. انظر:

Gibbon: op.cit., vol. III, p. 626; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 425; Bury: op.cit., vol. I, p. 333.

Priscus: op.cit., vol. II, p. 333; Treadgold: op.cit., p. 152. ^(٩٢٦)

fragments., vol. II, p. 337. ^(٩٢٧)

والواضح أن سفارات الإمبراطور ليو الأول وريكمير قد تعددت إلى جيزريك، ولكنها لم تحقق أية نتائج تذكر. سوى إطلاق سراح الإمبراطورة يودوكسيا- أرملة الإمبراطور فالنتينيان- وابنتها بلاسيديا، وذلك لأن جيزريك كان قد زوج ابنتها الكبرى يودوكيا إلى ابنه هونريك Huneric^(٩٢٨).

ويذكر بعض المؤرخين أن جيزريك تلقى في مقابل إطلاق سراح يودوكسيا وابنتها بلاسيديا، حصاة من أملاك الإمبراطور فالنتينيان الثالث كمهر إلى يودوكيا. وبذلك يمكن القول، إن عودة بلاسيديا قد أدت إلى قيام اتفاق سلام بين القسطنطينية وقرطاجة^(٩٢٩).

ولكن على الجانب الآخر، فقد استمرت العلاقات العدائية بين روما وقرطاجة، وذلك بسبب رفض ريكيمير تولية أوليبريوس Olybrius، نيبيل روماني عظيم- مرشح جيزريك- عرش الإمبراطورية الرومانية في المغرب بعد القضاء على ماجوريان، ولم تأت مطالبة جيزريك بذلك من فراغ، بل لأن أوليبريوس كان متزوجاً من بلاسيديا أخت يودوكيا زوجة ابنه هونريك. ولذلك لم تتوقف غارات جيزريك التخريبية على كل من إيطاليا وصقلية، بل ازدادت في حداثها^(٩٣٠).

Prscus: op.cit., vol. II, p. 337; Georgii Cedreni: op.cit., Tomus 121, ^(٩٢٨)
p. 659; Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 49; Evagrius: op.cit., p. 83;
Theophanes: op.cit., p. 167, 169. cf. also, Norwich: op.cit., p. 163
(Not.1); Gibbon: op.cit., vol. III, p. 629.

يذكر بعض المؤرخين أن بلاسيديا عادت مع والدتها يودوكسيا إلى مدينة القسطنطينية في عهد الإمبراطور مارقيان، وعند ذلك أمر بزواجها من أوليبريوس Nicephori Callist. op.cit.,
Tomus 147, p. 38; Evagrius: op.cit., p. 83.
بلاسيديا ويودوكسيا كانت في سنة ٤٦٢ أو ٤٦٣. انظر: Jacquin: op.cit., Tom. II, p.
419.

Priscus: op.cit., vol. II, p. 343. cf. also. Bury: op.cit., vol. I, p. 334; ^(٩٢٩)
Cam. Med. Hist, Vol. I, p. 310, Tread gold: op.cit., p. 152.

Priscus: op.cit., vol. II, p. 337; John of Antioch: op.cit., vol. II, p. ^(٩٣٠)
340.

وإذا كان السبب الحقيقي في تزايد غارات جيزريك على إيطاليا وصقلية هو عدم تولية أولييريوس إمبراطوراً في الغرب، فإنه كان يعلن أنت سبب ذلك هو عدم تصلمه ممتلكات الإمبراطور فالنتنيان الثالث وإنتيوس فالأولى باسم يودوكسيا، لأنها زوجة ابته هونريك، والثانية باسم جودنتيوس ابن إنتيوس، والذي كان يعيش، آنذاك، في بلاط جيزريك^(٩٣١).

وعلى كل، أمام تهديد الوندال من ناحية، وتزايد قوة الكونت ماركلينوس، والخوف من إعلانه الحرب على الإمبراطورية الرومانية الغربية، من ناحية أخرى أرسل ريكيمير ومجلس الشيوخ الروماني السفارات للإمبراطور البيزنطي، ليو الأول يطلبون منه التدخل لإقامة السلام مع جيزريك وللكونت ماركلينوس، وبالفضل وافق ليو على القيام بدور وسيط السلام. ويومها تمكن سيزه فيلارخيوس Phylarchus من إقناع ماركلينوس بعدم إشعال النار الحرب ضد الإمبراطورية الرومانية الغربية، ولكن فيلارخيوس فشل في سفارته إلى جيزريك، الذي رفض إقامة السلام مع الإمبراطورية الرومانية الغربية ما لم تسلم إليه أملاك الإمبراطور فالنتنيان الثالث وإنتيوس^(٩٣٢).

ولقد استخدم جيزريك زريعة أملاك فالنتنيان وإنتيوس لاستمرار فتح باب العداوات مع الإمبراطورية الرومانية الغربية، ولذلك قاد حملات بحرية سنوية في بداية فصل الربيع ضد كل من صقلية وإيطاليا والعديد من المدن الإيطالية الأخرى، حيث قام بنهب وتخريب واستعباد أهل المدن التي لا توجد عليها دفاعات قوية، ولكنه في نفس الوقت لم يهاجم المدن الحصينة^(٩٣٣).

ويلتمس المؤرخ بريسكوس^(٩٣٤) العز للإمبراطورية الرومانية الغربية بسبب عدم قدرتها على تأمين دفاعات جميع الأماكن التي يمكن أن تصل إليها هجمات الجيوش الوندالية، فيوضح أن ذلك يعود إلى "الكثير من المعوقات

John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 339- 341. ^(٩٣١)

Priscus: op.cit., vol. II, p. 334. cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 334. ^(٩٣٢)

Priscus: op.cit., II, p. 343; cf. also, Gibbon: op.cit., vol. III, p. 628. ^(٩٣٣)

The Fragment, vol. II, p. 343. ^(٩٣٤)

المتثلة في كثيرة أعدائها من ناحية، وعدم وجود أسطول قوي من ناحية أخرى".

وحدث وقتئذ أن طلب ريكيمير ومجلس الشيوخ الروماني المساعدات العسكرية من الإمبراطور ليو الأول، ولكن دون جدوى. ولعل السبب في ذلك يعود إلى السلام للقائم بين القسطنطينية من ناحية وقرطاجة من ناحية أخرى^(٩٣٥). هذا السلام الذي حدث بعد عودة الإمبراطورة يودوكسيا وابنتها بلاسيدا إلى القسطنطينية.

وهنا نجد أن المؤرخ بريسكوس^(٩٣٦) يتحدث بمرارة موضحاً أن السبب في "معاناة الرومان الغربيين- كما قال- يعود إلى انقسام الإمبراطورية الرومانية".

وعلى كل، أرسل ريكيمير ومجلس الشيوخ الروماني مرة أخرى سفارة إلى الإمبراطور البيزنطي ليو الأول، لكي يوضحا له أنهم لم تعد لديهم القدرة على الاستمرار في مقاومة الجيوش الوندالية؛ ولذلك لابد من تدخله لإنهاء حالة الحرب بين روما وقرطاجة. ولم يتوان ليو الأول. فبعث بتاتيان Tatian سفيراً إلى الوندال نيابة عن الإمبراطورية الرومانية الغربية. ولكن تاتيان عاد على

Loc cit. ^(٩٣٥)

The Fragments, vol. II, p. 343. ^(٩٣٦)

يعتبر العام الذي تولى فيه هونوريوس (٣٩٥-٤٢٥) Honorius في النصف الغربي من الإمبراطورية الرومانية وأركاديوس (٣٩٥-٤٠٨) Arcadius في النصف الشرقي وهو سنة ٣٩٥م- على يد والدهما الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (٣٧٩-٣٩٥) Theodosius I الذي كان آنذاك على فراش الموت، بداية الانفصال العملي، بين شطري الإمبراطورية الرومانية؛ إذ صار كل من هذين الإمبراطورين يحمل جهاذاً على الدفاع عن ممتلكاته دون النظر لوحدة الإمبراطورية، ولقد عجل هذا الانقسام بزوال النصف الغربي لا سيما هو أن حكام القسطنطينية كانوا مجبرين على أن يدافعوا عن أملاكهم ضد اليرابرة وتخلوا تماماً عن النصف الغربي. فنظر:

Brehier: The Life and Death of Byzantium, Tr. By Margaret Vaughan, (N.Y. 1976)، p. 1؛
ترجمة رانغيت عيد الحميد، (القاهرة، ١٩٨٢)،
ص ١٩٧ إبراهيم أحمد العنوي: المسلمون والجرمان، (القاهرة، ١٩٩٤م)، ص ٩، (هامش ١).

وجه السرعة إلى القسطنطينية دون التوصل لشيء مع الوندال وذلك لأن جيزريك رفض مقابله^(٩٣٧).

وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على مدى الاستخفاف بالإمبراطور ليو الأول من قبل جيزريك، لدرجة أنه لم يرض، حتى أن يقابل سفيره.

ولقد حدث في غضون ذلك تغير نوعي في العلاقات بين روما والقسطنطينية، وذلك لأن الإمبراطور ليبيريوس سيفيروس كان قد مات في ١٤ نوفمبر سنة ٤٦٥م^(٩٣٨). ولمدة عام ونصف بعد سنة ٤٦٥م لم يكن هناك إمبراطوراً في الغرب، ولكن في مثل هذه الحالة فإن الإمبراطورية الرومانية الغربية، تكون من الناحية القانونية تحت سلطة الإمبراطور البيزنطي ليو الأول^(٩٣٩). حتى لو يمارس هذه السلطة من الناحية العلمية^(٩٤٠).

ولأن استرداد أفريقيا من الوندال كان ما يزال الهدف الأسمى لدى الإمبراطورية الرومانية الغربية، فإن ريكيمير كان الأمل ما يزال يراوده في استخدام القوة لطرد الوندال من هناك، ولكن القيام بهذا العمل لم يكن من المستطاع بدون قوة بحرية، فقط كانت الإمبراطورية البيزنطية هي التي تمتلك هذه القوة، ولذلك راح ريكيمير يتقرب إلى الإمبراطور ليو الأول الذي استغل الفرصة، وأكد على حقه في تعيين إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية الغربية^(٩٤١). وبدأت المفاوضات بالفعل بين الإمبراطور ليو وريكيمير لاختيار هذا الإمبراطور^(٩٤٢)، ولكن أمد المفاوضات قد طال؛ لأنه في غضون ذلك كان جيزريك ما يزال يطالب بتولية أولييريوس إمبراطوراً في الغرب، ولكن ليو الأول لم يكن راغباً في ذلك، وفي نفس الوقت لم يكن راغباً في كسر اتفاقية

^(٩٣٧) Priscus: op.cit., vol. II, p. 345, 347.

^(٩٣٨) Livemore: op.cit., p. 106; Evagrius: op.cit., p. 83 (Not. 92).

يذكر البعض أن الإمبراطور ليبيريوس سيفيروس مات في ١٥ أغسطس سنة ٤٦٥م.

لنظر: Bury: op.cit., vol. I, p. 334.

^(٩٣٩) Bury: op.cit., vol. I, p. 334; Hadas: op.cit., p. 243.

^(٩٤٠) Thorndike: op.cit., p. 83.

^(٩٤١) Livemore: op.cit., p. 106; Downey: op.cit., p. 84.

^(٩٤٢) Treadgold: op.cit., p. 152.

السلام القائمة بين القسطنطينية وقرطاجة، ولذلك أخرج عملياً اختياراً إمبراطوراً في الغرب حتى نفذ صبر جيزريك وقام بالهجوم على البيلوبونيز Peloponnesus في سنة ٤٦٧م^(٩١٣).

وعند هذه النقطة، شعر الإمبراطور ليو الأول أن الوقت قد حان للقيام بعمل عسكري مشترك مع الحكومة الغربية ضد الوندال الذي أصبحوا الآن يهددون أراضيهم. ولكن الخطوة الأولى للقيام بهذا العمل تمثلت في إيجاد رجل مناسب يتقلد السلطة الإمبراطورية في الغرب^(٩١٤)، وكامتجابه للمعارف التي بعث بها ريكيمير ومجلس الشيوخ الروماني، وقع اختيار ليو الأول أنثيميوس Anthemius، زوج ابنة الإمبراطور السابق ماركيان^(٩١٥). ويذكر بعض المؤرخين أن أنثيميوس ربما يكون - بسبب زواجه من ابنة ماركيان - محسوباً إلى حد ما - نائباً عن بيت ثيودوسيوس، ولذلك يمكن أن يكون منافعاً ضد أولييريوس مرشح جيزريك^(٩١٦). وهذا هو الحادث بالفعل، لأن الإمبراطور ليو الأول بتعيينه أنثيميوس رغب في إيقاف جيزريك عن المطالبة بتعيين أولييريوس.

وعلى أية حال، بعث الإمبراطور ليو الأول على وجه السرعة بفيلا رخيوس سفيراً إلى قرطاجة لينهي لجيزريك أمر تولية أنثيميوس إمبراطوراً في الغرب، ولكي يطالبه بالتوقف عن حملاته - القائمة على النهب والسلب - على

Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 53, 57. cf. also. Cam. Med. ^(٩٤٣)
Hist. vol. I, p. 425.

Bury: op.cit., vol. I, p. 334. ^(٩٤٤)

Evagrius: Fragments, vol. II, p. 347; Jordanes: op.cit., p. 56; ^(٩٤٥)

Theophanes. op.cit., p. 178; Levchenko M.V: Byzance, (Paris, 1949), p. 46.

كانت زوجة أنثيميوس هي إيليا ماركيا يوفيا. Aelia Marcia

Theophanes: op.cit., p. 178 (Not5).

أما أنثيميوس فهو ميناتور، ينسب إلى إحدى العائلات الشرقية النبيلة، لملك ثروة طائلة Procopius: Fragments, vol. II, p. 363 وكان محباً للفلسفة، موالياً للوثنية لتظر:

Bury: op.cit., vol. I, p. 339.

Bury: op.cit., vol. I, p. 335. ^(٩٤٦)

كل من إيطاليا وصقلية فوراً، وإلا ستعلن بيزنطة الحرب على الوندال، ولكن فيلارخيوس عاد إلى القسطنطينية دون تحقيق أية نتائج تذكر سوى أنه أخبر الإمبراطور ليو - وعلى لسان جيزريك - بأن الأخير مشغولاً - في غضون ذلك - في الاستعدادات لفتح الحرب على الإمبراطورية البيزنطية، بسبب انتهاكها للمعاهدة المعقودة بين الطرفين^(٩٤٧).

وهكذا، فقد انفتح باب العداء على مصراعيه بين الوندال من ناحية والإمبراطورية الغربية وبيزنطية من ناحية ثانية وذلك لأنه عندما فشلت مساعي جيزريك في تولية أوليبيريوس إمبراطوراً في الغرب استشاط غضباً وبدلت غاراته المدمرة تجتاح جميع أراضي الإمبراطورية الغربية^(٩٤٨).

وعندما أصبحت أراضي الإمبراطورية الغربية لا تفي باحتياجات الوندال من النهب والسلب بدأ جيزريك في تحويل سفن أسطوله تجاه أراضي الإمبراطورية البيزنطية ومن ثم فقد عملت قواته النهب والسلب في الليريكوم Illyricum^(٩٤٩) ومعظم البيلوبونيز وباقي بلاد اليونان وجميع الأراضي التي تقع على مقربة منها^(٩٥٠).

وينفرد المؤرخ بروكوبيوس^(٩٥١) بالقول إنه ذات يوم، وعندما كان جيزريك موجوداً على متن سفينته في ميناء قرطاجة، وفي الوقت الذي كانت تستعد فيه سفن أسطوله للإبحار، سأله الربان قائلاً: "سيدي ضد أي شعوب العالم تريدنا أن نذهب". فأجاب جيزريك قائلاً: "ضد أولئك الذي غضب عليهم الرب".

Priscus: op.cit., vol. II, p. 347. cf. also, Cam. Med. Hist., vol. I, p. ^(٩٤٧)
310.

Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 57; The same author: ^(٩٤٨)
Fragment, vol. II, p. 363.

^(٩٤٩) الليريكوم Illyricum (دالماتيا Dalmatia): منطقة تمتد من شمال شرق إيطاليا حتى مقدونيا، ومن للدانوب بطول حد مؤيزيا Moesia حتى إيبروس Epiros نظر:

Matthew Bunson: A Dictionary of the Roman Empire, (oxford, 1991), p. ^(٩٥٠)
302.

Procopius: History of the Wars, vol II, Book III, p. 53. ^(٩٥١)

History of the wars, vol II, Book III, p. 55. ^(٩٥١)

وهكذا، أصبح جيزريك سيدًا لعالم البحر المتوسط، فما هي سفن أسطوله
تمخر عيابه وقتما تشاء، وتتوجه إلى أي مكان ترغب فيه دون رادع ومن ثم،
كان لا بد أن يقوم الإمبراطور ليو الأول بعمل عسكري ضده يقضي عليه نهائيًا،
ويعيد الشمال الأفريقي إلى حظيرة الإمبراطورية الرومانية الغربية مرة أخرى.
ترى، هل كان الإمبراطور البيزنطي ليو الأول يشعر بمدى مسئولية بيزنطية
عن النصف الغربي من الإمبراطورية، أم أنه لم يتحرك إلا عندما بدأت خطورة
الوندال تصل إلى الأراضي البيزنطية. ربما تكون الإجابة، أن بيزنطة لم تتحرك
إلا عندما شعرت بالخطورة على أراضيها ولكنها كانت تشعر - في نفس الوقت -
أن الأراضي التي ضاعت في الشمال الأفريقي أراضي رومانية ولا بد من
عوادتها.

وبدأ الإمبراطور ليو الأول يعمل على وجه السرعة، فأرسل أسطولاً
ضخمًا بقيادة ماركلينوس للدلماثي، لكي يقوم بتوصيل أنثيميوس إلى إيطاليا
ليتولى منصبه هناك، ثم يتقدم ماركلينوس بعد ذلك إلى أفريقيا^(٩٥٢).

وفي ١٢ أبريل سنة ٤٦٧م تمت المناداة بأنثيميوس إمبراطورًا قرب
روما^(٩٥٣)، وتزوجت ابنته من ريكيمير^(٩٥٤).

وعندما أعلن ليو الأول عن هدفه بإرسال حملة عسكرية ضد الوندال في
الشمال الأفريقي، قوبل مشروعة بفرحة عارمة في الغرب، وبدأت الاستعدادات
تجري على قدم وساق^(٩٥٥).

Ibid, p. 57, cf. also, Tredgold: op.cit., p. 153; wolfram: op.cit., p. ^(٩52)

197; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 310.

Bury: op.cit., vol. I, p. 335; Jones: op.cit., p. 90. ^(٩53)

ذكر المؤرخ باشال Paschale أن أنثيميوس كان إمبراطورًا في مدينة روما سنة ٤٥٤ م.
لنظر:

Chronicon Paschale 284 628, p. 82.

Livernmore: op.cit., p. 106; Hadas: op.cit., p. 245. ^(٩54)

Norwich: Byzantium. P. 166. ^(٩55)

ويذكر بروكوبيوس^(٩٥٦) أن جيش الإمبراطور ليو الأول بلغ تعداده حوالي مائة ألف جندي. ولقد اتفق معه في هذا المؤرخين المعاصرين^(٩٥٧). ولكن بخصوص عدد سفن الأسطول المؤرخين، ففي الوقت الذي يقول فيه البعض أن عددها بلغ حوالي ١٠٠٠ سفينة^(٩٥٨). يقول للبعض الآخر أنه بلغ حوالي ١١١٣ سفينة^(٩٥٩). بينما يذكر فريق ثالث أن تعداد سفن الأسطول بلغ حوالي ١١٠٠ سفينة^(٩٦٠). ووسط تضارب آراء المؤرخين فإن الباحث يميل إلى الآراء التي تراوحت أعدادها ما بين ١١١٣، ١١٠٠ سفينة، على اعتبار أن هذه الآراء هي الأغلبية.

وإذا ما تسامنا عن كيفية الإتيان بكل هذه السفن، فلنا لا نجد إجابة كافية عن هذا السؤال، سوى قول بعض المؤرخين إن الإمبراطور ليو الأول جمعها من السواحل الشرقية للبحر المتوسط^(٩٦١).

History of the Wars, vol II, Book III, p. 55. ^(٩٥٦)

يذكر أحد المؤرخين أن بروكوبيوس يعتبر المؤرخ الوحيد الثقة، بعد بريسكوس لحملة الإمبراطور ليو الأول على لوندال سنة ٤٦٨م. فظر: Norwich: op. cit., p. 166.

Bury: op.cit., vol. I, p. 335; M cope M.: The Empresses of ^(٩٥٧)

Constantinople, (London, 1913), p. 9; Norwich: op.cit., p. 166; Cam.

Med. Hist. vol. I, p. 310; Mathew Bunson: op.cit., p. 53; Levchenko: op. cit, p. 46.

ولنظر التحليل العظيم الذي قدمه للمؤرخ تردجولد عن تعداد قوات الإمبراطور ليو الأول وفي رأيه أن تعدادها مائة ألف.

Byzantium and Its Army 284 1081, (U.S.A, 1995), p. 191.

Mcriiles: op.cit., p. 40; Cameron: op.cit., p.28; Franzius: op.cit., p. ^(٩٥٨)

55.

Georgji Cedreni: op.cit., Tomus 121, p. 666. cf. also. Bury: op. cit., ^(٩٥٩)

vol. I, p. 335; Matthew Bunson: op.cit., p. 53 Levchenko: op.cit., p. 46.

Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147, p. 172; Cam. Med. Hist. vol. ^(٩٦٠)

I, p. 310.

يذكر بعض المؤرخين أن تعداد سفن الإمبراطور ليو الأول بلغ حوالي ١٠٠٠٠٠ سفينة.

Theophanes: op.cit., p. 180. انظر: ^(٩٦١)

Procopius: op.cit., vol. II, Book II, p. 55; Theophanes. op.cit., p. ^(٩٦١)

180. cf. also. Norwich: op.cit., p. 166.

ولم يكن هناك أيضًا اتفاق بين المؤرخين حول التكلفة الإجمالية للحملة فبعض الآراء تقول إن الإمبراطور ليو الأول أنفق على قواته حوالي ١٣٠,٠٠٠ ألف جنيه من الذهب^(٩٦٢). في حين تقول آراء أخرى إن جملة النفقات بلغت حوالي ٤٧٠٠٠ ألف جنيه من الذهب بالإضافة إلى ١٧٠٠٠ ألف جنيه أخرى من الذهب من رؤساء الخزائن ٧٠٠٠٠٠ ألف جنيه من الفضة، بالإضافة إلى الأموال^(٩٦٣). التي جمعت من المصادرات ومن الإمبراطور أنثيموس^(٩٦٤).

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن لماذا أنفق الإمبراطور ليو الأول كل هذه المبالغ الطائلة على الحملة؟ لقد أجاب المؤرخ بروكوبيوس^(٩٦٥) على هذا السؤال موضحًا أن ليو الأول قد أبدى كرمًا غير عادي مع جنود وبحارة حملته، وذلك لأنه لم يسعى للاقتصاد في الإنفاق على هذه القوات، ولم ينفق عليها بسخاء، يمكن أن يظهر أمامها بمظهر البخيل، الأمر الذي سيؤدي إلى ظهور بعض العقبات أمام رغبته في معاقبة البرابرة.

ولكن بعد كل هذه الاستعدادات العسكرية الضخمة كان يجب على الإمبراطور ليو الأول أن يحسن اختيار قائد لحمته ضد الوندال، ولكن من سوء حظه، كما قال بعض المؤرخين، فإنه تحت تأثير زوجته فرينا^(٩٦٦) وصديقه

Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 77; the same author: Fragment, ^(٩٦٢) vol. II, p. 363; Theophanes: op.cit., p. 180; Cameron: op.cit., p. 28. ^(٩٦٣) يذكر بعض المؤرخين أن بروكوبيوس وثيوفانيزا اعتمدا على المؤرخ بريسكوس. انظر:

Theophanes: op.cit., p. 180 (Not.3).

Candidus: Fragment, vol. II, (G.B.1983) p. 471. cf. also. Cam. Med. ^(٩٦٤) Hist., vol.I., p. 426.

إن هذا الاختلاف بين المؤرخين سواء في تعداد الجيش أو تكلفة الحملة دلغع المؤرخ بيوري إلى القول: من سوء الحظ أننا ليس لدينا قصة هذه الحملة التي رواها بريسكوس المعاصر لها، الذي عمله كان مصدر ثيوفانيزا انظر: Later Roman Empire, vol. I, p. 337 (Not.3).

History of the Wars, vol. II, Book III, p. 55. ^(٩٦٥)

^(٩٦٦) فرينا Verina: إن قوميتها أو الأصل الذي جاءت منه غير معروف، كما أن حياتها المبكرة مظلمة، وكل ما هو معروف عنها أنها زوجته الإمبراطور ليو الأول. ولذلك فمن المؤكد أن أصلها كان وضيعًا: M cope: the Impress of Constantinople, p. 8.

أسبار Aspar^(٩٦٧)، عين باسيليسكوس Basiliscus قائداً عامتاً للحملة^(٩٦٨). ولكن لماذا؟. وذلك لأن فرينا كان يحدها أملاً كبيراً في إمكانية تولي باسيليسكوس - أخيها - عرش الإمبراطورية البيزنطية، بعد عودته من الشمال الأفريقي^(٩٦٩). أما أسبار فإين إصراره على تعيين باسيليسكوس يعود إلى خوفه من أنه ربما إذا انتصرت هذه الحملة يزداد نفوذ الإمبراطور ليو الأول على نفوذه في القسطنطينية؛ ولذلك اختار القائد الذي يعلم أن نجاحه سيكون مستحيلاً^(٩٧٠).

ولقد قامت خطة الحملة على مهاجمة الوندال من ثلاث اتجاهات كالآتي:
 أولاً: القوة الأساسية كان عليها أن تذهب مباشرة إلى قرطاجة عاصمة الوندال.
 ثانياً: قوات أخرى تحت قيادة هيراكليوس Heraclius ومارموس Marsus كان عليها التقدم من مصر ناحية الغرب. ثالثاً: كان على ماركليينوس أن يتقدم بأسطوله من إيطاليا ترافقه الإيطالية إلى جزيرة ساردينيا Sardinia^(٩٧١).

تزوجت ليو الأول في وقت ما قبل اعتلائه عرش إمبراطورية في سنة ٤٥٧م، وكانت أغسطس من ٤٥٧ وحتى ٤٧٤م. انظر:

Matthew Bonsum: op.cit., p. 442.

^(٩٦٧) أسبار Aspar: هو قلايوس أردابوريوس Flavius Ardaburius آلي Alan الأصل، وهناك لخصمال ان زوجته كانت قوطية، لأنه يقال إن ثيودوريك الأول ملك القوط الشرقيين كان بن أخيها. حصل أسبار على لقب قنصل سنة ٤٣٤م، وصل إلى قمة نفوذه العسكري والسياسي في القرن الخامس الميلادي، حيث كان يتولى تعيين الأباطرة في بيزنطة بعد وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني سنة ٤٥٠م. انظر: Candidus op. cit., vol. II, p. 405. cf. also, Matthew Bunson: op.cit., p. 38; Kagi W.E.: Byzantine Military Unrest 47-843 (Amsterdam, 1981), p. 26.

Procopius: Fragments, vol. I, p. 363; Nicephori Callisti: op.cit., ^(٩٦٨)
 Tomus 147. cf. also. Bury: op.cit., vol. I, p. 335; Treadgold: op.cit., p. 53;
 Levchenko: op.cit., p. 46.

M cope: op.cit., p. 9. ^(٩٦٩)
 Procopius: History of the Wars., vol. II, Book II, p. 55. cf. also. ^(٩٧٠)

Bury: op.cit., vol. I, p. 335.
^(٩٧١) ساردينيا Sardinia: جزيرة واسعة، تقع في البحر المتوسط، جنوب جزيرة كورسيكا، وفي منتصف المسافة بين جزر البليار الأيباتية وساحل غرب إيطاليا. انظر:

Matthew Bunson: op.cit., p. 375.

فيستولي عليها ثم يتقدم من هناك للانضمام إلى القوات البيزنطية في قرطاجة^(٩٧٧).

ولقد بدأ الهجوم البيزنطي الإيطالي على الوندال بداية ناجحة فمارككتينوس تمكن من الإستيلاء على جزيرة ساردينيا نون أدنى مقاومة من الوندال، الذين هربوا منها. كما أن هير هيراكلينوس نجح في هزيمة القوات الوندالية هزيمة مروعة قرب مدينة طرابلس، التي استولى عليها وعلى العديد من المدن الوندالية الأخرى، ثم راح يتقدم بقواته تجاه مدينة قرطاجة لخوض المعركة الفاصلة مع الوندال^(٩٧٣).

وفي غضون ذلك كان الأسطول البيزنطي - الذي يتولى قيادته باسيليسكوس - قد وصل إلى المكان الذي يسمى ميركوريون Mercurion^(٩٧٤). قرب كابابون Cape Bon (رأس أدر Ras Adder)، وألقى مراسيه هناك بدلاً من التقدم نحو مدينة قرطاجة، والقيام بمهاجمتها^(٩٧٥).

وإجابة على سؤال حول سبب عدم قيام باسيليسكوس بمهاجمة مدينة قرطاجة، يقول بعض المؤرخين إنه كان هناك انقلاق سري بين باسيليسكوس من ناحية وأسبار من ناحية ثانية بعدم القضاء على مملكة الوندال، وفي المقابل سوف يساعد أسبار القائد باسيليسكوس في الوصول إلى منصب الإمبراطور في بيزنطية^(٩٧٦). والباحث من جانبه يتفق مع هذا الرأي، لا سيما وأن باسيليسكوس

Procopius: the Fragments., vol. II, p. 363, 365. cf. also. Bury: ^(٩٧٢)

op.cit., vol. I, p. 336; Cam. Med. Hist., vol. I, pp. 310-311.

Procopius: op.cit., vol. II, p. 363, 365: The same author History of ^(٩٧٣)

the Wars, vol. II, Book III, p. 57. cf. also. Norwich: Byzantium, p. 166;

Bury: op.cit., vol. I, p. 339.

^(٩٧٤) ميركوريون Mercurion: مدينة تقع على مسافة ٢٨٠ ستاديا Stades من قرطاجة.

وأقد سميت بهذا الاسم لأنه كان يوجد بها معبد هرمس Herms منذ القدم وكان الرومان

يطلقون على هرمس ميركوريوس Mercurius. انظر: Procopius: History of the

Wars, vol. II, Book III, p. 59.

Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 59. cf. also, Wolfram: op.cit., ^(٩٧٥)

p. 178; Norwich: op.cit., p. 166.

Nicephori: Callisti: op.cit., Tomus 147, p. 79. ^(٩٧٦)

كان يعلم أنه لن يتمكن من الوصول على منصب الإمبراطور إلا بمساعدة أسبار، ولكن ينبغي علينا أيضاً أن ندرك أن هذا الاتفاق السري لم تكن فرينا تعلم عنه شيئاً.

وتقول الأحداث، إن جيزريك عندما سمع بالكارثة التي حلت بقواته في طرابلس وساردينيا سلم بضياح على كل شيء؛ فبإسيليوس سوف يضرب ضريته القاضية ويستولى على قرطاج، وعند ذلك ستوارى مملكة الوندال من التاريخ^(٩٧٧).

ومن ثم أرسل جيزريك - وعلى وجه السرعة - سفارة إلى باسيليكوس يطلب منه هدنة بين الطرفين لمدة خمسة أيام، والتي خلالها سيكون قد أجرى مشاوراته مع مستشاريه لبحث سبل تنفيذ مطالب الإمبراطور ليو الأول^(٩٧٨)، وحتى يجعل بإسيليوس يوافق على هذه الهدنة فقد أرسل إليه كمية كبيرة من الذهب دون علم أحد؛ الأمر الذي دفع بإسيليوس إلى قبول مدة الهدنة التي اقترحها جيزريك^(٩٧٩). وظل منتظراً في ميركوريون حتى تنتهي مدة الهدنة^(٩٨٠).

والجدير بالذكر، أنه ليس معروفاً على وجه الدقة الأسباب التي دفعت بإسيليوس لقبول هدنته مع جيزريك. فهل قبل ذلك طبقاً للاتفاق السري الذي عقد بينه وبين أسبار، أو أن ذلك كان مقابل الأموال، أو اعتقاداً منه أن قبول

Procopius: op.cit., Book III, p. 59. cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. ^(٩٧٧) 339.

^(٩٧٨) يذكر بعض المؤرخين أن بإسيليوس كان قد قام بشن بعض لهجمات على مدينة قرطاج.

Jordanes: Fragments, vol. II, p. 367.

ولكن هذا لم يحدث لأننا لم نجده في مصادر أخرى.

Procopius: History of the Wars, vol. II, Book III, p. 59; Theophanes ^(٩٧٩)

Confessor: the chronicle, p. 180 cf. also, Norwich: op.cit., p. 166;

Wolfram: op.cit., p. 173.

Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 61. ^(٩٨٠)

الهندة هو الطريق الأمثل لإدارة نفة القتال، أم كان ذلك خوفاً من جيزريك^(٩٨١) وأغلب الظن أنه قبل الهندة طبقاً لاتفاقه مع أسبار.

وأياً كانت الأسباب فإن موافقة باسيليسكوس على إعطاء جيزريك هذة مدتها خمسة أيام كانت من أكبر غلطات حياته^(٩٨٢)، لأنه بذلك أعطى جيزريك زمام المبادرة بالهجوم، لا سيما وأن الأخير كان ينتظر فقط فرصة هبوب رياح عاتية تساعد في هجومه على الأسطول البيزنطي^(٩٨٣).

وعلى كل، قضى جيزريك هذة الخمسة أيام في تسليح قواته بشتى أنواع الأسلحة، كما جهز سفنه بالرجال والعتاد، ولكنه في نفس الوقت ترك بعض السفن - التي تتميز بسرعة فائقة - فارغة، وذلك بهدف إشعال النار فيها وإطلاقها ضد سفن الأسطول البيزنطي^(٩٨٤).

وبالفعل جاءت الرياح بما لا تشتهي سفن الأسطول البيزنطي، ففي نهاية اليوم الخامس للهندة هبت رياح عاتية، وعند ذلك أعطى جيزريك الأوامر لقادة أسطوله بالهجوم على باسيليسكوس، ويومها لعبت السفن الوندالية النارية دوراً كبيراً في هزيمة سفن الأسطول البيزنطي، لا سيما عندما أشعل الوندال النار فيها وأرسلوها مع الرياح لتصطدم بالسفن البيزنطية وانتهت هذه المعركة البحرية بهزيمة مدوية للأسطول البيزنطي^(٩٨٥).

Ibid,

(٩٨١)

p. 59., 61;

Norwich: Byzantium, p. 166. (٩٨٢)

Procopius: Fragment, vol. II, p. 365. (٩٨٣)

Loc- cit. cf. also. Norwich: op.cit., p. 166; Wolgram: op.cit., p. 173. (٩٨٤)

(٩٨٥) للمزيد من التفاصيل عن موقعة ميركوريون. انظر:

Procopius: op.cit., vol. II, p. 365, 367; The same author: History of the

Wars, vol. II, Book III, p. 61, 62; Theophanes: The Chronicle p. 180;

Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147, p. 79. cf. also, Merielles: op.cit.,

p. 40.; Norwich: op.cit., p. 167; Bury: op.cit., vol. I, p. 336; Cam. Med.

Hist., vol. I, p. 311. Procopius: History of the Wars, vol. II, Book III, p.

63; Nicphori Callisti: op.cit., Tomus 147, p. 79. cf. also, Cam.Med.

Hist., p. 311.

وعلى كل، استطاع باسيليسكوس الهروب من ساحة القتال بصعوبة بالغة وربما- يتصرف منه فقط- إلى صقلية ومن هناك توجه إلى مدينة القسطنطينية. أما ماركلينوس فقد تم اغتياله في غضون ذلك على يد أحد جنوده وبتحريض- بالتأكد- من ريكيمير، كما عاد هيراكليوس إلى مصر (٩٨٦).

والسؤال الآن، ما النتائج التي ترتبت على موقعة ميركوريون البحرية؟

تمثلت النتائج في الآتي:

أولاً: إن فشل هذه الحملة كان له تأثيراً كبيراً على كل من بيزنطة والإمبراطورية الغربية. فالمعروف أن الإمبراطوريتين كانتا قد وضعتا كل قوتها في هذه الحملة، ولكنها فشلت فشلاً ذريعاً ضد أمة واحدة من البرابرة، الأمر الذي أدى إلى استهانة الأمم البربرية الأخرى، بمدى قوة الجيوش الرومانية. كما أدى انتصار جيزريك إلى زيادة عطرسته (٩٨٧).

ثانياً: لقد مات الآلاف من جيوش الإمبراطورية البيزنطية، الأمر الذي كان له تأثيراً كبيراً على العسكرية البيزنطية (٩٨٨).

ثالثاً: لجوء الإمبراطور ليو الأول إلى المصادر من ثروات السكان لمواجهة نفقات الدولة؛ لأن حملته البحرية أفلمت خزائنه لأكثر من ثلاثين عاماً (٩٨٩).

رابعاً: خابت الآمال الإيطالية التي كانت معقنة على الإمبراطور أنثيميوس وفقد الإيطاليون الثقة في الإمبراطورية الشرقية (٩٩٠) التي لم تفكر في القيام بأي

(٩٨٦) ويذكر بعض المؤرخين أن ماركلينوس تم اغتياله في أغسطس سنة ٤٦٨ م. Cam. Med. Hist., vol. I, p. 311. وذلك فمن للمؤكد أن معركة ميركوريون البحرية قد وقعت في نهاية يولييه أو أغسطس.

Bury: op.cit., vol. I, p. 337, Hadas: op.cit., p. 243. (٩٨٦)

Treadgold: op.cit., p. 53. (٩٨٨)

Bury: op.cit., vol. p. 337; Treadgold: History, of the Byzantine (٩٨٩)

State, p. 156; Hadas: op.cit., p. 243.

Livermore: op.cit., p. 109. (٩٩٠)

تدخل آخر بشأن الإمبراطورية الغربية، وبقي الشمال الأفريقي تحت حكم الوندال حتى حملة بليزاريوس سنة ٥٣٣م^(٩٩١).

خامساً: استيلاء جيزريك على صقلية سنة ٤٦٨م^(٩٩٢).

سادساً: لا نتعدى الصواب إذا قلنا أن الفشل الذي حاق بحملة سنة ٤٦٨م قد أسرع الخطى بالإمبراطورية الغربية نحو الزوال.

وعلى كل، فمن حسن حظ الإمبراطور ليو الأول أن سكان مدينة القسطنطينية قد ألقوا بتبعية فشل حملة ميركوريون على كامل أمبار، الذي يقال، إنه كان معارضاً لها منذ البداية^(٩٩٣)، ولذلك نجر الإمبراطور ليو الأول مؤامرة في سنة ٤٧١م اغتال على آثارها أسبار^(٩٩٤).

وعلى أية حال، ينفرد المؤرخ ثيوفانز^(٩٩٥) ببعض الأحداث التاريخية التي يشير فيها إلى أن الإمبراطور ليو الأول أرمم في سنة ٤٧٠م حملة عسكرية برية من مصر تحت قيادة هيراكلينوس ومارسوس، وأن هذه الحملة استولت على مدينة طرابلس وعدد آخر من المدن الوندالية هناك الأمر الذي أصاب جيزريك بالرعب فبعث للإمبراطور يطلب منه السلام فوافق على ذلك ولكن هذه الحملة تكون موضع شك لسببين:

أولاً: لم يتحدث عنها سوى ثيوفانيز فقط، وكان الأولى أن يتحدث عنها بروكوبيوس، الذي ينفك عن بريسكوس.

Cameron: op.cit., 28, 37. ^(٩٩١)

Jones: op.cit., p. 90; Cameron: op.cit., p. 37; Treadgold: op.cit., p. 153. ^(٩٩٢)

Vasiliev A.A: History of the Byzantine Empire, 324- 1453, vol. I, ^(٩٩٣)
(Madison, 1958) p. 104; Treadgold: op.cit., p. 153.

^(٩٩٤) وللمزيد من التفاصيل عن ذلك. انظر:

Candidus: op.cit., vol. II, p. 467; Theophanes: The Chronicle, p. 182;
Nicephori Callisti: op.cit., Tom 147, p. 82; Procopius: op.cit., vol. II, p. 63. cf. also. Norwich: op.cit., p. 167.

The Chronicle, p. 182. ^(٩٩٥)

ثالثي: لأن ثيوفانيز ذكر أن السبب الذي جعل الإمبراطور ليو الأول يوافق على السلام مع جيزريك هو حاجته إلى باسيليسكوس وهيراكليوس ومارسوس للتأمر ضد أسبار، وهذا في حد ذاته بعيد عن الصواب تماماً، لأن باسيليسكوس كان في سنة ٤٧٠م يعيش في تراقيا بعد طرده من القسطنطينية من قبل الإمبراطور ليو الأول^(٩٩٦).

وعلى الجانب الآخر، فإن العلاقات بين الإمبراطور أنثيميوس وريكيكير راحت تتغير بالتدريج من التسامح المتبادل بين الطرفين إلى حرب أهلية شرسة انتهت بالقضاء على الإمبراطور أنثيميوس في سنة ٤٧٢م^(٩٩٧).

وكان الإمبراطور أنثيميوس متبوعاً بعد وفاته بأوليبريوس Olybrius^(٩٩٨)، وإن ظروف إعتلاء أوليبريوس تكون غامضة بعض الشيء فالقصة التي ترويها كتب التاريخ تشير إلى أن أوليبريوس كان في غضون ذلك في مدينة القسطنطينية، وكان جيزريك ما يزال يطالب بإعتلائه عرش الإمبراطورية الغربية، ولذلك خطط الإمبراطور ليو الأول للقضاء عليه بسبب علاقته بالوندال، ومن ثم فقد أرسله إلى مدينة روما، في خضم الصراع بين أنثيميوس وريكيكير في مأمورية سورية تتمثل في إقامة السلام بين الطرفين، ولكنه في نفس الوقت كام حاملاً خطاباً إلى أنثيميوس يطالبه فيه ليو الأول بالتخلص من أوليبريوس، إلا أن هذا الخطاب وقع في يد ريكيكير الذي قام على

Nicephori: Callisti: op.cit., Tom 147. p. 79. cf. also. Bury: op.cit.,^(٩٩٦)
vol. I, p. 337; M cope: op.cit., p. 9.

لقد أشار بعض المؤرخين الذين نقلوا عن ثيوفانيز إلى هذه الحملة.

انظر: Wolfram: op.cit., p. 173.

John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 373, Procopius: op.cit., vol. II, p.^(٩٩٧)

65; Gordens: op.cit., p. 56. cf. also, Bury: op.cit., vol. I, p. 339.

يذكر بعض أن أنثيميوس قتل في ١١ يوليو سنة ٤٧٢م انظر:

Evagrius: op.cit., p. 99 (Not. 150); Jones: op.cit., p. 91.

Gordanes: op.cit., p. 56; Nicephori Callisti.: op.cit., Tomus 147; ^(٩٩٨)

Evagrius: op.cit., p. 99.

الفور - حتى قبل نهاية الصراع بينه وبين أنثيميوس - بتولية أولييريوس عرش الإمبراطورية في الغرب^(٩٩٩).

وعلى كل، لم يظل الأجل بريكمير، فمات في أغسطس سنة ٤٧٢م وتولى مكانه ابن عمه جوندوباد Gundobad^(١٠٠٠).

وعلى أية حال، مات الإمبراطور أولييريوس في نهاية أكتوبر سنة ٤٧٢م فبقى عرش الإمبراطورية في الغرب تابعًا - ولو من الناحية النظرية - إلى الإمبراطور البيزنطي ليو الأول^(١٠٠١) حتى نادى جوندوباد - أمير برجندي - في ٥ مارس سنة ٤٧٣م بجليسيريسوس (٤٧٣ - ٤٧٤م) Glycerius إمبراطورًا في الغرب^(١٠٠٢).

ولأنه كان من المفروض أن يتشاور جوندوباد مع الإمبراطور ليو الأول حول اختيار إمبراطورًا للغرب بعد وفاة الإمبراطور جليسيريسوس، ولأن ذلك لم يحدث فقد رفض ليو الاعتراف بجليسيريسوس إمبراطورًا في الغرب؛ وعين في منتصف سنة ٤٧٤م يوليوس نيبوس (٤٧٤ - ٤٧٥) Julius Nepos إمبراطورًا في الغرب، وبعث به على رأس قوات إلى إيطاليا ليتولى منصبه رسميًا هناك فاستولى على مدينة روما، وخلع جليسيريسوس دون أننى مقاومة وعينه أسقفًا في

Theophanes: The Chronicle. P. 183; Paschal: op.cit., p. 86. cf. also, ^(٩٩٩)

Bury: op.cit., vol. I, pp. 339- 340; Cam. Med. Hist. vol. I, p. 428; Fladas:

op.cit., p. 243; Cameron: op.cit., p. 30.

John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 375. cf. also, Franzius: op.cit., p. ^(١٠٠٠)

55; Downey: op.cit., p. 84.

مات ريكيمير في ١٨ أغسطس سنة ٤٧٢م. انظر:

Bury: op.cit., vol. I, p. 340 (Not. 5).

Bury: The Wall of Rome, (London, 1963), p. 16; Cam. Med. Hist, ^(١٠٠١)

vol. I, p. 428.

John of Antioch: op.cit., vol. I, p. 375. cf. also, Bury: op.cit., p. 16; ^(١٠٠٢)

Jones: op.cit., p. 91; Scarre: op.cit., p. 232.

وضع المؤرخ ثيوفانيز الإمبراطور ماجوريان بعد أولييريوس. انظر:

The Chronicle, p. 184.

مدينة سالونا Salona⁽¹⁰⁰³⁾، وعند ذلك نودى بنيبوس إمبراطوراً في روما في ٢٤ يونيو سنة ٤٧٤م⁽¹⁰⁰⁴⁾. أما بخصوص جوندوباد فلم يمكث في روما بعد تولى الإمبراطور نيبوس وأرشد إلى بورجندي⁽¹⁰⁰⁵⁾.

والناظر يرى أن الإمبراطور ليو الأول كان متمسكاً بحق أباطرة النصف الشرقي من الإمبراطورية الرومانية في تعيين أباطرة النصف الغربي ولذلك مارس حقه الطبيعي وعين الإمبراطور نيبوس.

وهكذا، فقد قام التحالف مرة أخرى بين روما والقسطنطينية مثلما كان في عهد الإمبراطور أنثيميوس⁽¹⁰⁰⁶⁾.

أما إذا انتقلنا إلى الإمبراطورية البيزنطية فنسجد أن الإمبراطور ليو الأول كان قد عين حفيده الذي يسمى - أيضاً - ليو خلفاً له في سنة ٤٧٣م. ولذلك عندما مات ليو الكبير في ٣ فبراير سنة ٤٧٤م توجد حفيده إمبراطوراً باسم ليو الثاني (٤٧٤م) Leo II، والذي - عين بدوره - والده زيبلو Zeno شريكاً له في الحكم، ومن ثم عندما مات ليو الثاني في سنة ٤٧٤م تولى زيبلو⁽¹⁰⁰⁷⁾ (٤٧٤-٤٩١م) عرش الإمبراطورية البيزنطية⁽¹⁰⁰⁸⁾.

⁽¹⁰⁰³⁾ سالونا Salona: مدينة تقع على المنحدر الشرقي للأوريانتيك، عاصمة إقليم الثيريكوم (الماشيا) تسمى أيضاً سالونيه Salonac. انظر: Matthew Bunson: op.cit., p. 373.

⁽¹⁰⁰⁴⁾ John of Antioch: op.cit., vol. II, p. 375; Jordanus: op.cit., p. 57; Evagrius: op.cit., p. 99. cf. also, Bury: op.cit., p. 17; Jones: op.cit., p. 91.

ينكر بروكوبيوس أن نيبوس اعتلى عرش الإمبراطورية في الغرب في ٢٤ يوليو سنة ٤٧٤م. انظر: History of the Wars, vol. II, Book III, p. 69.

في حين يقول مؤرخ آخر إن نيبوس تولى إمبراطوراً في سنة ٤٧٥م. انظر: Croke B.: op.cit., p. 176.

Bury: op.cit., p. 17. ⁽¹⁰⁰⁵⁾

Cam. Med. Hist. vol. I, p. 429. ⁽¹⁰⁰⁶⁾

⁽¹⁰⁰⁷⁾ زيبلو Zeno: اسمه الحقيقي تارسيكوديسا Tarasicodissa، ولد في إقليم إيزوريا بآسيا الصغرى، عمل زعيماً لإحدى القبائل هناك. استقدمه الإمبراطور ليو الأول منح رجاله إلى مدينة القسطنطينية، حيث تولى قيادة الحرس الإمبراطوري، وعندما أثبت قدرات سياسية عالية زوجة الإمبراطور من ابنته إليا أريادين Aelia Ariadne، وعند ذلك غير اسمه إلى زيبلو، وقد أنجبت له أريادين ابنة ليو. انظر:

وعلى أية حال، إن إحدى الأعمال الأولى التي قام بها الإمبراطور زينو بعد اعتلائه عرش الإمبراطورية البيزنطية، تمثلت في سعيه لوضع نهاية لحرب الوندال؛ وذلك لأنه لم يكن مستعداً للدخول في صراع معهم^(١٠٠٩) ربما لأنه كان يكره الحرب كما ذكر بعض المؤرخين^(١٠١٠). ولكن لا ينبغي علينا أن نغفل أن للوضع الداخلي في بيزنطية كان مضطرباً.

أما بخصوص الوندال، فإننا نفهم من حديث المؤرخ بروكوبيوس^(١٠١١) أنهم لم يتوقفوا عن القيام بغارات النهب والسلب على الأراضي البيزنطية وأراضي الإمبراطورية الرومانية الغربية، بل ربما زادت هذه الغارات ضراوة. وعند مفاوضات السلام التي دارت بين بيزنطية والوندال، فإن المعلومات المتاحة لنا عنها قليلة. فيذكر مالخوس^(١٠١٢) أن الإمبراطور زينو اختار السيناتور سيفيروس Severus للقيام بمهمة التفاوض مع جيزريك وذلك لأن سيفيروس كان رجلاً ضليعاً في الدبلوماسية. ولكي يضمّن زينو استقبال سيفيروس استقبالاً حاراً من قبل جيزريك، فقد أُنعم عليه برتبة بطريق.

وفي قرطاجة احتج سيفيروس بلهجة شديدة على الغارة التي قام بها جيزريك على مدينة نيقوبوليس Nicopolis في إيروس، غداة تقدمه من لأقسطنطينية إلى قرطاجة عبر صقلية. فرد عليه جيزريك -الذي أعجب بدبلوماسية الرفيعة وحديثه الموزون- بأن هذه الغارة قام بها الوندال قبل

Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147. cf. also, Matthew Bunson: op.cit., 461; Head c.: Imperial Byzantine Portrait. (N. Y., 1982), p. 25.

Paschal: op.cit., pp. 91- 92. cf. also, Norwich: Byzantium: p. 168; Head: op.cit., p. 22; Treadgold: op.cit., pp. 156- 157.

⁽¹⁰⁰⁸⁾ يذكر بعض المؤرخين أن الإمبراطور ليو الأول مات في ١٠ أكتوبر سنة ٤٧٢م انظر: Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 65.

Norwich: op.cit., p. 186; Cam. Med. Hist, vol. I, p. 311. ⁽¹⁰⁰⁹⁾

Malchus: in Fragments, vol. II, (G.B.1983), p. 411. ⁽¹⁰¹⁰⁾

History of the Wars., vol II, Book III, p. 71. ⁽¹⁰¹¹⁾

The Fragments, vol. II, p. 411, cf. also, Norwich: op.cit., p. 168. ⁽¹⁰¹²⁾

وصوله إلى قرطاجة، كما أوصى جيزريك بأنه على استعداد - في غضون ذلك - للدخول معه في مفاوضات سلام^(١٠١٣).

والجدير بالذكر، أن جيزريك عندما سعى لتقديم الهدايا القيمة لسيفيروس التي تتناسب ماكانته كسفير، رفض تلقيها وخاطب جيزريك قائلاً: "إن أنسب هدية تقدم لسفير هي تسلمه الأسرى"^(١٠١٤). وفي النهاية توصل للطرفين إلى معاهدة سلام نصت على الآتي:-

أولاً: تسليم جيزريك - كما وعد - جميع أسرى الرومان الذي كانوا من نصيبه ونصيب أسرته، وفي نفس الوقت أعطى سيفيروس إنذاراً بشراء الأسرى الذي كانوا لدى الوندال كغنائم في حال موافقتهم^(١٠١٥).

ثانياً: تم الإتفاق على أن تضع الحرب أوزارها بين الإمبراطوريتين من مساعة تاريخه.

ثالثاً: وعد جيزريك بكفالة حرية العبادة للكاثوليك في قرطاجة، كما سمح بعودة رجال الأكثيروس الذين هربوا من هناك.

رابعاً: كان على الإمبراطورية البيزنطية - ولأنها صاحبة السيادة على الإمبراطورية الغربية - أن تعترف رسمياً بحق الوندال في ملكية ما تحت أيديهم من أراضي رومانية^(١٠١٦).

وتشير كتب التاريخ إلى أن معاهدة سلام زينو - جيزريك قد عقدت في نهاية سنة ٤٧٤م^(١٠١٧).

Malchus: op.cit., vol. II, p. 411. ⁽¹⁰¹³⁾

Loc. cit. cf. also, Norwich: op.cit., p. 168. ⁽¹⁰¹⁴⁾

Malchus: op.cit., vol. II, p. 411; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 311; ⁽¹⁰¹⁵⁾

Bury: op.cit., vol. I, p. 390.

Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 71, 73; Cam. Med. Hist., vol. ⁽¹⁰¹⁶⁾

I, p. 311; Karl Paus and other: op.cit., p. 605;

اسحق عبيد: المرجع السابق، ص ٩٢.

vol. I, p. 390; Mediell: op.cit., p. 41; Norwich: op.cit., p. 168; ⁽¹⁰¹⁷⁾

Wolfram: op.cit., p. 173.

وعلى أية حال، لقد أثبت جيزريك أنه صادق الوعد مع السفير سيفيروس
فقد قام - وبسبب اعتداله - بإطلاق مراح من كان لديه من الأسرى الرومان
كهدية لسيفيروس؛ لكي يعود بهم إلى القسطنطينية، كما أن سيفيروس من جانبه
اشترى باقي الأسرى من ماله الخاص^(١٠١٨).

وعلى كل، لقد حافظ الإمبراطور زينو على معاهدة سلامه مع جيزريك،
كما حافظ عليهما من بعده الإمبراطور أناستاسيوس (٤٩١ - ٥١٨)
Anastasius، وبقيت سارية المفعول حتى سنة ٥٣٣ - ٥٣٤م عندما نقضها
الإمبراطور جستينيان (٥٢٧ - ٥٦٥م) Justinian بحملته العسكرية على الوندال
في شمال أفريقيا سنة ٥٣٣م^(١٠١٩).

وتعليقاً على معاهدة زينو- جيزريك، يقول المؤرخ ولغرام^(١٠٢٠): إن هذه
المعاهدة تعد الأولى التي يعقدها أول إمبراطور من البرابرة باسم الإمبراطورية
البيزنطية.

والحقيقة، إذ كان الإمبراطور زينو قادراً على ترويض الوندال الذين
أزاقوا الرومان عذاباً أليماً فإنه تعرض إلى مؤامرة داخلية أطاحت به في ١
يناير سنة ٤٧٥م، وحتى عودته إلى الحكم في أغسطس سنة ٤٧٦م، ولكنه ظل
يحكم - بعد ذلك - حتى سنة ٤٩١م.

وعلى أية حال، لم يكن الإمبراطور نيبوس - إمبراطوراً الإمبراطورية
الرومانية الغربية - بأحسن حال من زميله في الشرق؛ فقد تم عزله - هو الآخر -

Malchus: op.cit., vol. II, p. 411. ^(١٠١٨)

Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 71, 73. cf. also. Wolgram: ^(١٠١٩)

op.cit., p. 173; Mericless: op.cit., p. 41; Brehier l. : op.cit., p. 12.

^(١٠٢٠) وعن هذه المؤامرة وتفصيلها، انظر:

Procopius: op.cit., vol. II, Book III, p. 69, 71; Candidas: op.cit., vol. II, p.

167 Malchus: op.cit., vol. II, p. 415; Paschal: op.cit., pp. 92; John of

Nikiu: Chronicle, Tr., by Roger Pears, (London, 1916), (Net., October,

2002), pp. 6-7 cf. also, Bury: op.cit., vol. I, pp. 390- 393.

في أغسطس سنة ٤٧٥م على يد أورستس Orestes^(١٠٢١) - القائد العام للجيش - فهرب إلى دالماشيا، حيث عاش هناك في سالوتا، أما أورستس فمن جانبه قام بتعيين ابنه رومولوس أوجوستولوس (٤٧٥ - ٤٧٦م) Romulus Augustulus إمبراطوراً على العرش الروماني الغربي في ٣١ أكتوبر من نفس العام^(١٠٢٢).

وفي دالماشيا وصلت الأخبار للإمبراطور نيبوس بطرد الإمبراطور زينو من عرشه وتولى باسيليسكوس - قائد أسطول حملة ميركوريون - وعند ذلك فقد نيبوس الأمل في قدوم أية مساعدة من القسطنطينية ومن ثم فقد استسلم لغيره، وراح يراقب ما سوف تسفر عنه الأحداث في الإمبراطوريتين^(١٠٢٣).

ولكن من المهم جدًا أن نعرف - كما ذكر بعض المؤرخين - أن وضع الإمبراطور رومولوس أوجوستولوس لم يكن قانونيًا، لأنه لم يكن معترفًا به من قبل الإمبراطور باسيليسكوس، الذي - طبقًا لفكر كل أباطرة بيزنطة - رأى أن الإمبراطور المخلوع نيبوس هو الذي ما يزال الإمبراطور الشرقي في الغرب؛ وما رومولوس أوجوستولوس إلا معتصبًا للعرش^(١٠٢٤).

وعلى أية حال، لقد دفع أورستس حياته ثمنًا للانقلاب الذي قاده ضد الإمبراطور نيبوس؛ وذلك عندما ثارت ضده فرق الجيش الجرمانية بقيادة

(1021) أورستس Orstes: ولد في بانوليا، واتخذ طريقه إلى بلاد أتيلا عندما كان شابًا وهناك عينه أتيلا سكرتيرًا خاصًا له، لعب دورًا كبيرًا في إحباط المؤامرة التي حاكها الإمبراطور البيزنطي ثيودوسيوس الثاني ضد أتيلا. وبعد وفاة أتيلا مدة ٤٥٣م عاد أورستس - للروماني الأصل - إلى وطنه ودخل في خدمة الإمبراطور أنثيموس الذي عينه قائدًا لقوات القصر الإمبراطوري. ولقد عينه نيبوس قائدًا عامًا للجيش.

انظر: Norwich: op.cit., p. 171; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 433; Wolfram: op.cit., p. 184.

Gordanes: op.cit., 57; Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147, p.; (1022)

Evagrius: op.cit., p. 99. cf. also, Norwich: op.cit., pp. 171- 172; Grant: op.cit., p. 46; Scarra: op.cit., p. 232.

Norwich: op.cit., p. 172. (1023)

Bury: The Fall of Rome, p. 17; Grant. op.cit., p. 46; Croke: op.cit., (1024)

p. 176.

أودواكر Odovacar^(١٠٢٥)، لأنه رفض التنازل لها عن ٣/١ الأراضي الإيطالية وأردته قتيلاً في ٢٨ أغسطس سنة ٤٧٦م. وعلى الفور قام أودواكر بعزل الإمبراطور رومولوس أوجوستولوس وقوى قيادة الإمبراطورية الغربية^(١٠٢٦).

واللافت للنظر هنا، أن أودواكر لم يسع لتعيين نفسه إمبراطوراً في الغرب، أو حتى يحكم هناك من خلال إمبراطور دمية يقوم بتعيينه. فبدلاً من ذلك راح يسعى لدى الإمبراطور زينو - الذي كان آنذاك قد عاد لحكم بيزنطة - ليعترف به حاكماً مديناً في الغرب تحت قيادته.

وعلى هذا الأساس، عندما علم أودواكر أن الإمبراطور زينو استعاد سيادته في مدينة القسطنطينية، استمال مجلس الشيوخ الروماني ليرسل سفارة إليه. وفي مدينة القسطنطينية أخبر لسفراء زينو بألهم ليسوا في حاجة لإمبراطور جديد، وذلك لأنه يكفي أن يكون هناك إمبراطوراً واحد للحكم في القسطنطينية وروما؛ لقد أخبروا زينو بأنهم انتخبوا أودواكر بدلاً من رومولوس أوجوستولوس، وذلك لتمرسه السياسي والعسكري؛ ولأنه القادر - فقط - على الدفاع عن إيطاليا. وعند ذلك طلبوا من زينو أن ينعم عليه برتبة بطريرق، وأن

^(١٠٢٥) أودواكر Odovacar: كان والده يسمى إيديكار - إيديكون - Edelkon, Edica عمل خادماً إلى أكيلا، وبعد لاختطاف إمبراطورية الهون سنة ٤٥٣م أصبح إيديكون ملكاً على سكيرى قلدنوب. وفي سنة ٤٦٩م قتل إيديكون في معركة نهر بوليا Bolia ضد القوط، وعند ذلك غادر أولاده وطنهم. فذهب أودواكر إلى إيطاليا، وخدم في عهد الإمبراطور أنثيميوس في الحرس الإمبراطوري. انضم إلى ريكيمير في صراعه مع أنثيميوس، راح اسمه يلعب بعد ذلك، ولد حوالي سنة ٤٣٣، وقُتل سنة ٤٩٣. انظر:

Wolfram: op.cit., p. 183- 184; Cam. Med. Hist., vol. I, p. 430- 433- 434;

Matthew Bunson: op.cit., p. pp. 300- 301.

^(١٠٢٦) وللمزيد من التفاصيل انظر:

Gordanes: op.cit., p. 57' Candidus: op.cit., vol. II, p. 469 cf. also Croke:

op.cit., p. 190; Vasiliev: op.cit., vol. I, p. 107; Norwich: op.cit., pp. 172-

173; Moorhead: op.cit., p. 7; Handas: op.cit., p. 244; Bury: op.cit., pp.

17-18; Henry Chadwick: Boethius, (oxford, 1981), p. 1.

يعينه رئيسًا للحكومة الإيطالية. وفي نفس الوقت، قاموا بتسليم زينو شارات الإمبراطور الغربي^(١٠٢٧).

ويتسلم زينو شارات الإمبراطور الغربي يمكن القول أن الإمبراطورية الرومانية الغربية قد انتهت، بل وعادت وحدة الإمبراطورية مرة أخرى، وأصبح هناك إمبراطورًا واحدًا يحكم الشرق والغرب هو الإمبراطور البيزنطي السذي حمل- منذ سنة ٤٧٦م- المسئولية عن الأراضي الرومانية في الغرب، التي لم تعد في حاجة لإمبراطور جديد.

وعلى كل، أثناء وجود سفارة أونواكر في مدينة القسطنطينية وصلت إلى هناك سفارة أخرى من قبل الإمبراطور المخلوع نيبوس لكي تقدم التهاني إلى الإمبراطور زينو على عودته إلى عرشه، ولتطلب منه تقديم الدعم المالي والعسكري حتى يتمكن نيبوس من استرداد عرشه، لا سيما وأنه يعاني معاناة شديدة في منفاه^(١٠٢٨).

وأمام هذا الموقف الشائك فقد تصرف الإمبراطور زينو بدبلوماسية فائقة، لا سيما عندما نعلم أنه لم يكن في استطاعته إنكار حق الإمبراطور نيبوس، وفي نفس الوقت لم يكن مؤهلًا لمساعدته عسكريًا^(١٠٢٩)، ولذلك خاطب نواب مجلس الشيوخ الروماني موضحًا لهم أن الإمبراطورين اللذين عينتهما الإمبراطورية البيزنطية في روما قتلوا إحداهما- وهو أنثيميوس- وطردوا الآخر- نيبوس-^(١٠٣٠) ولذلك فإنكم تعرفون الآن- تمامًا- ما يجب عليكم القيام به، لا سيما وأن إمبراطوركم (نيبوس) ما يزال حي يرزق، ومن ثم يجب عليكم مباركة حصوله على العرش، والترحيب بعودته^(١٠٣٠).

Malchus: op.cit., vol. II, p. 419; Candidus: op.cit., vol. II, p. 469; ^(١٠٢٧)

Bury: op.cit., p. 18; Searce: op.cit., p. 232.

Malchus: op.cit., vol. II, p. 419; Bury: op.cit., p. 18. ^(١٠٢٨)

Bury: op.cit., p. 18. ^(١٠٢٩)

Malchus: op.cit., vol. II, p. 419. cf. also, Grant: op.cit., p. 46. ^(١٠٣٠)

وعلى هذا فإن القسطنطينية ما زالت تعترف بنيبوس إمبراطوراً شرعياً في الغرب، بل وتساند عودته. والدليل على ذلك ما قاله المؤرخ مالخوس^(١٠٣١): من أن زينو وضع سفارة أودواكر أنه (أودواكر) يمكن أن ينال شرف لقب بطريق من الإمبراطور نيبوس، وإذا لم يتمكن من ذلك فإنه يمكن أن يمنحه هو له.

وعند عودة سفارة أودواكر إلى روما حملت معها خطاباً إليه، يهنأه فيه زينو بمنصب الوزارة، ويطلبه بالعمل من أجل الرومان، كما أوضح له أنه يمكن أن ينال لقب بطريق إذا سعى لتحقيق العدالة. هذا، ويقال، إن زينو خاطب أودواكر في هذا الخطاب كما لو كان بطريقاً^(١٠٣٢). وهكذا، لم يمنح زينو أودواكر لقب بطريق.

وفي نفس الوقت، قدم زينو دعمه الأولي المطلق للإمبراطور المخلوع نيبوس، لأنه كان يشعر بالشفقة عليه بسبب نفيه، لا سيما وأنه عانى مرارة التنفي قبل ذلك^(١٠٣٣). وللحقيقة، أن مساندة زينو لنيبوس لم تأت من فراغ بل بسبب ضغط زوجته فرينا عمه زوجة نيبوس^(١٠٣٤).

وهكذا، فإن الإمبراطور زينو لم يقم بأي شيء عملي لإعادة الإمبراطور نيبوس إلى عرشه، لأنه كان مشغولاً بمشاكله الداخلية^(١٠٣٥).

وعلى الجانب الآخر فإن أودواكر - من ناحيته - لم يقدم فروض الولاء والطاعة إلى للإمبراطور المنفي نيبوس، ولم يعترف به لإمبراطوراً، حتى وفاة نيبوس سنة ٤٨٠م^(١٠٣٦). واكتفى بأن يطلق على نفسه لقب ملك^(١٠٣٧).

The Fragments, vol. II, p. 419. (1031)

Loc. cit. cf. also, Bury: op.cit., p. 18. (1032)

Malchus: op.cit., vol. II, p. 419. cf. also, Bury: op.cit., p. 18. (1033)

Malchus: op.cit., vol. II, p. 419. (1034)

Head: op.cit., p. 26. (1035)

Grant: op.cit., p. 46; Bury: op.cit., p. 18. (1036)

Nicephori Callisti: op.cit., Tomus 147. (1037)

وختامًا للموضوع فإن أنجم ما توصل إليه البحث، هو أن المطامع المياسية لدى ماكسيموس لعبت دورًا كبيرًا في هجوم جيزريك على مدينة روما سنة ٤٥٥م.

ومن نتائج البحث أيضًا أن القائد العطي إكتيوس كان يمثل عقبة كأداء أمام جيزريك لمهاجمة الأراضي الإيطالية، ولا تكون قد تعدينا الصواب إذا قلنا أن جيزريك كان يخافه.

ومن النتائج أيضًا أن ثراء مدينة روما كان جالبًا للأناب عليها فجميع قادة البرابرة رغبوا في مهاجمتها لسد رمق شعوبهم الجوعى.

ولا ينبغي علينا أن ننسى أن جيزريك يعد واحدًا من جهاذة الدبلوماسية في العصور الوسطى، كما ظهر في طيات هذا البحث.

كذلك كان فشل الحملة العسكرية التي قامت بها القمطنطينية وروما سنة ٤٦٨م على قرطاجة عاملاً هامًا في انحطاط الإمبراطورية الغربية. بل لا نكون قد أخطأنا إذا قلنا أن هذا الفشل أسرع بخطاها نحو السقوط سنة ٤٧٦م.

كما يثبت لنا البحث أن تقسيم الإمبراطورية في سنة ٣٩٥م على يد الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير لم يكن يعني أن للقسم الشرقي أو بيزنطة لم تعد ممسولة عن الغرب، بل ظل أباطرة الشرق يتمسكون بحقهم في تعيين أباطرة الغرب، والدفاع عن الأراضي الإيطالية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأجنبية:

1. Candidus: Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire, Tr., by R.C. Blockley, vol. II, (Great Britian, 1983).
2. Evagrius scholasticus The Ecclesiastical History of Evagrius, Tr., by Michael whit by (Liverpool un. Press, 2000).
3. Georgu Cedreni: Compendium Historiarum, p. G. Tom., 121.
4. Gregory of Tours: Tr., By Lewis Thrope, (London, 1979).
5. John of Antioch: Fragments, in Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire, Tr. By. R.C. Blockley, vol. II, (G.B., 1983).
6. John of Nikiu: Chronicle, Tr., by Roger Pears, (London, 1916), (Net., October, 2002).
7. Jordanes: The Origin and and Deeds of the Goths, Tr. By. Charles. C. Mierow, (Uni. Of Michigan, 1960), (Net., 2004).
8. Malchus: Fragments, in Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire, Tr., by R.C. Blockley, vol. II, (Great Britian, 1983).

9. Nicephori Callisti: Ecclesiasticae Historia, Patrologiae Graecae, Tomus 147.
10. paschale: Chronicon Paschales 284- 628 A.D. Tr., by Michael whitby and Mary whitby (Liverpool university 1989).
11. Priscus, The Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire, Tr., by R.C. Blockley, vol. II, (Great Britian, 1983).
12. Procopius: History of the Wars, vol. II, Tr. By. H. B. Dewing, (London, N.D.).
13. Theophanes Confessor: The Chronicle, Byzantine and Near Eastern History AD 284-813, Tr., By Mango and Roger Scott, (oxford, 1997).

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1. Averil Cameron A.: The Mediterranean World in Late Antiquity A-D 395 600, (London, 1993).
2. Brian Croke B.: Count Marcellinus and his Chronicle, (oxford, 2001).
3. Bryan Ward Perkins : The Fall of Rome and the End of Civilization (Oxford, 2005).
4. Bury J.B: Later Roman Empire From the Death of Theodosius to the Death of Justinian, vol. I, (N.Y.1958).
5. The Fall of Rome, (London, 1963). Cam. Med. Hist. vol. I, (Camb., Uni., Press, 1911).

6. Carl Stephenson c: *Medieval History*, (London, 1943).
7. Constance Head: *Imperial Byzantine Portrait*. (N.Y., 1982).
8. Franzius Enno: *History of the Byzantine Empire* (New York, 1967).
9. Gautier E.F.: *Genseric Roi Des Vandals*, (Paris, 1935).
10. Ostrogorsky g.: *History of the Byzantine Statem*, Tr., by John Hussy, (Oxford, 1968).
11. Gibbon E.: *The History of the Decline and Fall of the Roman Empire Vol. III*, (N.Y, 1815).
12. Glancille Downey G.: *The Later Roman Empire*. (London, 1969).
13. Wolgram H.: *History of the Goths*, Tr, by Thomas j. Dunlap, (London, 1990).

The Roman Empire and Germanic Peoples, Tr., by Thomas Dunlop, (London, 1997)
14. Jacquin A.M.: *Historue De L'Eglise*, Tom II, (Paris, 1936).
15. John Julius Norwich: *Byzantium. The Early Centuries*, (N.Y.1989).
16. John Moorhead: *Theoderic in Ataly*, (Oxford, 1992).

17. John A.H.M: The Decline of the Ancient world, (London, 1966).
18. Jascph cope M.: The Empresses of Constantinople, (London, 1913).
19. Karl Baus and other: The Emperial Church from Constantine to the Early Middle Ages, Tr. By Anselm Biggs, vol. II, (New york, 1980).
20. Livermore H.V: The Origins of Spain and Portugal, (London, 1971).
21. LevtchenkoM.V: Byzance, (Paris, 1949).
22. Lisa Ripperton: The Baldiwin Project. (2000- 2006), www.Mainlesson.Com.
23. Brehier: The Life and Death of Byzantium, Tr. By Margaret Vaughan, (N.Y.1976).
24. Lynn Brehier: The Life and Death of Byzantium, Tr. By Margaret Vaughan, (N.y. 1976).
25. Margeri Bovere M: Mediterranean Cross Currents, Tr., by Louisa Marie, (London, 1938).
26. Margaret Deanesly M.: A History of Early Medieval Europe, from 476 to 911, (London, 1974).
27. Matthew Bunson: A Dictionary of the Roman Empire, (N. Y. 1991).
28. Mckilliam A.E.: A chronicle of the Popes, from St. Peter to Pius X, (London, 1912).

29. Merrills A.H: *Vandal, Roman and Berbers*, (U.S.A., 2004).
30. Michael Grant: *From Rome to Byzantium*, (London, 1998).
31. Moses Hadas: *A History of Rome from its Origins to 529 A.D.*, (New-York, 1956).
32. Paolo Verzone: *the art of Europe, The Dark Ages from Theodoric to Charlemagne* (N.Y., 1967).
33. Scarra C.: *Chronicle of the Romans Emperors*, (London, 1995).
34. Robert S. Hoyt and other : *Europe in the Middle Ages*, (U-S-A 1958).
35. Vasiliev A.A: *History of the Byzantine Empire, 324-1453*, vol. I, (Madison, 1958).
36. W.E: *Byzantine Military Unrest 47-843* (Amsterdam, 1981).
37. Treadgold w. : *A concise History of the Byzantine Empire* (Palgrave, 2001).
 - *Byzantium and Its Army 284 1081*, (U.S.A, 1995).
 - *A History of the Byzantine and Society* (Stanford Uni, press, 1997).

ثالثاً: المراجع العربية والمعربة:

- ١- إبراهيم أحمد العدوي (نكتور): المعلمون والجرمان، (القاهرة، ١٩٩٤).
- ٢- إيوارد جييون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ج٢، ترجمة محمد سليم سالم، مراجعة أحمد نجيب هاشم، (القاهرة، ١٩٩٧).
- ٣- إسحق عبيد (نكتور): من الآرك إلى جستنيان، (القاهرة، ١٩٧٧).
- ٤- إميل لودفيغ: البحر للمتوسط، ترجمة عائلة زعيتر، (القاهرة، ١٩٥٢).
- ٥- زاهر رياض (نكتور): شمال أفريقيا في العصور الوسطى، (القاهرة، ١٩٨١م).
- ٦- عزيز أحمد (نكتور): تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة أمين توفيق الطيبي، (بيروت، ١٩٨١م).
- ٧- فاسم عبده فاسم (نكتور): أهل النمة في مصر في العصور الوسطى، (القاهرة، ١٩٧٩م).
- دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، (القاهرة، ١٩٨٣م).
- ٨- هسي ج.م: للعالم البيزنطي، ترجمة رأفت عبد الحميد، (القاهرة: ١٩٨٢م).

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	العلاقات السياسية بين الروم والفرس منذ سنة ٢٢٦ وحتى ٣٠٥م
٤٧	قائمة المصادر والمراجع
٥١	حملة الإمبراطور الروماني جوليان على بلاد فارس عام ٣٦٣م
٩٥	قائمة المصادر والمراجع
٩٩	الهون وبيزنطة (دراسة في تاريخ العلاقات السياسية) (٣٧٧-٤٥٠م)
١٦٣	قائمة المصادر والمراجع
١٦٧	القوط الشرقيون في البلقان (٤٧٣-٤٨٨م)
٢١٣	قائمة المصادر والمراجع
٢١٥	'العلاقات السياسية بين روما، قرطاجة والقسطنطينية' ٤٤٤٥٤-٤٧٦م
٢٧٣	قائمة المصادر والمراجع

رفع
مكتبة تاريخ وأثار دولة المماليك

دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى

هذا الكتاب

إن هذا الكتاب يشتمل على بعض الدراسات القيمة في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى؛ لاسيما تاريخ الإمبراطورية البيزنطية في علاقتها بكل من الإمبراطورية الفارسية في الشرق، أو قبائل الهون، أو قبائل الوندال في الشمال الإفريقي، وذلك من خلال علاقتهم بروما.

وهذه الدراسات تعد إضافة جديدة في مجال دراسات العصور الوسطى، التي تفتح مجالا أمام الباحثين في هذا النوع من الدراسات التي تعد إضافة جديدة للمكتبة العربية.

المكتبة
Bibliotheca Alexandrina



1212188



9 772200 819105 16